

تحفة الأريب

في الرد على أهل الصليب

لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي

المتوفى سنة ٨٣٢هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

عمر وفيق الداعوق

دار البشائر الإسلامية

هذا الكتاب رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ فرع العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٢هـ.


تحفة الأريب
في الرد على أهل الصليب

الطّبعَة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار البشائر الإسلاميّة
للطبَاعَة وَالنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نحمده تعالى حمد الشاكرين، حمداً يوافي نعمه، ويكافىء مزيده، ونصلي ونسلّم على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم لا سهل إلّا ما جعلته سهلاً، وأنت إنْ شئتَ تجعل الصعب سهلاً برحمتك يا أرحم الراحمين. سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنَّك أنْت العليم الحكيم.

أما بعد، فقد أرسل الله الرسل والنبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأيّدهم بالحق، وختم أنبياءه بنبوة محمد ﷺ، وأتمَّ به النعمة وأكمل به الدين ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. فعاش المسلمون في كنف الإسلام، مستظلين بظلال التوحيد آمنين من وهاد الجاهلية، مبتعدين عن براثن الوثنية والعقائد الشركية، متمسكين بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تكفّل الله بحفظه من دون الكتب السابقة، ﴿إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وقام المسلمون بنشر الدعوة الإسلامية مجاهدين بأموالهم وأنفسهم ففتحوا الأقطار، وانتشرت الدعوة في بقاع الأرض وعرف بها القاصي والداني، فأنكر من أنكر، وصدع بالحق من فكر وقدَّر، فرفض عقيدته البالية والتزم شريعة ربه الباقية. وهكذا دخل الناس في دين الله أفواجاً ووجدوا في العقيدة الإسلامية راحة وطمأنينة لم يجدوها في غيرها، لأنها فتحت مداركهم ووسعت عقولهم، وأنارت بصائرهم، فخرجوا من لجج الظلام واهتدوا إلى الحق، وتركوا تقليد الآباء والأجداد والعكوف على عقائد الشرك والإلحاد.

والباحث في علم مقارنة الأديان يجد في تراثنا الإسلامي ـ المخطوط منه والمطبوع ـ ما يشهد على دخول الناس في دين الحق بعد مشاهدتهم للحقائق والبراهين الدالة على صدق الرسالة الإسلامية لشمولها وعالميتها ولعدم تفريقها بين غني وفقير، أو تغليبها لأبيض على أسود، ولقيامها بالعدل وإنصافها للمظلوم من الظالم. وبعد أن لمس العقلاء فضل هذا الدين ورفعة شأنه، فلا غرو أن يحفل تراثنا الإسلامي بصفحات مضيئة من تاريخ هذه الأمة سطّرها أعلام أفذاذ أناروا بها طريق السالكين.

والدراسات التي تناولها «علم مقارنة الأديان» تُفصح عن نتائج مهمة آلت جميعها إلى خدمة الإسلام فأظهرت محاسنه، وبيّنت علومه ودراساته بعد أن كان القصد والهدف من إنشاء هذا العلم تشويه عقائد المسلمين وإلقاء الشبهات حول هذا الدين ولكن الله غالب على أمره ﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً﴾.

لقد خرجت هذه الأبحاث لتزيد من أحقِّيَّة هذا الدين في أعين المنصفين ولتفضح حسد المشركين وجهلهم. ولتصفعَ أعداء الإسلام والمسلمين وتردهم على أعقابهم خاسرين. وإن دراسة الأوضاع الخطيرة المحيطة بالمسلمين في عصرنا الراهن، تظهر بوضوح مدى شراسة الهجمة الجاهلية التي تشنها على الإسلام وأهله قوى الشر والعدوان، ممن يرفعون شعار التنصير والتهويد، والإلحاد..

وما الهجمات الصليبية المتوالية ـ والتي لم تنقطع ـ إلّا دليلاً قاطعاً على استمرار أهل البغي في غيِّهم.

ولهذا فقد توالت المؤامرات، وكثرت المكائد للنيل من الإسلام وعقيدته وشريعته السمحة. ووقف أهل الباطل يشهرون أسلحتهم، ويقذفون حمم الشر بجميع أنواعه وأشكاله في وجه المسلمين للقضاء عليهم والتخلص منهم.

ومع مرور الزمن تثبت الأحداث للأعداء أن لغة الحرب والسلاح لم تعد كافية للسيطرة على مقدرات هذه الأمة وأسباب غزتها. ولهذا فقد تعددت وسائلهم من الغزو العسكري إلى الغزو الثقافي لتحطيم المبادىء والأسس التي بنيت عليها عقيدة التوحيد ولزعزعة القواعد الخلقية في نفوس أبناء هذه الأمة لرميها في أحضان الشرك والإلحاد. بعد أن عجزت آلة الحرب والدمار عن تحقيق هذا الغرض الخبيث.

ووفق خطط موضوعة ومدروسة تمكن الأعداء من بثِّ جذور الشقاق والنزاع بين المسلمين وذلك عبر توسيع الخلاف بين آرائهم ومذاهبهم العقدية والفقهية. ورأينا فئات من المسلمين يسقطون في هذا المستنقع الآسن، فراح بعضهم يكفّر بعض، وراحت جماعات تتقاذف عبارات الزندقة والشرك، وكل ذلك نتيجة للمناقشات الجدلية الجوفاء؛ والتي كان يثيرها من طرف خفي علماء الغرب بين آونة وأخرى متسترين تارة بالبحث العلمي النزيه، وبنشر التراث تارةً أخرى، إلى غير ذلك من الحجج الفاسدة.

إلّا أن الصحوة الإسلامية التي بدأت تأخذ دورها في قلب الأمة الإسلامية بعثت الأمل في تفويت الفرصة على الأعداء. ولما كانت الحاجة ماسة إلى نقل الصراع الفكري الذي غذاه أعداء الإسلام بنشر أسباب الفرقة بين المسلمين وإشغالهم بأبحاث لا تسمن ولا تغني من جوع، فضلاً عن التناحر والدوران في حلقات مفرغة...

فقد وجدت من المناسب التفكير بما ينفع الأمة، ويثير في أبنائها الحماس لمواجهة الأعداء بدل الخوض في مسائل أشبعت درساً وتمحيصاً.

وإنه قد حان الوقت للكرِّ، ونقل هذا الصراع إلى ساحة الأعداء لدحر ما علق بأذهانهم من خرافات وأوهام، ومواجهتهم بما لدينا من معارف وعلوم هم بحاجة إليها ليخرجوا من جاهليتهم وليرجعوا إلى بارئهم، مستظلين بظل الدين الحنيف.

وأحمد الله أن وفقني في العثور على وثيقة تواجه أعداء المسلمين وتثبت لهم أنهم على ضلال من أمرهم وأن علماءهم يخفون الحقائق عن عوامهم تمويهاً للباطل وبعداً عن الحق، وأن الإسلام واضح كالشمس لا يحتاج إلى دليل على صدق دعوته وأنه هو المقبول عند الله يوم القيامة.

إن المخطوط الذي بين أيدينا اليوم هو الكتاب الذي ينشرح صدر المسلم إذا قرأه ويشحذ فكر الكافر إذا سمعه، إنه دعوة لإعادة النظر بما يحمله أصحاب العقائد الضالة المشركة، ودعوة للرجوع إلى الفطرة الإنسانية السليمة، ونبذ العقائد البالية.

وإنَّ الجهد الذي قام به صاحب هذا المخطوط والوقت الذي بذله وعصارة

فكره التي وضعها للدفاع عن الحق، كل ذلك يجعلنا نطمئن إلى عقيدته والوثوق بها وصفاء نيته وإخلاصه لله تعالى.

وإنه بالتالي خير شاهد على «أهل الكتاب» فهو واحد من الذين عاينوا وشاهدوا الحقيقة ولمسوا أمكنة الضلال وبؤر الانحراف والفساد ورجعوا إلى الباري تعالى متمسكين بما فتح الله عليهم من الحق.

وإننا ندعو الله تعالى أن يجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم وأن يدخله في جنات النعيم. كما ندعوالله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، ويوفقنا في حسن الأداء.

هذا وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وبابين:

الباب الأول: المؤلف والكتاب ويشتمل على خمسة فصول.

الفصل الأول: عصر المؤلف.

أ - الحالة السياسية.
ب - الحالة الدينية.
جـ - الحالة الاجتماعية.
د - الحالة الثقافية.

الفصل الثاني: حياة المؤلف.

- اسمه، لقبه، نسبته.
- مولده، نشأته.

الفصل الثالث: ثقافته ومؤلفاته.

أ - أعماله.
ب - علمه وثقافته.
جـ - اهتمام العلماء به.

الفصل الرابع: دراسة تحليلة لكتاب التحفة.

أ - منهج الترجمان في تحفة الأريب.
ب - بين الترجمان والإمام ابن حزم.
جـ - بعض الملاحظات حول الكتاب.

الفصل الخامس: وصف المخطوط ومنهج التحقيق.

- إثبات نسبة الكتاب للمؤلف.
- وصف النسخ المحققة.
- العمل في تحقيق الكتاب.
- الرموز المستعملة في التحقيق.

الباب الثاني: تحقيق نصّ المخطوط.

هذا وإني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من أصحاب الفضيلة. الأساتذة د. عبدالعزيز عبيد و د. عثمان عبدالمنعم عيش و د. محمود خفاجي لما أبدوه من نصح وإرشاد. فجزاهم الله عنّا خير الجزاء. والله من وراء القصد.

عمر وفيق الداعوق

الباب الأول
المؤلف والكتاب

الفصل الأول: عصر المؤلف.

الفصل الثاني: حياة المؤلف.

الفصل الثالث: ثقافته ومؤلفاته.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية لكتاب التحفة.

الفصل الخامس: وصف المخطوط ومنهج التحقيق.



الفصل الأول:

عصر المؤلف

أ ـ الحالة السياسية:

عاش المؤلف في تونس بعد إعلان إسلامه على يد الأمير أبي العباس أحمد الحفصي، وهو أحد أمراء الدولة الحفصية والتي تأسست في تونس على يد أبي زكرياء يحيى الحفصي بن أبي محمد بن أبي حفص الهنتاني، وقد تمكن من تأسيسها عندما كان والياً من قبل الدولة الموحدية بالمغرب. . . فانقادت إليه البلاد طائعة وذلك سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٧ م[١] وهناك آراء تقول بأن الحفصيين هم من نسل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢].

وقد بلغ عدد أمراء الدولة الحفصية الذين تولوا الحكم أربعاً وعشرين أميراً و(كان ابتداء ملكهم سنة ثلاث وستمائة وانقرض بانقراضهم سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فكان مدة ملكهم ثلاثمائة وثمان وسبعين سنة)[٣].

وفي عهد الدولة الحفصية تضاءلت الدول التي كانت حولها، ولهذا نرى في بداية حكمهم أن جميع الأراضي التونسية، والجزائرية قد خضعت لهم وكذلك بلاد المغرب الأقصى وشاطبة، وإشبيلية، والمرية، وغرناطة من بلاد الأندلس[٤].

وفي هذه الأثناء حظيت الدولة الحفصية ـ مدة استقلالها ـ بعزٍ وسلطان واتساع ملك ونفوذ لم يتسنّ لكثير من الدول[٥].

---

(١) الدولة الحفصية، لأحمد بن عامر ص ١٧. (٣) المؤنس، ص ١٧٩.

(٢) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لابن أبي دينار ص ١٣٠؛ وخلاصة تاريخ تونس، لحسن حسني عبدالوهاب ص ١٢٦.

(٤) الدولة الحفصية، ص ٤١. (٥) خلاصة تاريخ تونس، ص ١٢٧.

وقد ألمح الترجمان في التحفة إلى هذا الأمر أثناء الحديث من أعمال الأميرين الحفصيين.

وفي عهد الدولة الحفصية وقعت عدة حوادث تاريخية كان لها أثـر كبير عـلى سياسة الدولة، أهمها:

أولاً: قيام الحملة الصليبية الثامنة، ففي سنة ثمان وستين وستمائة من ذي القعدة نزل الإفرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرساناً ورجالاً وكانت بينهم وبين المسلمين حروب مات فيها خلق كثير من الفريقين، ومدة إقامتهم أربعة أشهر وعشرة أيام[١]. وقد قام بهذه الحملة لويس التاسع، وكان غرضه إدخال تونس تحت سيطرة أخيه صاحب جزيرة صقلية إذ ذاك (لتحرير سكانها) النصارى وقهر أهلها وكان قيامه بها بتحريض وإغراء من أخيه المذكور وتشجيع من البابا وبعض ملوك أوروبا[٢].

ثانياً: مهاجمة أبي الحسن المريني لتونس: انتهز (المريني) الفرصة فغزا الدولة الحفصية وتمكن من احتلال العاصمة، ومن قتل الأمير أبي حفص عمر الثاني سنة ٧٤٨ هـ والذي تولى الحكم سنة ٧٤٧ هـ، ولكن إقامته لم تطل لأن السكان ثاروا عليه[٣].

ثالثاً: هاجم الصليبيون الإفرنج (من أهل جزيرة جنوة والنبدقية) مدينة المهدية وذلك في عهد الأمير أبي العباس أحمد الأول حيث جاء الجنويون والفرنسيون في ثمانين قطعة ونازلوا المهدية وأقاموا عليها نحو شهرين وبعث إليها أبو العباس جيشاً فكانت بينهما وقعات وارتحلوا عنها خائبين[٤]. وقد ذكر ذلك المصنف في المخطوط[٥].

كما أن النصارى أنفسهم اضطربت أحوالهم لأنهم كانوا فرقتين: أهل جنوة وفرنسيين، وأراد أهل جنوة الغـدر بالفـرنسيين ولكن لا قـوة لهم، وتفرّقـوا شـذر مـذر[٦].

---

(١) المؤنس، ص ١٣٦.

(٢) الدولة الحفصية، ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٥١.

(٤) المؤنس، ص ١٥٣.

(٥) انظر: ص ٧٧ من هذا البحث.

(٦) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ص ١٠٧٠.

رابعاً: غزو الأسطول الحفصي جزيرة صقلية وقد كان ذلك في عهد الأمير أبي فارس عبدالعزيز الذي تولى الحكم سنة ست وتسعين وسبعمائة، وقد تحدث الترجمان عنها[1]. حيث إنه كان يتولى منصب القائد البحري.

خامساً: نزول النصارى بجزيرة جربة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة، إلّا أنهم ارتدوا خائبين في عهد الأمير أبي فارس نفسه[2].

هذه أهم الأحداث التاريخية التي وقعت خلال حكم الدولة الحفصية والتي عاصر المؤلف أحداثها، ومن خلال العرض السريع الذي سبق يُلاحظ أن هذه الفترة كانت مليئة بالأحداث الخطيرة، فالحروب والمعارك بين المسلمين والمسيحيين أخذت وقتاً طويلاً في ظل تلك الدولة، شأنها شأن بقية الدول الإسلامية التي حكمت المغرب العربي.

ولموقعها الحيوي في المنطقة فقد أخذت مدينة تونس دوراً كبيراً في مجرى الأحداث التاريخية، فقد امتاز موقعها الجغرافي بالموانىء الحصينة، فكان لها أكبر الأثر إبّان الفتح الإسلامي الكبير للأندلس.

ب ـ الحالة الدينية:

وإلى جانب الصراع العسكري بين المسلمين وأعدائهم، كان هناك الصراع الفكري والعقدي والذي انعكست آثاره على المجتمع الإسلامي ككل.

وقد اتخذ هذا الصراع شكلاً عنيفاً نظراً لما للأحداث الحربية من أثر بالغ في أفراد الأمة.

ومن الطبيعي أن يهب العلماء للدفاع عن عقيدتهم كلما ازداد الخطر واشتدت وطأته على المسلمين، ولهذا يجد الباحث سيلاً كبيراً من الكتب التي ألفت في تلك الأحقاب من التاريخ الإسلامي. خاصة خلال الحروب الصليبية، ومعظم تلك الكتب كانت مجندة للرد على إدعاءات النصارى وعقائدهم. وقد قوبلت هذه الكتب

---

(١) انظر: ص ٨٩ من هذا البحث.

(٢) المؤنس، ص ١٥٤ وما بعدها.

بالرضا من قبل المسلمين وانتشرت بين أيدي الناس فكانت بمثابة الحصن المنيع لردع الافتراءات التي يطلقها العدو[1].

وقد اعتبرت هذه المؤلفات فيما بعد مراجع أساسية لأي بحث يتناوله علم مقارنة الأديان، الذي استحدثه علماء الغرب، ووجدوا فيها فناً جديداً يضاف إلى سلسلة العلوم التي برع فيها المسلمون.

والمخطوط موضوع البحث يعتبر حلقة في هذه السلسلة الطويلة من الكتب القيمة ومرجعاً هاماً لا يمكن تجاهله، سيما وأنه خرج من بين يدي واحد من المطلعين على الأحداث وشارك فيها إبّان تلك الحقبة من الصراع، الذي امتد زمنه ليشمل عصوراً طويلة، إضافة إلى مكانة المؤلف العلمية التي نذر نفسه للدفاع عن عقيدته الإسلامية التي آمن بها عن قناعة راسخة، وقضى في سبيلها، بعد جهاد طويل بالقلم والنفس، مستكملاً ما بدأه علماؤنا الأفاضل من كشف للعقائد النصرانية.

وسوف يتأكد لنا ذلك من خلال هذا المخطوط، الذي يعتبر إنجازاً رائعاً.

جـ ـ الحالة الاجتماعية:

إن بعضاً مما كتبه الترجمان في التحفة يعطينا صوراً لأنماط الحياة الاجتماعية في تونس خلال القرن التاسع الهجري، واستكمالاً لما ذكره المؤلف نود أن نوجز بعض الجوانب الأخرى عن الحالة الاجتماعية إبّان تلك الفترة.

لقد تحدثت المصادر المختلفة عن أحوال الدولة الحفصية، وأجمعت كلها على أن الازدهار كان منتشراً، وذلك يعود إلى حسن سياسة الحفصيين، رغم الثورات والحروب التي عاشت البلاد في ظلها، إلّا أن قوة الحكم دفعت الشعب للعمل والعيش في أمان.

فمنذ أن استتب الحكم لأمراء الدولة الحفصية عمّ الرخاء أرجاء البلاد التونسية وقد كان الشعب يتألف في مجموعه (من البربر والعرب، الذين وحّد بينهم الدين

---

(١) راجع كتاب بين المسيحية والإسلام، تحقيق د. محمد شامة، وما كتبه في مقدمته متحدثاً عن تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الصراع الفكري بين المسلمين والنصارى.

الإسلامي، واللغة العربية، وانتسابهم إلى بلاد المغرب وامتزجوا بالمصاهرة وجميعهم سنيون)[1].

وإضافة إلى البربر والعرب كانت هناك فئات أخرى تشاطر أهل حاضرة تونس العيش وهم:

١ ـ **اليهود**: وهم أهل ذمة كانوا يدفعون الجزية إلى الخزينة التونسية عن طيب خاطر، ويعمرون بالعاصمة حياً خاصاً لهم..

٢ ـ **النصارى**: وهم أوروبيُّون جلبهم إلى البلاد الأمن والعدل للتجارة وكانوا يرجعون في غالب أمورهم إلى كبارهم ويعمرون بالعاصمة خارج باب البحر فنادق خاصة تحولت في ما بعد إلى مساكن[2]...

وهنا نلاحظ التسامح الإسلامي الذي مكّن هؤلاء من العيش بين المسلمين بأمان وسعادة.

وقد أشار عبدالله الترجمان في المخطوط إلى وجود هؤلاء النصارى في تونس أثناء الحديث عن كيفية إسلامه ومما قاله: (فلما نزلت بديوان تونس وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى أتوا بمركب وحملوني معهم إلى ديارهم وصحبهم أيضاً بعض التجار الساكنين بتونس فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر)[3].

٣ ـ **الرقيق**: وقد كونوا طبقة كبيرة ولم ينظر غيرهم إليهم نظرة امتهان وازدراء وكانوا يباعون ويشترون بالعاصمة في سوق البركة[4].

ومن جانب آخر فقد أفاض الترجمان في ذكر أعمال الأميرين الحفصييْن، من الناحية الاجتماعية فذكر أن سياستهم الداخلية كانت قائمة على العدل والحكم بالكتاب والسنة مع إكرامهم للعلماء والشرفاء من آل بيت الرسول ﷺ مع بذل العطايا والمرتبات وامتدت المعونات إلى خارج البلاد التونسية فوصلت إلى الأندلس وإلى بلاد الحجاز، كما أن الرعاية شملت أحوال الجند، وتحسنت أيضاً أحوال الفقراء والمساكين.

---

(١) الدولة الحفصية لأحمد بن عامر ص ٧٤.
(٢) الدولة الحفصية، ص ٧٤ وما بعدها.
(٣) انظر: ص ٧٢ من هذا البحث.
(٤) الدولة الحفصية، ص ٧٤.

كما أن العمران قد ازدهر أيضاً فحولت أماكن المجون والفسق إلى مساجد لإقامة الشعائر الإسلامية، وكان الاهتمام ينصب على تلك المساجد لإتاحة الفرصة أمام طلبة العلم للتزوّد بالعلوم الشرعية، فاهتم الأمير عبدالعزيز الحفصي بخزانة الكتب في جامع الزيتونة، كما بنى المستشفيات والمصحات[1].

كما أسقط الأمراء الضرائب أكثر من مرة، وأنشأوا كثيراً من المشاريع التي جلبت للشعب الرفاهية وعادت عليه بالنفع..

ويمكننا تلخيص أهم الأعمال الاجتماعية التي قام بها الأمراء الحفصيون وذلك على النحو التالي:

١ ـ إحداث سقاية بالعاصمة وبعض المدن ومنها سقاية جامع الزيتونة.
٢ ـ تشييد وتجديد وترميم الأسوار والقناطر والحصون ومنها قنطرة وادي الفصل ببرقة وحسن بالعاصمة.
٣ ـ إنشاء عدد كبير من الصهاريج والموارد السائلة وحفر الآبار وتنظيم توزيع المياه بواسطة الخزانات.
٤ ـ إنشاء الأسواق والحمامات بالعاصمة وبمدن سوسة والمنستير وصفاقس.
٥ ـ بناء أو ترميم المدارس والجوامع والمساجد بالعاصمة وغيرها.
٦ ـ إحداث عدة محارس (للحراسة) في الثغور البحرية للمرابطة وعدة زوايا في الطرقات لأبناء السبيل.
٧ ـ بناء عدة كتاتيب وتشييد ميضأة بسوق العطارين حذو مكتبة الخلدونية[2].

وكان من نتائج هذه الأعمال انتشار العدل في عهد الدولة الحفصية فكان الاستقرار عاماً نتيجة للسياسة الحكيمة التي اتبعت في إدارة البلاد فنشطت حركة العمل وازدادت الثروة.

في هذا الجو المطمئن، وفي ظل هذا الرخاء، كانت البلاد تشهد تطوراً آخراً في مجال الحياة الثقافية والفكرية، وهذه نتيجة حتمية في بلد لقي العلم فيه تشجيعاً من

---

(١) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص ١٥٣.
(٢) يراجع في هذا الصدد كتاب الدولة الحفصية لأحمد بن عامر ص ٧٤ وما بعدها؛ والحلل السندسية للوزير السراج، ص ١٠٧٤.

الحكام، وإقبالاً من المتعلمين. ولهذا سنرى حركة علمية تعم أرجاء المدن التونسية، وذلك أثناء الحديث عن الحالة الثقافية إن شاء الله تعالى.

د ـ الحالة الثقافية:

تؤكد المصادر التي بين أيدينا، أن الحياة الثقافية إبّان حكم الدولة الحفصية كانت مزدهرة، وقد أسهبت تلك المصادر في الحديث عن هذا الموضوع، وأعطت أسباباً عديدة لانتشار الثقافة إبّان تلك الفترة.

ويمكننا هنا أن نلخص هذه الأسباب كالآتي:

١ ـ تشجيع الأمراء للعلم والعلماء، وبنائهم للمدارس والجوامع والزوايا وغيرها.
٢ ـ هجرة العلماء من الأندلس إبّان الغزو الصليبي والهجمات المتكررة عليها، مما أدّى إلى نزوح عدد كبير من العلماء إلى بلاد المغرب كما شجع الحركة العلمية هناك.
٣ ـ كثرة المؤلفات والكتب وانتشارها بين أيدي الناس مما أدّى إلى انتشار الثقافة في المجتمع.
٤ ـ عودة عدد كبير من العلماء المغاربة إلى أوطانهم بعد تلقي العلم في المشرق.

وبهذا انتشر العلم في البلاد التونسية بواسطة الكتاتيب والمدارس والجوامع[١].

هذه أهم الأسباب التي جعلت الحياة الثقافية في تونس مزدهرة، وقد نالت البلاد على إثر ذلك سمعة طيبة في مجال التقدم العلمي، وحازت تونس على مركز الصدارة في ذلك العصر. ولا أحد ينسى جامع الزيتونة وما له من أثر بالغ في انتشار العلم، فقد استطاع بعلمائه الأفذاذ أن ينهض بالأمة، ويسهم في بناء المجتمع المسلم، فقد أقبل طلبة العلم ينهلون المعرفة منه فذاعت شهرته بين الأقطار.

ولجامع الزيتونة[٢] تاريخ حافل وماضٍ عريق فقد (كانت القيروان منذ الفتح الإسلامي عاصمة للمملكة التونسية، وكان جامعها الذي اختطه عقبة بن نافع

---

(١) الدولة الحفصية، ٦٥.
(٢) راجع في هذا الصدد: جامع الزيتونة ومدار العلم في العهدين الحفصي والتركي، للطاهر المعموري.

رضي الله عنه من أكبر المعاهد التي يؤمها طلاب العلم من نواح مختلفة، ولما استولى على القطر التونسي أصحاب المهدي بن تومرت: عبدالمؤمن بن علي وحلفاؤه، اتخذوا مدينة تونس دار الإمارة وبقيت العاصمة إلى هذا اليوم.

وبعد أن صارت تونس عاصمة البلاد، أصبحت مورد العلوم ومحط رحال العلماء، فأخذ جامع الزيتونة يغالب جامع القيروان، وأخذ اسمه يتردد أكثر مما كان يتردد على الألسنة والآذان.

ابتدأ جامع الزيتونة الأمير حسان بن النعمان الغساني الداخل لإفريقيا سنة ٧٩ هـ، ثم جاء الأمير عبدالله بن الحبحاب الداخل سنة ١١٤ هـ، وأتم بناءه سنة ١٤١ هـ، ولما تولى زيادة الله بن الأغلب الإمارة بالقيروان أحدث به أبنية فخمة وصار من أحسن الجوامع (القائمة على أساطين من المرمر والرخام)[١].

إضافة إلى جامع الزيتونة، هناك عدة مدارس أنشئت لنشر العلم أهمها: (مدرسة التوفيق، والمدرسة العنقية، والمدرسة المنتصرية، والمدرسة الشماعية، والمدرسة المرجانية، والمدرسة العصفورية)[٢].

وقد تنوعت العلوم في تلك المدارس وخاصة العلوم الشرعية، من فقه وحديث وتفسير وغيرها.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن الفقه الإسلامي أخذ يدخل البلاد التونسية منذ (ابتداء فتحها في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقد توارد عليها أيام الفتح جماعات من الصحابة والتابعين والمتفقهين في الدين مثل عبدالله بن الزبير وعقبة بن نافع، وينبئنا التاريخ أن الفقه كان في عهد عمر بن عبدالعزيز يتلقى في تونس على طريق الدراسة والتعليم فإن هذا الخليفة ندب عشرة من أعيان التابعين وبعث بهم إلى إفريقيا ليعلموا البربر واجبات الدين وأحكامه ومن بين هؤلاء الأعيان عبدالرحمن بن رافع التنوخي وهو أول من ولي القضاء بالقيروان وكانت مدينة القيروان يومئذ مقر الإمارة فأصبح جامعها الذي أسسه الفاتحون الأولون معهداً للعلوم الإسلامية ومصدراً للفتاوى والأحكام)[٣].

---

(١) تونس وجامع الزيتونة لمحمد الخضر حسين، ص ٢٢.

(٢) الدولة الحفصية، ص ٦٥.

(٣) تونس وجامع الزيتونة، ص ٢٢.

أما أهم المكتبات التي وجدت في هذا العصر فهي (مكتبات قصور الأمراء وخاصة مكتبة قصر الإمارة بالقصبة التي جمع بها أنفس المجلدات ومنها مكتبة جامع الزيتونة المسمّاة بالعبدلية. . . التي اشتملت خزائنها على أنفس الكتب وبلغ عددها ٣٦ ألف مجلد في القرن الثامن الهجري)[١].

إلّا أن هذه المكتبة قد تعرّضت فيما بعد للتخريب والفساد على أيدي الإسبان (ففي سنة ٧٠) ـ من القرن العاشر بليت تونس بحلول عساكر الإسبان فعاثوا في المكتبات وأطلقوا أيديهم في إتلافها حتى صارت نفائس الكتب ملقاة في الطرق تدوسها خيلهم بأرجلها، ولم يبق في مكتبة جامع الزيتونة ـ فيما يقال ـ إلّا بضع نسخ من صحيح الإمام البخاري ويقول بعض الشيوخ معتذراً عن قلة ما يوجد من مؤلفات التونسيين: إن هذه الكارثة الإسبانية قد أتلفت وأضاعت كثيراً مما ألفوا)[٢].

إلى جانب هذا كله اشتهرت تونس بنخبة من رجال العلم في ذلك الوقت ومنهم:

ـ محمد بن عبدالسلام، وهو معدود فيمن بلغوا رتبة الاجتهاد ومن مؤلفاته «شرح جامع الأمهات لابن الحاجب»[٣].

ومن العلماء أيضاً:

ـ أبو عبدالله محمد بن محمد الشهير بابن عرفة الورغمي، الفقيه والمفتي، تولى الإفتاء والإمامة والخطابة بجامع الزيتونة، وقد ألف في الفقه والتفسير والمنطق وأصول الفقه وأصول الدين ومر في رحلته إلى الحج بالقاهرة. وكان من رجال مجلس أبي العباس أحمد الحفصي[٤]، توفي سنة ٨٠٣ هـ.

ـ المؤرخ العلّامة عبدالرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٧ هـ.

---

(١) الدولة الحفصية، ص ٦٦.

(٢) تونس وجامع الزيتونة لمحمد الخضر حسين، ص ٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩.

(٤) إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لابن أبي الضياف، ص ٢٢٩؛ والمؤنس، ١٥٠.

وكان رجل علم وتاريخ واجتماع، وهو أبرز شخصية أنجبتها البلاد بكونه أول واضع لعلم الاجتماع، وأول من طرق علم التاريخ بتجرد ورأي ثاقب[١].

ـ ومنهم أبو القاسم البرزلي صاحب الفتاوى، ومحمد بن عمر الأبي شارح المدوّنة وهناك عدد كبير من العلماء الذين برعوا في مختلف العلوم والفنون.

ـ ومنهم أبو محمد عبدالله التجاني، أحد علماء التاريخ وله كتاب «رحلة التيجاني»، والزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر في التاريخ أيضاً، وقد ألف كتاباً اسمه «تاريخ الدولتين» الذي استعرض فيه تاريخ الموحدين والحفصيين. وابن أبي دينار القيرواني أبو عبدالله محمد، وكتابه «المؤنس» له شهرة كبيرة في تونس[٢].

وكانت هناك نظم ومحاكم شرعية يعود الناس إليها لحل مشاكلهم وقضاياهم يقول ابن أبي دينار: (وكان بتونس أربعة قضاة قاضي الجماعة وقاضي الأنكحة وقاضي المعاملات وقاضي الأهلة، وقاضي الجماعة عبارة عن قاضي القضاة بالمشرق، وكان بالحضرة عدد من المفتين فمنهم من يكون متصدراً لها بالقلم ومنهم من يتصدر للأخبار فقط وإنما تنفذ الأحكام على يد قاضي الجماعة يتصرف في الأحكام الشرعية من غير مطلع عليه)[٣]. وبهذا كان استقلال القضاء الشرعي عن الحكم.

وفي تلك الحقبة أيضاً (نشطت حركة الأدب وارتقى الطب، والذي حمل لواءه خريجو المدرسة الصقلية والمدرسة الأندلسية وازدهر علم الفلك واستعمل في تعليمه (الأسطرلاب) الذي وقع صنعه محلياً)[٤].

وسط هذه المعارف العربية الإسلامية عاش الترجمان رحمه الله، فترة طويلة من عمره، ينهل العلم من زوايا ومساجد تونس العريقة، فيزداد تعمقاً ومعرفة، ويزداد رسوخاً وإيماناً، فكان من نتائج هذه المعرفة كتابه: «التحفة».

---

(١) الدولة الحفصية، ص ٦٩؛ وتونس وجامع الزيتونة، ص ١٩.
(٢) الدولة الحفصية، ص ٦٩ ـ ٧٠.
(٣) المؤنس، ص ٢٩٢.
(٤) الدولة الحفصية، ص ٦٧.

الفصل الثاني:

حياة المؤلف

اسمه، ولقبه، ونسبته[1]:

هو عبدالله بن عبدالله الترجمان، وهو الإسم الـذي اختاره المؤلف بعـد أن منّ الله عليه بالإسلام، والدخول في طاعة الرحمن، وذلك في مدينة تونس بعد رحيله إليها، وقد كان يدعـى رحمـه الله قبـل إسلامه (انسلم تورميدا)، وقد أشار إليه كل من المستشرقين آسين بلاسيوس[2] ومايكل ابيلزا[3].

كنيته: هو أبو محمد عبدالله، وقد جاء ذلك أثناء حديثه في مصنفه عن السلطان الحفصي أبي العباس أحمد وما قام به من أعمال، وقد ذكر أن هذا السلطان قد زوّجه من ابنة الشيخ محمد الصفّار فأنجب منها ولداً سمّاه محمداً[4].

---

(١) للمؤلف ترجمات عديدة ومختصرة وذلك في:
كشف الظنون لحاجي خليفة ٣٦٢/٣، وهدية العارفين ٥٦٨/٥، تـاريخ الأدب العـربي لكارل بروكلمان ٣٢٣/٢، والذيـل ٢٥٢/٢، معجم المؤلفين عمـر رضا كحـالة ٧٨/٦، تراجم المؤلفين التونسيين ـ محمد محفوظ ٢٢٥/١ ـ ٢٣١.
إضافة إلى ذلك فقد ذكره صاحب كتاب تاريخ الدولتـين الموحـدية والحفصيـة (الزركشي) ص ١١٧، وابن أبي دينـار في كتابه المؤنس في أخبار إفـريقيا وتـونس ص ١٥٢، وابن أبي الضياف في كتابه إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان ص ٢٢٩، والوزير السراج في كتابه الحلل السندسية في الأخبار التونسية ص ١٧٠٢ وما بعدها. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف ١٤٨.

(٢) انظر مقدمة الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق على كتاب الرد الجميل للغزالي ص ٨٣.

(٣) مجلة الحوادث ص ٦٢ عدد ١٢٧٤ عام ١٩٨١ م.

(٤) انظر ص ٧٥ من هذا البحث.

لقبه: لقب المصنف (بالترجمان) وكان السبب في ذلك هو انشغاله بترجمة الرسائل التي ترد إلى السلطان أبي العباس من قبل الفرنجة، وقد تحدث العلماء عن سيرة هذا السلطان في كتب التاريخ[1].

وهناك لقب آخر ذكره ابن أبي دينار في كتابه المؤنس وهو (سيدي تحفة)[2]، وقد أطلق عليه العوام هذا اللقب نسبة لكتابه «تحفة الأريب» والذي اشتهر المؤلف به. ولا يزال يصاحبه إلى الآن.

نسبته: ينسب المؤلف إلى جزيرة (ميورقا) التي ولد فيها، وهي جزيرة جميلة تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إسبانيا، وقد عاش فيها المؤلف منذ صغره وتعلم الإنجيل هناك، فيقال له (الميورقي)[3].

مولده، نشأته:

ولد المصنف في جزيرة ميورقا ـ كما أسلفنا ـ، وقد تحدث عنها في مقدمته، كما تعرض لوصف طبيعتها ومنتجاتها، ولأحوال سكانها، وكأنه يهدف من وراء ذلك إعطاء القارىء نبذة عن هذا البلد الجميل الذي عرف الإسلام في السابق، وكان ذلك حينما فتح المسلمون هذه الجزيرة أثناء الفتوحات الكبيرة للأندلس إلّا أن الفرنجة عادوا وشنوا الغارات المتوالية فاسترجعوها من أيدي المسلمين في حروب متعددة وذلك بانهيار (قوى المسلمين في الأندلس، وبعد ذهاب دولة الموحدين بل قبل ذلك عندما دبّ الضعف في أوصالها بالذات بعد إحراز إسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحدين في موقعة العقاب عام ٦٠٩ هـ، ومنذ ذلك الحين تجتاح إسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصراني وتسقط قواعد الأندلس التالدة شرقاً وغرباً في يد النصارى فتسقط جزيرة (ميورقة) عام ٦٢٧ هـ ١٢٩٩ م . . .[4].

وربما أراد الترجمان من وراء وصف بلدة (ميورقة) تذكير المسلمين بتلك البلاد

---

(١) انظر ترجمته في ص ٥٣ من هذا البحث.

(٢) انظر: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لابن أبي دينار ص ١٥٢.

(٣) انظر: نجوم المهتدين ورجوم المعتدين، يوسف النبهاني ص ٦٠٥.

(٤) انظر: مقدمة د. محمد شامة على كتاب بين المسيحية والإسلام.

وكأنه يدعوهم للعودة إليها بعد فقدانها، ولهذا يقول: (إن أصلي من مدينة ميورقة أعادها الله إلى الإسلام)[1].

ولقد أغفلت جميع المصادر التي بين أيدينا سنة ولادة المؤلف، ولكنها أجمعت على سنة وفاته وهي سنة ٨٣٢ هـ، كما أن المؤلف نفسه لم يذكر تاريخ ميلاده.

إلّا أننا إذا قدرنا أن عمره كان خمساً وثلاثين سنة عند دخوله في الإسلام، وهو ما أشار إليه المؤلف نفسه حين تحدث عن قدومه إلى الأمير أبي العباس الحفصي[2] - يضاف إليها سنة واحدة وهي التي أتقن فيها المؤلف اللغة العربية على حد قوله[3] فسيكون عمره حينئذ ستاً وثلاثين سنة، وإذا عرفنا أن في تلك السنة نفسها هاجم الفرنسيون والجنويون مدينة المهدية وشارك المؤلف في صد هذا الهجوم وقد حصل الإنزال عام اثنين وتسعين وسبعمائة (٧٩٢هـ)[4]، فإذا حسمنا من هذا التاريخ ستاً وثلاثين سنة فسيكون الحاصل (٧٥٦ هـ) ستاً وخمسين وسبعمائة هجرية هو تاريخ ميلاد المؤلف - رحمه الله - والله أعلم[5].

والمؤلف كان وحيد أبويه، عاش في بيئة نصرانية تسيطر عليها عقيدة التثليث وقد بدأ حياته الدينية مبكراً، حيث اهتمّ والده بتعلميه، فأرسله إلى أحد القساوسة فحفظ شطراً من الإنجيل، وهو لا يزال في السادسة من عمره، وذلك على يد أحد رجال الدين المسيحي، ثم تنقل في البلاد الإسبانية وتلقى في أديرتها وكنائسها علوم العقيدة المسيحية وطقوسها وشعائرها ليصبح في نهاية المطاف راهباً مقرباً من أحد كبار قساوسة الكنيسة الإسبانية واسمه نقلاو مرتيل، حتى إذا ما تقدم السن بهذا الأخير انتدب هذا القسيس الكبير الراهب الشاب للنيابة عنه في حضور الاجتماعات العلمية التي كان رجال الكنيسة يناقشون فيها مسائل العقيدة.

---

(١) انظر: ص ٦١ من هذا البحث.

(٢) انظر: ص ٧٢ - ٧٣ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص ٧٧ من هذا البحث.

(٤) انظر: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، للوزير السراج ص ١٠٦٩ جـ ١ قسم ٤.

(٥) أرخ الأستاذ محمد منصور للترجمان بسنة ٧٥٨ - ٨٣٢ هـ ١٣٥٧ - ١٤٣٠ م. ولم يذكر مصدر هذه الترجمة علماً بإن معظم المصادر القديمة لم تذكر شيئاً عن سنة الميلاد. راجع تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ ١/٢٢٥.

وفي إحدى هذه الجلسات دار الخلاف بين المجتمعين حول كلمة الباروقليط أو النبيّ المرسل بعد عيسى عليه السلام. وما أن علم القسيس من تلميذه بفحوى هذا الاجتماع والخلاف الذي دار حتى راح يبدي رأيه ويظهر ما في دخيلة نفسه من أسرار، مما حدا بالراهب الشاب أن يلح في طلب معرفة حقيقة الباروقليط فصرح له بعد إلحاح شديد أن هذه الكلمة تعني إسماً من أسماء النبي محمد ﷺ وقد نصحه في النهاية بلزوم بلاد المسلمين وأعانه على السفر إلى تونس حيث أعلن إسلامه عند أحد أمراء الدولة الحفصية.

ويجد الباحث في تحفة الأريب سهولة في التعرف على حياة الترجمان المليئة بالأحداث والأخبار، وقد كفانا ـ رحمه الله ـ مؤنة البحث فوصف الجوانب المهمة من حياته، وما لاقاه في جولاته وتنقلاته في كثير من المدن الإسبانية، كما تحدث عن الأسباب التي دفعته لاعتناق الإسلام.

وربما يجد القارىء إطالة في سرد المؤلف لقصة حياته، إلّا أننا نرى أن هذا الأمر يفيدنا كثيراً لأنه يغطي جانباً من الأحداث التي لم تذكرها كتب التاريخ أو بالأحرى تناقلتها هذه الكتب عن المؤلف نفسه، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الكتب لم تتحدث عن حياة الترجمان ـ كما ينبغي ـ مما يجعل ترجمته عسيرة بعض الشيء، ولهذا فإن مقدمة المؤلف لها أهمية كبيرة في هذا الموضوع.

وكما تقدم، فإن الترجمان توفي في سنة ٨٣٢ هـ بتونس وقبره معروف إلى الآن في سوق السراجين[1].

---

(١) انظر: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لابن أبي دينار ص ١٥٢.

الفصل الثالث:

ثقافته ومؤلفاته

كان المؤلف ـ رحمه الله ـ ضليعاً في العلم، متحرّياً للحقيقة أينما وجدت، وكان مطّلعاً خبيراً بالعلوم النصرانية.

وإلى جانب هذا كله، كان مترجماً دقيقاً، أميناً في عمله وهذا ما جعله ينال ثقة خلفاء بني حفص، ومن ثَم الترقي في الوظائف المهمة، كقيادة الجنود البحرية[1].

كما أن الترجمان يعتبر عالماً باللغة (الكتلانية) وهي لغة أهل جزيرة ميورقة، ويعتبر مجدداً لها، وقد ألّف فيها مؤلفات عدة اعتبرها العلماء (كلاسيكية).

يقول الدكتور ميكال دي ايبالزا أستاذ التاريخ العربي في جامعة اليكانتي في إسبانيا: (كتب مؤلفات عديدة باللغة الكتلانية، اللغة التي تستعمل حتى الآن في جزر الباليار وأصبح مؤلفاً كلاسيكياً في هذه اللغة حتى وقتنا الحاضر)[2].

ويكفي (الترجمان) أنه كتب تحفة الأريب ليكـون من العلماء المبرزين ولينـال شرف العلم وفضله.

علمه، وثقافته:

ذكرنا سابقاً أن المصنف تربى في بيت نصراني، فنشأ على هذه العقيدة، وتعلم كتب النصارى، وتنقل في العديد من البلاد الإسبانية، فنهل من العلوم ما مكّنه من ارتقاء درجات عالية لدى قومه، ومن خلال «التحفة» يلاحظ القارىء مدى إطلاع

---

(١) انظر: ص ٧٨ من هذا البحث.

(٢) انظر: مجلة الحوادث عدد ١٢٧٤ سنة ١٩٨١ م.

الترجمان على «الكتاب المقدس» ودقته في معرفة الأناجيل الأربعة التي ردّ عليها والتي تناولها في بحثه وبيّن تناقضاتها.

إضافة إلى ما تقدم نجده عالماً بعلم المنطق، والعلوم الطبيعية، وعلم التنجيم، وقد صرّح بذلك المؤلف أثناء الحديث عن حياته.

وقد انعكست هذه العلوم على شخصية الترجمان، ولهذا نستطيع أن نقرر أن المصنف يعتبر عالماً ضليعاً بعلوم «الكتاب المقدس» وعقائد النصارى وفرقهم وأساليبهم وتقاليدهم، وهذا واضح من خلال المخطوط موضوع البحث.

كما نستطيع أن نقول: إن الترجمان قد تأثّر إلى حد كبير بالمؤلفات والكتب الإسلامية التي اطّلع عليها خلال إقامته في تونس، وقد كانت العلوم الشرعية تدرس في مساجدها وزواياها العديدة، ومعلوم أن التقدم العلمي في ذلك الوقت كان في أوج ازدهاره، حسب ما وصفته الكتب التاريخية[1]، خاصة إذا علمنا أن في هذا الوقت كان المؤرخ ابن خلدون يعاصر تلك الحقبة من التاريخ وقد أمدت هذه الكتب المؤلف بمادة علمية واسعة، خاصة كتاب الفصل في الأهواء والملل والنحل للإمام ابن حزم، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وقد ذكر المؤلف أنه اطّلع على هذه الكتب وأثنى على مؤلفيها، ونستطيع أن نتأكد من ذلك ما نقله إلينا الوزير السراج حيث يقول عن الأمير أبي فارس الحفصي: (... أحدث قراءة البخاري كل يوم بعد صلاة الظهر بجامع الزيتونة وكتاب الشفا، والترهيب بعد صلاة العصر)[2]. كما نوّه ابن أبي دينار بتلك الكتب فقال عن هذا الأمير: (... ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمهات الدواوين وجعل لها مقصورة بمجنبة الهلال من الجامع الأعظم وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بالنظر)[3].

وكما هو واضح فإن لهذه الكتب أثراً كبيراً في ثقافة المؤلف وعلمه، فرغم أعجميته إلاّ أنه استطاع في مدة وجيزة أن يتقن اللغة العربية، وهذا ـ إن دلّ على شيء فإنما ـ يدل على شدة ذكائه وألمعيته وسرعة بديهته.

---

(١) ككتاب المؤنس لابن أبي دينار، وكتاب الحلل السندسية للوزير السراج وغيرهما.

(٢) انظر: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، للوزير السراج ص ١٠٧٥.

(٣) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لابن أبي دينار ص ١٥٣.

وقد يعجب القارىء لهذه السرعة في إتقان اللغة العربية، ويزول هذا العجب حالما نعرف شغف المؤلف بالإسلام وحبه للنبي ﷺ، إلى جانب يسّر اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي يسّره الله تعالى للحفظ ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾[1].

يضاف إلى ذلك ما أشرنا إليه أثناء الحديث عن أعماله، من أنه كان عالماً بلغة بلده (ميورقة) وأعني الكتلانية، وأنه كان مجدداً لها، وعلماء تونس المعاصرون يؤكدون ذلك كالشيخ محمد الشاذلي النيفر.

ولغزارة علم المؤلف وإتقانه، حاز إعجاب كبار المؤرخين لتلك الفترة، فقد أحال معظمهم على كتاب التحفة كثيراً من الأخبار المتعلقة بالدولة الحفصية، إبان حكم الأميرين أحمد وابنه عبدالعزيز الحفصيين فنقلوا أعمالهما في حقل السياسة الداخلية والفتوحات الخارجية والأعمال الثقافية والاجتماعية في تونس، كالزركشي في أخبار الدولتين الموحدية والحفصية، والمؤنس لابن أبي دينار، والحلل السندسية للوزير السراج وإتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان لابن أبي الضياف، واعتماد هؤلاء الأعلام على مخطوط التحفة يعد أمراً ذا أهمية بالغة إذ أنه يعطي المؤلف بعداً علمياً وثقافة واسعة من الناحيتين التاريخية والاجتماعية. وقد أشرنا إلى نقول العلماء أثناء التحقيق.

كما أن بعض علماء العصر الحديث استندوا في أبحاثهم على تحفة الأريب[2].

ومن مناقب الشيخ عبدالله الترجمان إخلاصه وتفانيه لمعلمه الأول الذي خدمه عشر سنوات مقابل تعلمه على يديه، فكان أميناً على سرّه، وهو الذي شجعه على الهجرة إلى البلاد الإسلامية واعتناق الإسلام لإيمان هذا الأخير بنبوة محمد ﷺ[3].

كما تظهر لنا أمانته من خلال ترجمته الحرفية للرسالة التي أرسلها إليه صديقه القسيس النصراني يدعوه فيها إلى الرجوع للعقيدة النصرانية، فما كان من الترجمان إلاّ أن رفض ذلك وتمسك بالإسلام رغم الإغراءات المادية التي عرضت عليه.

---

(١) سورة القمر: الآية ١٧.

(٢) انظر: ص ٣٠ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص ٦٥ من هذا البحث.

وإن صحت رواية استشهاد الترجمان أثناء الغارة على تونس فهذا أيضاً شرف يضاف إلى سجله الناصع، وبذلك يكون خادماً للإسلام علماً وثقافة وأخلاقاً فرحمة الله عليه.

اهتمام العلماء المحدثين بالمؤلف وكتابه «تحفة الأريب»:

إضافة إلى اهتمام المؤرخين المسلمين ـ الذين كتبوا مؤلفاتهم في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ـ بالمؤلف، اهتم به علماء العصر الحديث بالشيخ عبدالله الترجمان وكتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. وقد جعله بعضهم مصدراً من مصادر أبحاثه.

فالأستاذ عبدالمجيد الشرفي اعتمد أثناء تحقيقه لكتاب مقامع الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي على تحفة الأريب في موضوع زواج الأنبياء عليهم السلام[1].

كما استشهد الشيخ يوسف النبهاني حينما تعرض لموضوع تحريف النصارى للإنجيل والرد على أباطيلهم بأقوال الشيخ أحمد بن المبارك الذي ناقش علماء النصارى فنقل عن لسانه: (وكذا تكلمت مع بعض أحبار النصارى فما وجدت عندهم شيئاً والحكايات في هذا كثيرة.. قال: ومن أراد ذلك فعليه بتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب تأليف عبدالله الميورقي وكان من أحبارهم ثم أسلم)[2].

كما أن الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق أعتبر تقدير الترجمان لكتاب الفصل لابن حزم أمراً ذا أهمية كبيرة، فقال: (... فإن هذا التقدير لكتاب الفصل من جانب الشيخ عبدالله الترجمان لا تخفى قيمته لأنه لم يصدر فحسب عن رجل قريب العهد بالمسيحية بل كان واحداً من قسيسيها تلقى قبل تكريسه دراسة في الكتاب المقدس)[3].

وقد وضع كتاب التحفة من بين المؤلفات الجدلية القديمة في الرد على النصارى[4].

---

(١) انظر: كتاب مقامع الصلبان، لأبي عبيدة الخزرجي، ص ١٦٨.

(٢) نجوم المهتدين، ليوسف النبهاني ص ٦٠٥.

(٣) مقدمة الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق على الرد الجميل، للإمام الغزالي ص ٨٤.

(٤) مقدمة الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق على الرد الجميل ص ٧٤.

كما اهتم الدكتور محمود بن الشريف في كتابه: الأديان في القرآن، عندما تحدث عن النصرانية، فنوّه بمخطوط «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب»[1].

وقد أشرنا سابقاً إلى أن الدكتور ميكال دي ايبلزا تحدث عن الترجمان وكتابه التحفة وقد اهتمّ به كثيراً خاصة أثناء دراسته للعلاقات الثقافية بين الشرق والغرب إبّان تلك الفترة، فكتب عن عبدالله الترجمان الراهب الإسباني الذي اعتنق الدين الإسلامي والذي كان يدعى (انسلم ترميدا) وقد وضّح العلاقات بين أوروبا والعالم الإسلامي في القرون الوسطى إلّا أن المستشرق المذكور لم يتناول المؤلف من الناحية العقدية خاصة فيما يتعلق برد الترجمان على النصارى وقد اعترف بذلك أثناء حديثه[2].

كذلك الأستاذ الطاهر المعموري في كتابه: «جامع الزيتونة ومدار العلم في العهدين الحفصي والتركي»[3].

---

(١) الأديان في القرآن، د. محمود بن الشريف ص ٢٩٦.

(٢) مجلة الحوادث عدد ١٢٧٤ ص ٦٢ سنة ١٩٨١ م.

(٣) جامع الزيتونة، الطاهر المعموري، ص ٨٩، و ١٣١.

الفصل الرابع :

دراسة تحليلية لكتاب التحفة

رتّب المؤلف كتابه ترتيباً حسناً، فجعله ثلاثة فصول، فتحدث في الفصل الأول عن كيفية إسلامه، وفي الفصل الثاني ذكر أعمال الأميرين أحمد وعبدالعزيز الحفصيين، أما الفصل الثالث فقد خصّصه المؤلف للحديث عن مقصوده من تأليف الكتاب، وهو الردّ على النصارى من خلال الأناجيل الأربعة التي يؤمنون بها. وإثبات الرسول ﷺ بنصّ الأسفار المقدسة عندهم.

هاتان القضيتان أخذتا حيّزاً كبيراً من الكتاب، لما لهما من أهمية عظمى في مجال دراسة العقائد النصرانية، بل يرتقيان إلى المقام الأول في هذا المضمار، وهما بالتالي يكشفان خفايا هذه العقيدة وأصولها.

وقد استطاع المؤلف أن يخرج بنتيجة حتمية وهي أن العقائد النصرانية المتعلقة بألوهية المسيح أو بنوته ليس لها أساس من الصحة لقيامها على أسس واهية، يدخلها التحريف والتبديل ولا يمكن للعقل السليم أن يقبلها أو يرتضيها، سيما إذا وجدت نصوص في الأناجيل تبطل نصوصاً أخرى معتمدة لديهم.

حتى إذا انتهى المؤلف من الخروج بهذه النتيجة بعد فضح هذه العقيدة وكشف زيفها لم يترك القارىء في حيرة، بل قدّم له الدليل تلو الآخر على أحقيّة الدين الإسلامي الحنيف، وثبوت نبوة رسول الله ﷺ، مستدلاً بأدلة ونصوص من الأناجيل نفسها ومستشهداً بأخرى من التوراة، وهي في مجموعها تقنع المتشككين لوجودها بين أيديهم وهم يعترفون بقداسة هذه النصوص، وبأنها وحي من الله، إلاّ أنهم ينكرون هذه النبوة حسداً من عند أنفسهم.

هاتان القضيتان هما المحور الرئيسي الذي دار عليه بحث المؤلف رحمه الله وقد أحاط بالموضوع إحاطة تامة لا يمكن إنكارها.

وقبل أن يشرح المؤلف مقصوده نراه يمهد في بداية كتابه للحديث عن كيفية إسلامه والدوافع التي جعلته يعتنق الإسلام، ذاكراً رحلته العلمية التي نشد من ورائها الحقيقة.

فوصف لنا حياته الأولى وتربيته وإتقانه للعلوم المختلفة، وتنقله في البلاد الإسبانية، واصفاً معالمها، شارحاً أسلوب الحياة فيها، ولينقلنا فيما بعد للحديث عن خدمته لأحد كبار العلماء النصارى، وتفانيه وإخلاصه له، والذي كان يخفي الاعتراف بالنبي محمد ﷺ، وأبقى هذا السر في طي الكتمان إلى أن كاشف به تلميذه المخلص (انسلم تورميدا) على أثر الاجتماع الذي حضره جمع من القسس واختلفت الآراء حول النبي الذي سيأتي بعد عيسى عليه السلام. ورغم اختلافهم فقد اتفقت كلمتهم على أن اسمه الفارقليط، وقد نقل المؤلف آراء المناقشين واختلافاتهم لأستاذه الذي لم يحضر المجلس، وما أن عرف بهذا الحوار ومحتواه، حتى وجد نفسه مضطراً للبوح بما يعتقد من حق، وأن هذا الإسلام هو أحد أسماء النبي ﷺ نبيّ الإسلام.

وإزاء هذا الاعتراف الصريح لم يجد (الراهب) الشاب بداً من الرحيل إلى بلاد المسلمين واعتناق الإسلام، وقد لاقى تشجيعاً من أستاذه وهكذا رحل إلى تونس.

ومن خلال «التحفة» فإن المؤلف يعطينا وصفاً حياً لحياته العملية أثناء خدمته في ديوان الدولة الحفصية في القرن التاسع الهجري، والتي كان لها من النفوذ في ذلك الوقت ما مكّنها من بسط سلطانها على أقطار عديدة، فامتدّت رقعتها، وتعددت فتوحاتها، وقد غطّى المؤلف جزءاً مهماً من أخبار تلك الدولة، مما جعل المؤرخين ينقلون عنه بعضاً من هذه الأخبار.

وهذا العمل وإن دخل في صلب علم التاريخ، إلاّ أنه يعتبر مهماً لأنه يعرفنا بمجريات الأحداث التي عصفت بتلك الدولة، ويبرز لنا جانباً مهماً من الصراع العسكري، الذي يؤدي بالنتيجة إلى الصراع الفكري، لانعكاس آثاره على نفسية المجتمع، وهذا بالفعل ما حصل مع المؤلف، الذي أخرج لنا «تحفة الأريب».

وقد نهج المؤلف في ردّه أسلوباً علمياً مرتباً حسب أبوابه التسعة التي ذكرها.

ففي **الباب الأول**: كشف المصنف هوية كتّاب الأناجيل الأربعة (متى ومرقس

ولوقا ويوحنا) وأكّد أنهم ليسوا من حواريي المسيح عليه السلام بأدلة علمية دقيقة، وقد علقنا عليها في مواضعها.

وفي هذا الباب أيضاً ردّ المؤلف بأسلوب عقلي على ستة نصوص من الأناجيل.

أما الباب الثاني: فقد لخّص المؤلف فيه عقائد النصارى بالنسبة للمسيح عليه السلام. وحصرها في طائفتين. فردّ على الأولى بنفي ألوهية المسيح، وعلى الثانية بنفي بنوته، وقد بيّنا سبب اقتصار المؤلف على هاتين الفرقتين في حينه، كما استكملنا بقية الفرق أثناء التعليق، وقد أورد المؤلف خمسة نصوص في ردّه.

أما الباب الثالث: فقد بيّن المؤلف فيه القواعد العقدية التي بنى النصارى عليها دينهم. وقد حصرها في خمس قواعد، وبيّن مدى أهميتها عندهم وهي كالتالي:

١ ـ التغطيس (التعميد) وقد بيّن المؤلف كيفيته عندهم، وردّ عليهم بذكر نصّ من إنجيل لوقا، كما ناقشهم بالعقل. كما بيّن أساليب القسس في ممارسة هذا التقليد، وكيفية إيهام الناس بقدسيته.

٢ ـ الإيمان بالتثليث، وقد شرح المؤلف عقيدتهم، وإيمانهم بالأب والابن وروح القدس، وقد ردّ عليهم بخمسة أدلة من نصوص الأناجيل التي يبطل بعضها بعضاً.

٣ ـ إيمانهم بالتحام أقنوم الابن بعيسى عليه السلام في بطن مريم، وناقش أقوالهم في قضية الخطيئة الأولى وأبطل جميع مزاعمهم بأدلة عقلية، وطرح خلالها أسئلة لا يمكن للنصارى الإجابة عليها، كما أورد خمسة احتمالات قد يستند النصارى إلى بعضها في إدعائهم بألوهية المسيح عليه السلام، وقد فنّد المصنف هذه الاحتمالات وأبطلها بأدلة مسلّمة لديهم.

٤ ـ إيمانهم بالقربان المقدّس (العشاء الربانيّ) وقد أبطل المؤلف نصاً من إنجيل متى بالعقل، ثم وضّح وبيّن كيفية إقامتهم لهذا القربان ومدى إيمانهم به.

٥ ـ الإقرار بجميع الذنوب للقسس وإعطاء البراءة لمن أقر (صك غفران) وقد بيّن المؤلف أساليب القسس في خداع الناس، لسلبهم أموالهم بالباطل وقد ردّ عليهم بالعقل.

أما الباب **الرابع**: فقد تحدّث فيه المؤلف عن قانون الإيمان، الذي يؤمن به النصارى والذي أقرته المجامع المسيحية، وأبطله بـذكر التنـاقضات التي وردت في نصوصه.

أما **الباب الخامس**: فقد أثبت فيه بشرية عيسى عليه السلام وقد أورد تسعة نصوص متعارضة مع بعضها، تخللها ردود عقلية كثيرة.

أما **الباب السادس**: فقد خصصه للحديث عن تناقضات نصوص الأناجيل في حوادث متفرقة وأخبار مختلفة، وقد أورد فيه تسعة عشر نصاً يناقض بعضها البعض.

الباب السابع: تحدث فيه عن براءة عيسى عليه السلام من أكاذيبهم وأقوالهم راداً عليهم مورداً تسعة نصوص.

الباب الثامن: أورد فيه المؤلف بعض ما يعيبه النصارى على المسلمين، كزواج العلماء والصالحين، والتسمية بأسماء الأنبياء، وقضية الختان، كما تعرّض لموضوع نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وأقوال النصارى فيهما ورد عليهم.

أما **الباب التاسع**: وهو الباب الأخير، فقد ختم به كتابه بإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وبيان فضله ومنزلته، بأدلة ونصوص من التوراة، وقد شرح ثلاثة نصوص من الأناجيل تثبت صحة نبوة محمد ﷺ وثلاثة نصوص من التوراة تثبتهـا أيضاً، وأربعة نصوص مختلفة من أسفار متعددة من «العهد القديم».

بهذه الأبواب التسعة، أنهى الترجمان كتابه، وقد كـان صادقـاً في بحثه ملماً بأجزائه المتناسقة، واقفاً على أهم قضاياه، التي تناولت عقائد النصارى والردّ عليها مثبتاً فساد قواعدهم وأحقية الدين الإسلامي.

وقد علّقنا على أهم القضايا التي عالجها الكتاب، وفق مـا يقتضيه البحث. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا في حسن الأداء.

بين الترجمان والإمام ابن حزم:

بعد أن استعرضنا منهج الترجمان في التحفة، نودّ أن نقف عند عبارة المؤلف التي يقول فيها: (. . . ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين رضي الله عنهم محتوية على ما لا مزيد عليه إلّا أنهم ـ رحمهم الله ـ قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل

الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات العقول...). ومعنى ذلك أن الترجمان ـ رحمه الله ـ قد اطّلع على المؤلفات الإسلامية التي كتبت في هذا الشأن، فوجد فيها ما يجب إكماله، لسد النقص الذي يعتريه.

ولأمانته العلمية فقد ذكر أن الإمام ابن حزم قد سلك مقتضى المعقول والمنقول، وهذا يعني أنه قد اطّلع أيضاً على كتاب ابن حزم ونعني به «الفصل في الأهواء والملل والنحل»، وإذا ما رجعنا إلى التحفة فإننا سنرى تأثر الترجمان بابن حزم، ولهذا أحببنا مقارنة بعض النصوص المشتركة ذات المواضيع المختلفة والتي عالجها كلا المؤلفين في ردهما على النصارى، ملفتين النظر إلى أن كلاً منهما له منهجه المستقل، وشخصيته المتميّزة، وأسلوبه الخاص.

ومعلوم أن ابن حزم قد نهج في كتابه الفصل منهجاً قوياً في ردّه على النصارى، لهذا وصفته الدوائر العلمية بأنه كان يمثل مدرسة كاملة في مجال علم مقارنة الأديان[1].

ومنهج ابن حزم كما نراه في الفصل[2] يتمثل في عرض نصوص التوراة والإنجيل بعضها على بعض، وكشف ما فيها من الروايات المضطربة، والأخبار المتناقضة، وإن كنا نرى هذا الاتجاه عند الترجمان، إلاّ أنه يكثف هذه الروايات ويجمعها من عدة طرق ويعرضها كلاً حسب الباب الموضوع من أجله بعد تسميته، مضيفاً إليها بعض ردوده العقلية الخاصة، وتجاربه الشخصية التي كان يمارسها أثناء اشتغاله بسلك الرهبانية.

وينفرد أسلوب ابن حزم بكونه شاملاً في الرد، فقد يورد الروايات التي تصادم مقررات العلوم المختلفة من الحساب والهندسة والجغرافية والحيوان والمعادن، وهذا الأسلوب لم يطرقه أحد من العلماء القدامى غيره. وقد فتح بذلك الباب لعلماء العصر الحديث لنقد نصوص «الكتاب المقدس» وفق هذا المنهاج البديع.

والنقاط المشتركة التي بحثت في «الفصل» و«التحفة» تأتي حسب المواضيع التالية:

---

(١) راجع مقدمة د. عبدالعزيز عبدالحق لكتاب الرد الجميل.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم جـ ٢.

١ ـ قضية نسب المسيح عليه السلام، وردت في ٢٧/٢ وما بعدها بشيء من التفصيل.
٢ ـ إيمان يعقوب ويوحنا ابني زبداي الصياد، في ص ٣٣.
٣ ـ قصة سؤال المسيح عن الطلاق، نجدها ص ٣٤ منه.
٤ ـ اعتراف المسيح بأنه ابن الإنسان، نجدها ص ٤٢ منه.
٥ ـ نص عن يونس عليه السلام في بطن الحوت، ص ٤٣.
٦ ـ مجيء المسيح إلى جبل الزيتون وقصة الجحش والدابة ص ٥٢.
٧ ـ صلب اللصين، ص ٥٧.
٨ ـ معرفة وقت الساعة، ص ٥٥.
٩ ـ إرادة الله، وإرادة المسيح ص ٧٠.

هذه أبرز النقاط التي اتفق الترجمان مع ابن حزم في إيرادها وذلك نقلاً عن نصوص الأناجيل التي بين أيدي النصارى.

كما نحب أن نشير هنا إلى لهجة الترجمان في مخاطبة النصارى، فهي شديدة أيضاً شأنه شأن ابن حزم، وربما فاقه في بعض الأحيان.

ولعلنا نجد لكليهما العذر في هذا الأسلوب، وإن كنا نؤمن بأن جدالهم يجب أن يكون بحسب ما أمرنا به الله عزّ وجل وذلك بالتي هي أحسن حيث قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن﴾[1]. والتماسنا لهم العذر يرجع إلى أسباب مهمة، فابن حزم كما هو معروف عاش في الأندلس التي شهدت أشد الحروب بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى والتي نتج عنها كثير من المآسي والكوارث التي نزلت بالمسلمين، فكان الوسط الإسلامي يكوى بنار الأفكار والمذاهب الطارئة والزندقة الوافدة من كل حدب وصوب، وفي مقدمتها افتراءات النصارى واليهود، الذين أقحموا الفلسفة في الدين للتأثير على عقول المسلمين وردّهم عن دينهم، فكان ابن حزم شديد التأثر بهذا الوضع إلى حد كبير فوقف من هذه القضية موقفاً شديداً وصلباً خاصة في ردوده على النصارى.

أما الشيخ الترجمان، فإننا لا نلومه أيضاً وذلك للأوضاع السائدة في أيامه من

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

غزوات صليبية متكررة على البلاد الإسلامية الآمنة، إضافة إلى حملات القراصنة الإفرنج وغالبيتهم من النصارى، الذين اعتدوا على السفن والثغور الإسلامية.

إضافة إلى ذلك أن الترجمان كان ضليعاً في معرفة أصول العقائد النصرانية عالماً بالزيف الذي لحقها وبالتبديل الذي اعتراها، ولهذا فقد أراد من كتابه «تحفة الأريب» أن يبرهن على فساد هذه العقيدة فيوضح الحقيقة ويبطل الباطل، ولهذا لا نعجب من أسلوبه اللاذع.

وخلاصة القول فإن الحلقة التي يمثلها ابن حزم والترجمان هي واحدة في السلسلة الذهبية التي تجمعهما مع الإمام ابن تيمية في: الجواب الصحيح، والإمام الغزالي في: الرد الجميل، وهداية الحيارى لابن القيم. وغيرهم ممن كتبوا في هذا الشأن. كما أنها سد منيع في وجه الشرك والإلحاد.

ويبقى كتاب «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» وإن وجد ما يماثله أو يقاربه، إلّا أن طابع شخصية مؤلفه يبقى متميّزاً عن غيره من الشخصيات التي عرفناها. ولن نتمكن من ذلك إلّا إذا رجعنا إلى كتابه «التحفة» وإنه حقاً تحفة أتحفنا بها الترجمان ـ رحمه الله ـ.

بعض الملاحظات حول الكتاب:

رغم إحاطة المؤلف بالموضوع من جوانبه المتعددة، وإتقانه لمباحثه المختلفة، إلّا أن هناك بعض الملحوظات والتي لا تخل كثيراً بالموضوع وقد رأينا توضيحها من باب المعرفة.

أولاً: بإمكان المؤلف أن يختصر قصة حياته والتحدث عن بلده وأعماله في فصل واحد، ويجعل بقية الفصول في الرد على النصارى. وبذلك يكون قد التزم بعنوان الكتاب.

ثانياً: هناك العديد من الفرق النصرانية، لم يورد المؤلف أسماءها وقد علل ذلك «بأنه خشية للإطالة» وأنه سيقتصر على فرقتين. وقد علقنا على ذلك في حينه.

ثالثاً: هناك عدة أخطاء في أرقام الإصحاحات التي أوردها المؤلف من الأناجيل

وربما ترجع إلى النساخ أنفسهم. لكثرتها وتعدادها.

رابعاً: قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول، بدل أن يقسمه إلى ثلاثة أبواب، ويضع الفصول تحتها، وربما كان هذا المنهج مستعملاً في عهده.

خامساً: هناك خطأ في نقل نص من نصوص الأناجيل والمتعلق بقصة المسيح عليه السلام عند جبل الزيتون. انظر ص **٢١٣** من هذا البحث. وقد أرجعنا هذا الاختلاف إلى اختلافات ترجمة نصوص (الكتاب المقدس).

وقد أشرنا إلى بعض هذه الملحوظات أثناء التعليق، وبالله التوفيق.

الفصل الخامس:

وصف المخطوط ومنهج التحقيق

أ ـ إثبات نسبة «تحفة الأريب» لعبدالله الترجمان:

لا يفوتنا أنه قد أجمعت المصادر التاريخية التي مرت بنا على أن «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» هو لعبدالله الترجمان الميورقي، وهذه المصادر تعتبر من أهم المراجع التاريخية التي بحثت وكتبت عن تاريخ تونس والمغرب العربي بشكل عام، وواضح اعتمادها على «تحفة الأريب» لنقل أخبار الدولة الحفصية.

إلى جانب هذا، فقد أجمعت النسخ التي اعتمدتها في التحقيق على نسبة المخطوط للمؤلف.

ومما يدل أيضاً على صحة هذه النسبة:

أولاً: عزا صاحب كتاب «كشف الظنون» تحفة الأريب إلى عبدالله الترجمان وأورد ترجمة مختصرة عنه[1].

كذلك عزاه صاحب كتاب «هدية العارفين» إلى الترجمان[2]. كما فعل ذلك كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي[3]. وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين[4].

ثانياً: إضافة إلى اعتماد المؤرخين القدامى على كتاب التحفة في نقل بعض

---

(١) انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ /٣٦٢.

(٢) انظر: هداية العارفين ٥/٥٦٨.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٢ /٣٢٣، والذيل ٢ ص ٢٥٢ (باللغة الألمانية).

(٤) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦/٧٨.

أخبار الدولة الحفصية، فقد أيّدوا وقوع الحوادث التاريخية التي ذكرها الترجمان في «التحفة» مما يدل على صدق أخباره.

ثالثاً: صحة أسماء الأمكنة الواردة في المخطوط، والتي ترجع إلى مدن وقرى الشمال الإفريقي، والتي لا يمكن معرفتها إلّا بالاطلاع عليها مباشرة ومعاينتها وهو ما أخبر عنه الترجمان. وأيّدته الكتب التاريخية والجغرافية[1].

رابعاً: أورد المؤلف نصوصاً كثيرة من الأناجيل الأربعة، وهذه النصوص قد ترجمها المؤلف ترجمة ذاتية، وذلك لأنها تختلف في بعض ألفاظها على ما هو عليه الحال بالنسبة للأناجيل الحالية، كما أنها مختلفة مع ما أروده العلماء المسلمون ـ كابن حزم في الفصل ـ من نصوص وهو اختلاف من حيث الشكل لا من حيث المضمون. وهذه الترجمة لا يعرفها إلّا من أتقن هذا الفن.

جميع هذه الأسباب تدعونا لإثبات «تحفة الأريب» للترجمان.

ب ـ وصف نسخ المخطوط:

اعتمدت في تحقيق الكتاب على أربع نسخ مخطوطة وهي من عدة مصادر ووصفها كالتالي:

المخطوط الأول:

صورة عن نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم **٥٥٩** وهي مأخوذة عن مخطوط بمكتبة حسن حسني عبدالوهاب تحت رقم **١٨٤٥٦** بختم دار الكتب الوطنية بتونس.

وتاريخ نسخها هو: أواخر شهر شوال **١١٤١** هـ، وعدد أوراقها **٤٧**، وعدد أسطرها **١٦**، **٢١** × **٢٨** سم، وخطها مغربي حسن مقروء، ولا يوجد اسم الناسخ.

وقد جعلت هذه النسخة بمثابة الأصل ورمزت إليها بكلمة **(الأصل)** تمييزاً لها عن غيرها. وهذه هي أسباب اختياري لهذه النسخة:

---

(١) انظر: كتاب تونس، ج ديبوا. تعريب الصادق مازيغ، الدار التونسية للنشر **١٩٦٩** م.

أولاً: يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١١٤١ هـ وهي أقرب النسخ إلى عصر المؤلف بالنسبة لغيرها.

ثانياً: قلة أخطائها الاملائية، والنحوية.

ثالثاً: عدم سقوط جمل طويلة وكثيرة، وهو ما لمسناه في غيرها.

رابعاً: أسماء الأعلام فيها أصح من غيرها بشكل عام.

خامساً: أخذت هذه الصورة من مكتبة (حسن حسني عبدالوهاب) في تونس، ومعلوم أن الترجمان قد ألّف كتابه في تونس.

سادساً: وضوح خطها المغربي، وبقية النسخ خطوطها مختلفة.

ولهذه الأسباب جعلت هذه النسخة بمثابة الأصل، علماً بأنني سعيت جاهداً للحصول على نسخة أخرى تكون بخط المؤلف إلا أن الحظ لم يحالفني.

المخطوط الثاني:

نسخة مصورة عن ميكروفيلم رقم ١٨/٧٠٨ من مكتبة جامعة الرياض، رقمها ٣٤٩٤، تاريخ نسخها ١١٦٠ هـ وعدد أوراقها ٣١، وعدد أسطرها ٢٣، بمقياس ١، ٢٠ × ٥، ١٤، ونوع خطها نسخي حسن.

وهذه النسخة قريبة جداً من النسخة الأولى، وهي توافقها من حيث الأسماء والأرقام حتى بعض الأخطاء الإملائية، وقد رمزت إليها بالحرف (ر).

المخطوط الثالث:

نسخة مصورة عن مخطوط رقم ١٩٦٣ في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وتاريخ نسخها ٨ ذي الحجة ١٢٧٩ هـ واسم الناسخ: عبدالخالق الحكيم. وعدد أوراقها ٣٥، وعدد أسطرها ٢١ وخطها نسخي حسن.

وهذه النسخة فيها مقدمة صغيرة وضعها العالم: أبو الغيث محمد القشاش[١]

---

(١) هو أبو الغيث محمد المعروف بالقشاش، وهو من علماء الطبقة الحادية والعشرين في المذهب المالكي، وقد ترجم له صاحب كتاب شجرة النور الزكية فقال: (أبو الغيب المعروف بالقشاش

وهو أحد العلماء التونسيين، وقد ذكر فيها أهمية هذا الكتاب، كما وضع له إسماً غير اسمه الأول فسمّاه: (تحفة الأسرار وتأليف الأخيار الأنصار في الردّ على النصارى من فرق الكفار) وقد قدّمه القشاش إلى السلطان أحمد بن محمد خان(1) وهو أحد سلاطين الدولة العثمانية.

وهذه النسخة واضحة جلية قليلة الأخطاء إلاّ في بعض الأحيان، ولكنها تغفل بعض الكلمات، وربما تسقط بعض الجمل، إلاّ أنها تكمل النسخة الأولى. وقد رمزت إليها بالحرف (أ).

المخطوط الرابع:

نسخة مصورة عن ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم ٣٠٢٠ وهي مأخوذة عن مكتبة الأمير فاروق بسوهاج تحت رقم ٢٨٥ وموجودة بمعهد إحياء المخطوطات جامعة الدول العربية. أما تاريخ نسخها فهو عام ١٢٥٤ هـ، عدد أوراقها ٥٤، بقياس ١٥ × ٢٠، ولا يوجد اسم ناسخها.

وهذه النسخة فيها أيضاً مقدمة أبو الغيث محمد القشاش، وهي توافق إلى حد ما النسخة الثالثة. وخطها مقروء إلاّ أنه رديء، وهي كثيرة الأخطاء الإملائية، مع أخطاء في بعض أسماء الأعلام. وقد رمزت إليها بالحرف (م).

التونسي، الأستاذ الرحّالة العالم الكبير القدر الشهير الذكر الكثير الكرامات الظاهرة... ساح في ابتداء حاله وتطور في أحواله وأخذ عن علماء عصره العلوم المتداولة حتى مهر في علم التفسير والحديث والأصول وأحاط بها وكان في رجب وشعبان ورمضان يعقد مجلساً لقراءة التفسير والبخاري. وكان يميل إلى تحصيل نسخ متعددة من البخاري، وجمع من نظائر الكتب ما لا يعد كثرة...). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(1) هو السلطان أحمد خان الأول: ولد هذا السلطان في ١٢ جمادى الثانية سنة ٩٩٨ هـ الموافق ١٨ أبريل سنة ١٥٩٠ م فتولى الملك ولم يتجاوز سنة الرابعة عشرة إلا بقليل... وكانت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة على حدود العجم... وحصلت في عهده عدة فتوحات، كما ازدادت - في عهده - العلاقات السياسية مع دول الإفرنج، وتوفي السلطان أحمد الأول وعمره ٢٨ سنة ومدة حكمه ١٤ سنة تقريباً. تاريخ الدولة العليا العثمانية، محمد فريد بن المحامي، ص ١١٩.

ج ـ عملي في تحقيق الكتاب:

يتلخص العمل في تحقيق هذا الكتاب بالنقاط التالية:

أولاً: ضبطت النص، بعد المقارنة بين النسخ الخطية الأربع للكتاب وكما أشرت سابقاً فقد جعلت النسخة المصورة عن مخطوط الجامعة الإسلامية بمثابة (الأصل) ولم أعدل عنها إلاّ إذا تبيّن لي خطأ فيها فأصححه من بقية النسخ إن وجد سواء بالزيادة أو النقص، مشيراً إليه في الهامش، مراعياً القواعد الإملائية والنحوية.

كما وضعت الزيادات التي يقتضيها السياق بين قوسين، ولم أضع أي عنوان محافظة على النص الأصلي. كما وضعت أرقام ورقات المخطوط بداية كل ورقة.

ثانياً: بيّنت سور الآيات القرآنية الموجودة في الكتاب وأرقامها.

ثالثاً: خرّجت الأحاديث الواردة في المخطوط.

رابعاً: رجعت إلى القواميس والمعاجم لشرح الكلمات الغريبة.

خامساً: خرجت نصوص العهد الجديد ونصوص العهد القديم. ووضعت أرقام الإصحاحات، مترجماً لبعض الأعلام الواردة فيها.

سادساً: علقت على فقرات الكتاب لاستكمال جوانب البحث.

سابعاً: تتبعت عمل المؤلف وبيّنت آراءه وما ذهب إليه من أفكار جديدة لم يُسبق إليها.

ثامناً: أشرت إلى النصوص التي نقلها الكتاب والمؤرخون عن «التحفة».

تاسعاً: بيّنت في آخر البحث أهم النتائج التي توصلت إليها، وذلك بخاتمة أجمل بها ما ظهر لي في هذا المخطوط.

عاشراً: ألحقت الفهارس الضرورية التالية:

١ ـ فهرس الموضوعات.

٢ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٤ ـ فهرس (الكتاب المقدس) «التوراة والإنجيل».

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لها.

د ـ الرموز المستعملة في التحقيق:

ـ نسخة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رمزت إليها بكلمة **(الأصل)**.

ـ نسخة جامعة الرياض رمزت إليها بالحرف (ر).

ـ نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رمزت إليها بالحرف (أ).

ـ نسخة البحث العلمي رمزت إليها بالحرف (م).

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الراجي كريم الصفح عن
عظيم ذنبه عبد الله بن عبد الله الترجمان لطف الله تعالى به
وغفر له ذنبه بمنه

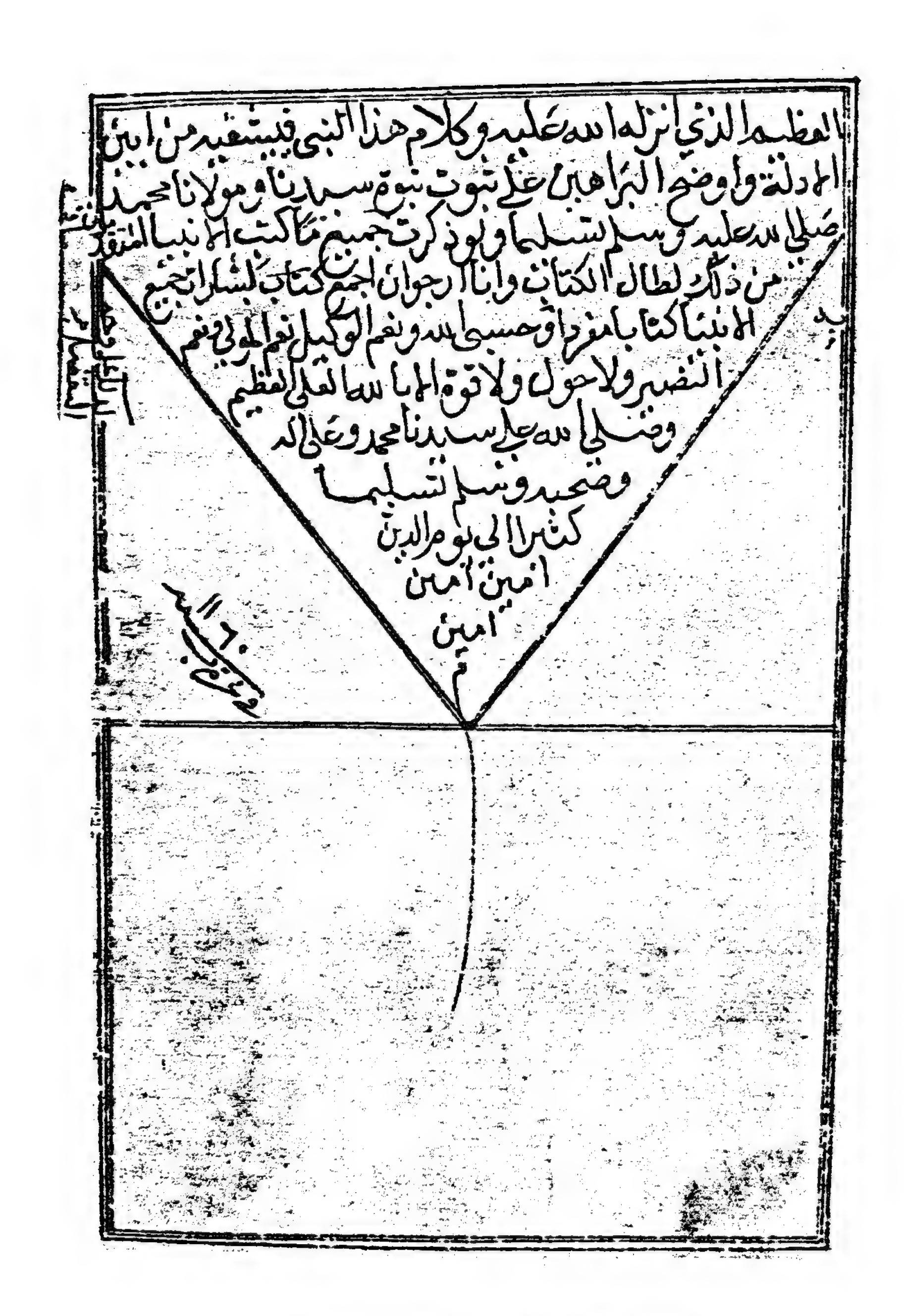
الحمد لله الذي خصنا بخير الاديان وجعلنا من امة اهل القرآن وأكرمنا
بتلاوة القرآن وصوم شهر رمضان والطواف حول
البيت الحرام والركوع عند الركن والمقام وشرفنا
بليلة القدر والوقوف بعرفات وجعلنا من اهل الطهارة
والصلاة والزكاة وفضائل الجمعات والعيدين والخطب
على المنابر وفقه الدين واتباع سنن النبيين وعرفنا
اخبار الاولين والآخرين على لسان خاتم المرسلين سيدنا
ومولانا محمد افضل المخلوقين وامام ائمة المتقين صلى
الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين الى يوم الدين
وبعد فانه لما من الله علينا بالهداية الى الصراط
المستقيم والدخول في دين الله القويم الناسخ به كل
دين انزله بعث به حبيبه وصفيه محمد المصطفى المختار

المصطفى

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة حسن حسني عبدالوهاب وهي نسخة الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله
يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الراجي كريم الصفح عن عظيم ذنبه
عبد الله بن عبد الله الترجمان لطف الله تعالى به وغفر له ذنبه
بمنه الحمد لله الذي خصنا بخير الأديان وجعلنا من أمة القرآن وأكرمنا
بتلاوة القرآن وبصوم شهر رمضان والطواف حول البيت الحرام
والركوع عند الركن والمقام وشرفنا بليلة القدر والوقوف
بعرفات وجعلنا من أهل الطهارة والصلاة والزكاة وفضائل
الجمعات والأعياد والخطب على المنابر ودعوة الدين واتباع سنن
المرسلين وعرفنا أخبار الأولين والآخرين على لسان خاتم المرسلين
سيدنا ومولانا محمد أفضل الخلق أجمعين وإمام أئمة المتقين صلى
الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أبد الآبدين
وبعد فلما من الله علي بالهداية إلى الصراط المستقيم والدخول
في دين الله القويم الناسخ لكل دين الذي بعث به حبيبه وصفيه محمدا
المجتبى المختار من بين النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم
إلى يوم الدين وتشرفت في دلائله القاطعة وبراهينه الساطعة
فإذا هي لا تخفى على من له أدنى تمييز إلا من لا يبصر شمس النهار في
الشتاء ووجدت تصانيف علماء الإسلاميين رضي الله عنهم
محتوية على ما لا مزيد عليه إلا أنهم رحمهم الله قد سلكوا في معظم
احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسالك مقتضيات
المعقول كالحافظ محمد بن حزم رحمه الله وقد رد عليهم بالمعقول
والمنقول لحفظه ما في كتبهم وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى
المنقول إلا في نادر من المسائل فكنت شديد الحرص على أن أحتج
في الرد عليهم بنصوص ثابتة من النقل وحقيقة الإنصاف بالعقل

الصفحة الأولى من نسخة جامعة الرياض المرموز لها بـ (ر).



العظيم الذي انزله الله عليه وكلام هذا النبي فيستغنيه من ابين
الادلة واوضح البراهين على ثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد
صلى الله عليه وسلم تسليما ولو ذكرت جميع ما كتب الانبيا المتقدمين
من ذلك لطال الكتاب وانا ارجوان اجمع كتاب البشاير جميع
الانبيا كتابا مفردا وحسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم
النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين
امين امين
امين

الصفحة الأخيرة من نسخة جامعة الرياض.

العلوم العقلية والنقلية والتفقه في الاسلام في دولته وبهذا
التقريب انه قد حكي له وشكر من عدله ونهايته الفصل الثاني
في ما وقع له في ايام ولد ابي فارس عبد العزيز ملك تونس الغرب
بعد ابي العباس مولاي احمد المنار اليه ثم الفصل الثالث
في مقصود الكتاب من الرد علي النصارى في دينهم وثبوت نبوة نبينا
محمد صلي الله عليه وسلم بنص التورية والانجيل وساير كتب الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين قال المؤلف رحمه الله
تعالى الحمد لله الذي خصنا بخير الاديان وجعلنا من امة القرآن
واكرمنا بتلاوة القرآن وصوم شهر رمضان والطواف حوالي البيت
الحرام والركوع عند الركن والمقام وشرفنا بليلة القدر والوقوف
بعرفات وجعلنا من اهل الطهارة والصلاة والزكاة وفضلنا بالجماعات
والاعياد والخطب علي المنابر ورفعة الدين واتباع سنن النبيين
وعرفنا اخبار الاولين والآخرين علي لسان خاتم النبيين سيدنا محمد
افضل المخلوقين وامام ايمة المتقين صلي الله عليه وعلي اله واصحابه
اجمعين ابد الابدين اما بعد فانه لما من الله علي بالهداية
الي الصراط المستقيم والدخول في دين الاسلام الدين القويم الناسخ
لكل دين الذي بعث به حبيبه وصفيه محمد المجتبى صلي الله عليه وسلم
ونظرت في دلايله القاطعة وبراهينه الساطعة التي لا تخفى
علي من له ادنى تمييز الا من لا يبصر بنص الغمام من الشمس وجدت
تصانيف علمائنا الاسلاميين رضي الله عنهم محتوية علي من لا امتراء به
عليه الا انهم رحمهم الله قد سلكوا في مقطع احتجاجهم علي اهل الكتاب

الصفحة الثانية من نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى المرموز لها بـ (أ).

والنور الذي أخرج به الناس من ظلماتهم هو القرآن بلفظه الذي
أنزله الله عليه وكلام هذا النبي يغنيهم عن بين الأدلة والبراهين
وأوضح البراهين على النبوة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك لطال الكتاب
وأنا أرجو أن أجمع لبشارات ... جميع الأنبياء به كتابا مفردا
لذلك على وجه التفصيل وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم
تسليما كثيرا وضاعف ذلك اضعافا كثيرة إلى ابد الآبدين ودهر الداهرين
وكان الفراغ من تمنيقه يوم الأربعا المبارك ثامن الحجة الحرام ختام عام
تسع وسبعين ومائتين وألف من الهجرة من كان يرتجي الامام كما يرتجي
من الخليفة بخط مالكه الفقير إلى الله تعالى عبدالخالق الحكيم غفر الله
له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات الأحياء
منهم والأموات وتابع بيننا وبينهم بالخيرات والبركات إنك سريع قريب
مجيب الدعوات آمين م م وكل

الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى.



لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي

المتوفى سنة ٨٣٢هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

عمر وفيق الداعوق



بسم الله الرحمن الرحيم

[٢ أ]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله (الترجمان)[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا[٢] محمد...

(فيقول[٣] العبد الفقير إلى رحمة ربه، الراجي كريم الصفح عن عظيم ذنبه (عبدالله بن عبدالله الترجمان) لطف الله تعالى به وغفر له ذنبه بمنه)[٤].

الحمد لله الذي خصّنا بخير الأديان، وجعلنا من أمة الفرقان، وأكرمنا بتلاوة القرآن، وصوم شهر رمضان، والطواف حول البيت الحرام، والركوع عند الركن والمقام، وشرفنا بليلة القدر، والوقوف بعرفات، وجعلنا من أهل الطهارة والصلاة والزكاة، وفضائل الجمعات[٥] والأعياد والخطب على المنابر،

---

(١) ساقطة من الأصل.
وفي (ر): هذا كتاب تحفة (الأريب) في الرد على أهل الصليب للإمام الفاضل سيدي عبدالله بن عبدالله الترجمان أسكنه الله فسيح الجنان بمنه آمين.
وفي (أ): هذا كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب غفر الله لمؤلفه ولكاتبه وللمسلمين أجمعين آمين.
وفي (م): هذا كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للشيخ العلّامة الموثق عبدالله بن عبدالله الترجمان رحمه الله تعالى آمين.

(٢) ساقطة من (ر). (٣) في (ر): (يقول).

(٤) جملة (فيقول.. إلى.. بمنه) لا توجد في (أ) و(م).

(٥) في (أ): (الجماعات).

وفقه[١] الدين، واتباع سنن النبيين[٢]، وعرفنا أخبار الأولين والآخرين على لسان خاتم المرسلين[٣] سيدنا ومولانا محمد، أفضل المخلوقين وإمام[٤] أئمة المتقين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين أبد الآبدين.

وبعد[٥]، فإنه لما من الله عليّ بالهداية إلى الصراط المستقيم، والدخول في دين الله القويم[٦]، الناسخ[٧] (به كل)[٨] دين، الذي بعث به حبيبه وصفيه محمداً المجتبى[٩] المختار/ المصطفى[١٠] من بين النبيين والمرسلين[١١]، صلى الله عليه وسلم، إلى يوم الدين[١٢]. [٢ ب]

ونظرت في دلائله القاطعة وبراهينه الساطعة فإذا هي لا تخفى على من له أدنى تمييز إلّا من لا يبصر بيض النعام في[١٣] الشونيز[١٤]، ووجدت تصانيف[١٥]علمائنا الإسلاميين رضي الله عنهم محتوية على ما لا[١٦]مزيد

---

(١) في (أ)، (م): (ورفعة الدين).

(٢) في (ر): (المرسلين).　　(٣) في (م): (النبيين).

(٤) في الأصل و (أ) و (ر): (إيمام أئمة) والمثبت من (م).

(٥) في (م): (أما بعد).

(٦) في (أ) و (م): (والدخول في دين الإسلام الدين القويم).

(٧) قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: الآية ١٩)، فالدين واحد ورسالة الرسول ﷺ نسخت الشرائع السابقة للإسلام، وأبقت على جوهر التوحيد، الذي نادى به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجاءت بشريعة عامة شاملة. وقد تناولنا موضوع النسخ بالتفصيل في موضعه.

(٨) في (م): (لكل).

(٩) في الأصل: (المجتبا) وهو خطأ، والمثبت من (ر) و(أ). وفي (م) زيادة: (ﷺ).

(١٠) ساقطة من (ر).　　(١١) ساقطة من (أ).

(١٢) ساقطة من (أ) و (م).　　(١٣) في (أ) و (م): (من)

(١٤) الشونيز: هي الحبة السوداء قال السخاوي: (قال ابن شهاب الحبة السوداء الشونيز). راجع المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٨٢.

(١٥) قام العلماء المسلمون بوضع الكتب والمصنفات وناقشوا فيها أهل الكتاب حسب التوجيه القرآني المطلوب حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي =

عليه، إلّا أنهم ـ رحمهم الله ـ قد سلكوا في معظم[1] احتجاجهم على أهل الكتاب من[2] النصارى واليهود مسلك مقتضيات[3] المعقول، بل[4] الحافظ (أبو)[5] محمد بن حزم ـ رحمه الله ـ[6] قد ردّ عليهم بالمعقول والمنقول[7]،

= أحسن﴾ (العنكبوت: الآية ٤٦)، فردوا على مطاعن اليهود والنصارى، بأسلوب علمي رصين، وبيّنوا وجه الحق بالأدلة العلمية القاطعة، ومن بين العلماء الذين كتبوا في مجال الرد على النصارى:

١ ـ الإمام أبي محمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، في كتابه الفصل في الأهواء والملل والنحل. مطبوع.

٢ ـ الإمام عبدالملك بن عبدالله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨، في كتابه شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوارة والإنجيل من التبديل، مطبوع في مصر.

٣ ـ الإمام أبي حامد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، في كتابه الرد الجميل على من بدل الإنجيل، مطبوع في مصر.

٤ ـ الإمام محمد بن أبي القاسم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ، في كتابه الملل والنحل، مطبوع في مصر.

٥ ـ الإمام القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ، في كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، مطبوع في مصر.

٦ ـ الإمام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبوع عدة طبعات.

٧ ـ الإمام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٦٥١ هـ، في كتابه إغاثة اللهفان. وكتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، مطبوع عدة طبعات.

٨ ـ أبو الفضل المالكي المسعودي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ، في كتابه المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، مطبوع في مصر.

(١٦) في (أ): (من لا).

(١) في (أ) و(م): (مقطع).

(٢) في (م): (في).

(٣) في (أ) و(م): (مقتضى).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) ساقطة من الأصل وجميع النسخ.

أما ترجمته فهو: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري... كان صاحب حديث وفقه وجدل، وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط، وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه... ومن تآليفه كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل وكتاب الصادع الرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق =

خصوصاً ما في كتبهم، واعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلاّ النادر[1] من المسائل فكنت شديد الحرص[2] على أن أضع في الرد عليهم موضوعاً بطريق النقل[3] وحقيقة الإنصاف بالعقل[4]، يجمع بين النقل[5] والقياس[6]، وتتفق عليه العقول والحواس، أبين فيه باطل[7] نواميسهم[8]،

= التقليد، وكتاب شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله، وكتاب الجامع في صحيح الحديث وباختصار الأسانيد. . إلخ. وعن صاعد في تاريخه: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار (ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي ٤٥٦ هـ) في البادية عشية يوم الأحد لليلتين من شعبان.

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، ٢/٧٧ ـ ٧٩ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان ٣/٣٢٥ ـ ٣٣٠.

(٦) في (أ) و (م): (تعالى).

(٧) كان ابن حزم سبّاقاً إلى الرد على أهل الكتاب،بالطرق العقلية والنقلية وذلك في كتابه الفصل الذي نال به شهرة كبيرة في مجال علم مقارنة الأديان، وثناء المؤلف عليه يعتبر شهادة مهمة وتوثيقاً له.

(١) في الأصل: (في نادر) والمثبت من (م). (٢) في (ر): (الحزم).

(٣) أي: أن المؤلف سيرد عليهم من نصوص الأناجيل مباشرة.

(٤) أي: بما يتوصل إليه العقل من الحقائق والبراهين المسلمة.

(٥) في الأصل: العقل والمثبت من (م).

(٦) القياس في اللغة، التقدير، يقال: قست الثوب بالذراع أي: قدرته، ويقال قس النعل بالنعل أي: قدره به. وهو في اصطلاح المناطقة: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر، كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث. . . انظر: التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ص ٧٨، وامتاع العقول بروضة الأصول، عبدالقادر شيبة الحمد ص ١٦٧، وأصول الفقه محمد زكريا البرديسي، ص ٢٢٦.

(٧) في (م): (أباطيل).

(٨) نواميسهم: جمع ناموس، (الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره ويخصه بما يستره عن غيره، وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام الناموس)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي ص ٦٨٠. كما تطلق على الشريعة، وربما قصد المؤلف هذا المعنى من قوله (نواميسهم) فهو يريد تخطئة الشريعة التي حرّفوها. وانظر: في معنى الناموس. الرائد، جبران مسعود، ص ١٤٧٣؛ القاموس المحيط للفيروزأبادي ٢/٢٦٦.

وإصمات نواقيسهم[1]، وما أسّسوه من القول بالتثليث[2]، والأخذ بذلك المذهب الخبيث، وأذكر أناجيلهم ومن ألفها / وشرائعهم ومن صنفها وفساد عقولهم، وإبطال[3] كفرهم في منقولهم وافترائهم على عيسى المسيح وكذبهم على الله في أمره بالتصريح، وأذكر[4] مقال القسيسين[5] واعتقادهم، واحتيالهم، وفسادهم وتركهم للإنجيل[6] المنزّل على عيسى عليه السلام [٣ أ]

---

(١) جمع ناقوس (الذي يضرب به النصارى لأوقات الصلوات. . .). مختار الصحاح ص ٦٧٥.

(٢) أي القول بعبادة: الأب والإبن والروح القدس، وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

(٣) في (ر): (إبدال). (٤) في (م) زيادة: (مع ذلك).

(٥) جمع قسيس وقس: (رئيس من رؤوساء النصارى في الدين والعلم. . .). انظر: مختار الصحاح ص ٥٣٤؛ والقاموس المحيط ٢/ ٢٤٩.

كما (. . أصبح للقسيس اليوم مرتبة غير المرتبة التي كان عليها في السابق إذ أصبح فوقه رؤوساء ودونه مراتب). انظر: تاج العروس للزبيدي ٤/ ٢١٦.

(٦) هناك إنجيل واحد أنزله الله على عيسى عليه السلام، والمطلع على الأناجيل الأربعة التي يعتمدها النصارى كمصدر أساسي لعقائدهم يحار بسبب فقدان سندها، ووجود الاختلافات والتناقضات التي تحفل بها نصوصها، كما أن صياغتها وركاكة ألفاظها وعدم بيانها لا تدل على أنها وحي منزّل من عند الله تعالى، ولهذا يطرح السؤال التالي: أين الإنجيل الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام، الذي أنزله الله لتقويم إعوجاج بني إسرائيل، وردهم عن غيهم؟ ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بأن نصوصاً من العهد الجديد قد حوت بين طياتها ما يشير إلى وجود إنجيل عيسى عليه السلام إبّان دعوته وأنه كان يبشر به بين القوم ويدعو إلى عبادة الله الواحد، ومن ذلك ما جاء في الإصحاح الأول من إنجيل مرقس: (. . وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) مرقس ١: ١٤.

وقد علّق المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة على ذلك قائلاً: (ولا شك أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحداً من هذه الأناجيل ـ أي الأربعة ـ لأنها لا تضاف إلّا إلى أصحابها باتفاق النصارى ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه وهم لا يزالون في دور التعليم. . لهذا كله نقول: ليس هذا الإنجيل واحداً منها كما تقتضي بذلك طبيعة السياق). محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة، ص ٦٥/٦٦.

وجحدهم لما فيه من صفات نبينا محمد عليه الصلاة والسلام[1] ثم نذكر بعد ذلك حقيقة قربانهم وسجودهم[2] لصلبانهم، ـ أبعدهم الله تعالى وأخزاهم ـ حتى ألهمني الله تعالى إلى الرأي السديد في تأليف هذا المختصر السعيد.

وقد بدأت فيه بذكر بلدي، ونشأتي[3]، ثم رحلتي عن ذلك المقام ودخولي في دين الإسلام والإيمان بسيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام[4].

ثم اتبعت ذلك بماغمرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس[5] أحمد ابن الأمراء المكرمين، وبعض ما اتفق لي في أيامه، ثم في أيام ولده مولانا

---

(١) لقد جاءت أوصاف النبي ﷺ في العهدين القديم والجديد وذلك مرة باسم البارقليط وأخرى بالمعزى، إلاّ أن أهل الكتاب ينكرون ذلك ولكن إنجيل برنابا وهو أحد الأناجيل التي حرمتها الكنيسة قد ذكر تلك الأوصاف وذلك في الفصل السادس والتسعين فقرة ١٥/٩. وأما الإسم فقد جاء كالتالي: (جاءت طائفة من اليهود عيسى يسألون عن إسم النبي الذي يبعث في آخر الزمان فقال عيسى إن الله تعالى خلق النبي في آخر الزمان ووضعه في قنديل من نور وسمّاه محمداً...). انظر: إنجيل برنابا، دراسات حول وحدة الدين، الفصل السابع والتسعين، ص ١٦١، هامش (ذ).

(٢) لم يكتف النصارى بالسجود للصلبان بل انتقلوا إلى السجود للأيقونات وهي صور وتماثيل لمريم عليها السلام وقد انتقد القس عبدالله صايغ ذلك بقوله: (.. ثم يوجد ما يمنعنا نحن الإنجيليين عن قبول الوحدة أو الاتحاد مع التقليديين هو السجود للتماثيل والأيقونيات... فهذه العقيدة لم تدخل الكنيسة قبل القرن الرابع..). انظر: الوحدة أو الاتحاد المسيحي، القس عبدالله صايغ ص ٣٦/٣٧.

(٣) في الأصل: (تشأى). وفي (م): (منشأى)، والمثبت من (ر).

(٤) في (أ): (ﷺ).

(٥) في (أ): أحمد بن فارس سلالة الأمراء الراشدين. وأبو العباس هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس الحفصي، من كبراء ملوك الحفصيين بتونس، يلقب (بابي السباع) كان أميراً على قسطينة وثار على السلطان خالد بن إبراهيم صاحب تونس سنة ٧٧٢ هـ، وقمع الفتن وكان ملء السهل والجبل، واستعاد البلاد من المتغلبين فدخلت في طاعته بلاد الجريد وقابس وجربة وطرابلس والزاب وقويت أساطيله فغزا الشواطىء المجاورة واستمر إلى أن توفي بتونس. وكان عادلاً حازماً شجاعاً من مفاخر الحفصيين. =

أمير المؤمنين أبي فارس عبدالعزيز[1]، ونذكر طرفاً من سيرته الحميدة وآثاره[2] الجميلة، ثم أتبعت ذلك بما تقدم ذكره من الرد على دين النصرانية، وثبوت فضل الملة المحمدية، ولما حصل هذا المختصر الغريب على هـذا الترتيب سميته: [٣ ب]

تحفة[3] الأريب[4] في الرد على أهل الصليب

= ومن حسنات المولى أبي العباس أحمد إقامة القراء في الأسبوع بالمقصورة غربي جامع الزيتونة، وأوقف على ذلك وقفاً مؤبداً والسقاية التي ببطحاء الشيخ سيدي مردوم.
انظر: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج ١٠٦٥/٤/١؛ المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لابن أبي دينار ص ١٥١ وما بعدها.
كما أن العلاّمة عبدالرحمن بن خلدون المؤرخ الكبير قد عاصر أبا العباس وقد كتب عنه مطولاً. انظر: تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر عبدالرحمن بن خلدون المغربي ٨٥٩/١/٦.

(١) الأمير أبو فارس عبدالعزيز: هو ابن المولى أبي العباس أحمد بن أبي عبدالله محمد... الحفصي، بويع في شعبان بعد وفاة والده وقام بالأمر أتم قيام ورتب الأحوال وأعطى الأموال وأصلح البلاد وقمع أهل الفساد وكان شجاعاً حازماً تقياً معتقداً في الصالحين موقراً للعلماء كثير الصدقات ومعظم أعماله كان في فتح البلدان وإخضاع المارقين لحكمه وقام بعدة غزوات ـ ذكرها الترجمان في التحفة ـ. وتوفي عام سبعة وثلاثين وثمانمائة فجأة بعدما تطهر ولبس ثيابه، ودفن حيث دفن والده فكانت مدة خلافته واحداً وأربعين عاماً وأربعة أشهر وسبعة أيام... قال ابن أبي دينار: وإذا ذكرت خلافة الحفصيين بدونه يظهر في خلافتهم نقص.
انظر: بتصرف عن المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لابن أبي دينار ص ١٥٣؛ والحلل السندسية ص ١٠٧١/٤/١. كذلك كتب العلاّمة ابن خلدون في تاريخه عن أبي العباس. انظر: تاريخ العلاّمة ابن خلدون ٨٣٧/١/٦ و ٨٥٧.

(٢) في (ر): (مآثره).

(٣) التحفة: بالضم ومهمزة: (البر والعطف والطرفة) جمع تحف وقد أتحفته أو أصلها وحفته فتذكر في وحف. انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي ١٢٤/٣؛ ومختار الصحاح ص ٧٦؛ ولسان العرب ١٧/٩.

(٤) في (أ): الأديب، وكذلك في (م) وهو خطأ من الناسخ. والأريب: (من أرب) الأرب بالكسر العضو وجمعه آراب بمد أوله ومنه الأريب وهو العاقل. انظر: القاموس ٣٧/٢؛ ومختار الصحاح ص ١٣؛ ولسان العرب ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩.

وجعلته ثلاثة[1] فصول، لتسهل مطالعته على الناظر ولا يمله الخاطر.

الفصل الأول: في ابتداء إسلامي وخروجي من دين النصرانية إلى الملة الحنيفية[2]، وفيما غمرني من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أحمد وبعض ما اتفق لي في أيامه[3].

الفصل الثاني: فيما اتفق لي في أيام[4] مولانا[5] أمير المؤمنين أبي فارس عبدالعزيز ونذكر طرفاً من سيرته الحميدة وآثاره[6] الجميلة وقت تصنيفي لهذا الكتاب وهو عام (ثلاثة وعشرين وثمانماية للهجرة)[7].

الفصل الثالث: في مقصود هذا الكتاب[8] من الرد على النصارى في دينهم وثبوت نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بنص التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء صلوات الله / عليه[9] وعليهم أجمعين [٤ أ] وبتمامه[10] يتم الغرض من تصنيف هذا الكتاب بحول الله وقوته.

---

(١) في الأصل: (ثلاث فصول)، وهو خطأ.

(٢) في (أ) و (ر): (الملة الحنيفية)، وكلاهما صحيح. انظر: مختار الصحاح ص ١٥٩؛ والقاموس ص ١٣٥.

(٣) في الأصل: في أمهم، والمثبت من (أ) و (ر).

(٤) في (أ): (أيام ولده). (٥) ساقطة من (أ).

(٦) في (أ) و (م): (مآثره).

(٧) في (أ): (وهو عام ٨٢٣ ثمانماية وثلاثة وعشرين سنة)، وفي (ر): (من الهجرة).

(٨) في (أ) و (م): (في المقصود من هذا الكتاب من الرد).

(٩) ساقطة من (أ) و (م).

(١٠) في (ر) و (م): (إن شاء الله).

الفصل الأول

اعلموا رحمكم الله أن أصلي من مدينة ميورقة(١)، أعادها الله للإسلام(٢) وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين يشقها(٣) وادٍ صغير وهي مدينة متجر، ولها مرساتان(٤) ـ اثنان(٥) ـ عجيبتان، ترسوا(٦) بهما السفن الكبيرة(٧) للمتاجر(٨) الجليلة والمدينة في(٩) جزيرة تسمى باسم المدينة (ميورقة) وأكثر غاباتها(١٠) زيتون وتين، ويحصل منها في عام خصابة زيتونها أزيد من (عشرين ألف بتية(١١)زيتاً لبلاد(١٢)مصر والاسكندرية، وبجزيرة

---

(١) ميورقة: هي جزيرة في البحر الزقاقي (الأبيض المتوسط، جنوب إسبانيا اليوم) تسامتها من القبلة بجاية، من البر العدوة، بينهما ثلاث مجار، ومن الجوف برشلونة في بلاد أرغون. . . ومن الشرق إحدى جزيرتيها منرقة. . . وشرقي ميورقة جزيرة سردينية. . وميورقة أم هاتين الجزيرتين، فتحها المسلمون سنة تسعين ومائتين إلى أن تغلب عليها العدو البرشلوني وخربها سنة ثمان وخمسمائة. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ترجمة د. إحسان عباس.

(٢) في (أ): (إلى الإسلام).

(٣) في الأصل: (ينشقها) وهو خطأ، والمثبت من (أ) و (ر).

(٤) في الأصل: (مرستان) والمثبت من (أ) وفي (م): (مرساقان).

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) جميع النسخ ترسى وما أثبتناه أصح.

(٧) في (أ) و (م): (السفن الكبار).

(٨) في (أ) و(م): (بالمتاجر).

(٩) ساقطة من الأصل والمثبت من (م).

(١٠) في الأصل و(أ) و (م): (غابتها) والمثبت من (ر).

(١١) في الأصل: (بتيات) والمثبت من (أ)، وفي (ر): (تبنية)، ويمكن أن تكون أحد المكاييل. وفي (م): (عشرين بتية).

(١٢) في (أ) و (م): (زيت لمصر).

ميورقة المذكورة، أزيد من مائة وعشرين حصناً[1] مسورة عامرة وبها[2] عيون ماء[3] كثيرة، وتشق جميع جهاتها وتصب في البحر.

وكان والدي محسوباً من أهل حاضرة[4] ميورقة ولم يكن له ولد غيري ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين، قرأت[5] عليه الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في مدة سنتين. / ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل[6] وعلم المنطق[7] في ست سنين)[8]. [٤ ب]

ثم ارتحلت من بلدي[9] ميـورقـة إلى مـدينـة لاردة[10] من أرض

---

(١) في (أ): (مائة وعشرين حصن).

(٢) في (م): (فيها). (٣) في (أ): (عيون كثيرة).

(٤) حاضرة: (ضد بادية، وهي المدن والقرى والريف، والبادية ضدها يقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية وفلان حضري وفلان بدوي). مختار الصحاح، ص ١٤١.

(٥) في (م): (فقرأت).

(٦) في الأصل: (لغت الإنجيل) والمثبت من (ر) واللغة الأصلية للإنجيل تتحدث عنها الموسوعة الأمريكية فتقول: (إن العهد الجديد من أوله إلى آخره هو كتاب إغريقي، فعلى الرغم من أن التعاليم الأولى الشفوية التي تختص بأعمال يسوع وأقواله لا شك أنها كانت متداولة بالأرامية وهي اللغة التي كانت سارية في فلسطين وبعض أجزاء الشرق الأوسط وبالتأكيد بين اليهود وهي اللغة التي تكلم بها المسيح وتلاميذه فإنه لم يمض وقت طويل قبل أن تترجم هذه التعاليم الشفوية إلى الإغريقية الدارجة التي كانت لغة الحديث في عالم البحر الأبيض المتحضر ولا تزال بقايا من الآرامية الأصلية توجد هنا وهناك في أسفار العهد الجديد وعلى سبيل المثال ما نجده في مرقس ٥: ٤١ و ١٥: ٣٤). انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبدالوهاب، ص ٢٠ ـ ٢١.

(٧) المنطق: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر... انظر: التعريفات للشريف الجرجاني، ص ١٠٢.

(٨) الجملة من قوله: (ثم ارتحلت... إلى... ست سنين) ساقطة من (أ).

(٩) في (أ) و(م): (من مدينة).

(١٠) كذا في الأصل وفي (ر): (لازدة) وفي (أ) و(م): (الابزدية).

القسطلان[1] وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر، ولها وادٍ كبير يشقها رأيت التبر[2] مختلطاً[3] برمله[4] إلّا أنه صح (عند جميع[5] أهل) ذلك القطر (أن النفقة في تحصيله لا تفي بقدر فائدته)[6] فلذلك ترك وبهذه المدينة فواكه[7] كثيرة، رأيت الفلاحين بها يقسمون الخوخة[8] على أربعة أفلاق ويجففونها[9] في الشمس وكذلك يجففون[10] القرع والجزر[11]، فإذا[12] (أكلها في الشتاء نقعوها في الليل في الماء وطبخوها كأنها طرية في أوانها)[13] وبهذه المدينة تجتمع[14] طلبة العلم من النصارى وينتهون إلى ألف رجل أو[15] ألف وخمسمائة ولا يحكم فيهم[16] إلّا القسيس الذي يقرؤون عليه وأكثر غلات أطيانها[17] الزعفران[18].

---

(١) في الأصل: (القلسطان) وفي (ر): (القطلان) والمثبت من (أ) و (م): وهي تدعى اليوم كاستيلون، وتدعى أيضاً قسطلة، قال ياقوت: مدينة بالأندلس قد نسب إليها جماعة من أهل الفضل منهم عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلي كاتب الإنشاء لابن أبي عامر وكان شاعراً. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٤٧/٤.

(٢) التبر: أي الذهب.

(٣) في الأصل و(ر): (مخلوطا)، والمثبت من (أ).

(٤) في (م): (برملها).

(٥) ساقطة من (ر).

(٦) في (أ): (أن فائدته لا تفي بقدر النفقة في تحصيله)، وفي (م): ساقطة.

(٧) في (أ) و (م): (فاكهة).

(٨) في (م): (الخوخة الواحدة).

(٩) في الأصل: (يمقرونها) وفي (ر): (يضرونها)، والمثبت من (أ).

(١٠) في الأصل: (يمقرون)، وفي (ر): (يدخرون)، والمثبت من (أ).

(١١) في (أ): (الجوز).

(١٢) في (ر): (وإذا).

(١٣) ما بين القوسين ورد بصيغة المذكر في كل من (أ) و (م).

(١٤) في (ر): (يجتمع).

(١٥) في (أ) و (م): (و).

(١٦) في (أ) و (م): (بينهم).

(١٧) في الأصل: (أوطانها) وفي (ر): ساقطة، والمثبت من (أ) و (م).

(١٨) الزعفران: (يستعمل لصبغ الثياب، نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة). الرائد ص ٧٧٥.

فقرأت فيها علم الطبيعيات[1] والنجامة[2] مدة[3] ست سنين ثم تصدرت[4] فيها أقرأ[5] الإنجيل ولغته ملازماً لذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة بلونية[6] من أرض الأنبردية[7]، وهي مدينة كبيرة / جداً، [٥ أ] بنيانها بالآجرّ الأحمر[8] الجيد لعدم (وجود)[9] معادن الحجر عندهم ولكن لكل معلم من أهل صناعة الآجر طابع يخصه[10] وعليهم أمين[11] مقدم يحتسب عليهم في طيب طين الآجر وطبخه فإذا تفلح[12] أو تفرك منه شيء غرم الذي صنعه قيمته وعوقب بالضرب وهذه مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر ويجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد[13] من ألفي رجل يطلبون العلوم[14] ولا يلبسون إلاّ الملف[15] (الذي هو صباغ الله)[16] ولو يكون طالب العلم منهم سلطاناً او ابن سلطان فلا يلبس إلاّ ذلك ليمتاز الطلبة عن غيرهم ولا يحكم فيهم[17] إلاّ القسيس الذي يقرؤون عليه.

---

(١) تستعمل هذه الكلمة في علم الكيمياء حيث إنها تختص في تعريف خصائص المواد الكيماوية وإدخالها في تركيب مواد مستحدثة فتدخل في علوم شتى. انظر: المنجد، لويس معلوف، ص ٤٧٥.

(٢) قال صاحب اللسان: (المنجم والمتنجم الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها). لسان العرب لابن منظور ١٢/٥٧٠.

(٣) ساقطة من (ر).

(٤) في (أ) و(م): (ثم تصديت).

(٥) في الأصل: (لقرى الإنجيل)، والمثبت من (أ) و(ر).

(٦) في (أ) و(م): (بلوتية) ولم أجدها.

(٧) في (أ) و(م): (الأبزدية) ولم أجدها.

(٨) ساقطة من (أ) و(م).

(٩) ساقطة من جميع النسخ، والمثبت ما اقتضاه النص.

(١٠) في (أ): (بخطه).

(١١) في (أ) و(م): ساقطة.

(١٢) كذا في جميع النسخ، و(فلح يفلح أي: يشق ويقطع). مختار الصحاح.

(١٣) في (أ) و(م): (أكثر).

(١٤) في (أ) و(م): (العلم).

(١٥) قال صاحب القاموس: (والملف كمقص لحاف يلتف به) القاموس المحيط ٣/٢٠٢.

(١٦) كذا في كل النسخ، ولا أدري مقصوده ولعل هذا الزي مصبوغ بصباغ خاص له قداسة عندهم، والله أعلم.

(١٧) في (أ): (بينهم) وكذا في (م).

(فسكنت في كنيسة[١] لقسيس)[٢] كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: (نقلاو مرتيل)[٣] وكانت منزلته فيهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جداً انفرد بها في زمنه عن جميع[٤] أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة[٥] في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، (وصحب[٦] الأسئلة[٧])- من الهدايا الضخمة - ما هو الغاية في بابه، ويرغبون في / [٥ ب] التبرك به وفي قبوله لهداياهم ويتشرفون بذلك.

فقرأت على هذا القسيس علم أصول[٨] النصرانية وأحكامه[٩]، ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني من أخص خواصه وانتهيت في خدمتي له وتقربي إليه إلى أن دفع[١٠] إلي مفاتيح مسكنه[١١] وخزائن مأكله ومشربه، وصيّر[١٢] جميع ذلك كله على[١٣] يدي ولم يستثن من ذلك سوى[١٤] مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، الظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تهدى إليه، والله أعلم.

---

(١) في الأصل: (كنيسية) والمثبت من (أ) و(م) وهو الأصح. و(الكنيسة مفرد كنائس وتطلق على معان: ١ - محل العبادة عند النصارى. ٢ - جماعة المؤمنين من النصارى..) إلخ. الرائد ص ١٢٥٨.

(٢) في جميع النسخ: (فسكنت فيها كنيسة لقسيس)، والمثبت هو ما اقتضاه السياق.

(٣) كذا في الأصل و(ر) وفي (أ) و(م): (نقلاوس) ولم أعثر على ترجمته.

(٤) ساقطة من (أ).

(٥) في الأصل: (الأسولة)، والمثبت من (أ) و(ر).

(٦) في جميع النسخ (صحبه الأسئلة) والأصح ما اقتضاه السياق.

(٧) في الأصل: (الأسولة) والمثبت من (أ) و(ر) و(م).

(٨) في (ر): (علم أصول دين النصرانية).

(٩) ساقطة من (ر).

(١٠) في (أ) و(م): (لي).

(١١) في (أ) و(م): (سكنه).

(١٢) في (أ): (وبقى).

(١٣) كذا في جميع النسخ والأصح: تحت يدي.

(١٤) في الأصل: سوا، والمثبت من (أ) و(ر).

فلازمتـه على ما ذكرت من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثم[1] أصابه مرض يوماً من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس أقرانه، وانتـظره أهل المجلس وهم يتذاكـرون مسائـل من العلوم[2]، إلى أن أفضى[3] بهم الكـلام إلى قول الله عـزّ وجـل عـلى لسـان نبيـه عيسى عليـه السـلام في الإنجيل[4]: إنه يأت من بعده نبي اسمه (البارقليط)[5]، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم وكثر جدالهم ثم انصرفوا[6] من غير تحصيل فائدة في تلك المسألة، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور، فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم[7] من البحث في غيبتي عنكم؟ فأخبرته باختـلاف القوم في اسم (البارقليط) وأن فلاناً قد أجاب بكذا، وأجاب فـلان بكذا وسردت له أجوبتهم فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فـلان في تفسيره[8] الإنجيـل، فقال لي: مـا قصرت، وقـربت[9]، وفـلان

[٦ أ]

(١) في (م): (ثم إنه).
(٢) في (أ) و (م): (من العلم).
(٣) في الأصل: (أفضا)، والمثبت من (أ) و (ر) و(م).
(٤) وردت هذه الكلمة في الأناجيل مرة بلفظ (المعزى) ومرة بلفظ آخر هو (بارقليط). انظر: انجيل يوحنا إصحاح ١٦: ٥ ـ ١٦.
(٥) (بـارقليط) تعريب لكلمـة (بيريكلتـوس) وقـد حصـل نقـاض بـين الأستاذ عبـد الوهـاب النجار و د. كـارلو نلينـو حول هـذه الكلمـة فقـال: .. ثم قلت لـه: (وأنـا أعلم أنـه حـاصـل عـلى شهـادة الـدكتـوراه في آداب اليهـود اليونانية القديمة ما معنى (بيريكلتوس)؟ فأجابني بقوله: إن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها (المعزى) فقلت: إني أسأل الدكتور (كـارلو نلينو) الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً، فقال: إن معناها (الذي له حمد كثـير) فقلت: هل ذلـك يوافق أفعـل التفضيل من حمـد؟ فقـال: نعم، فقلت: إن رسول الله ﷺ من أسمائه (أحمد) فقال: يا أخي أنت تحفظ كثيراً...). انظر: قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
(٦) في الأصل: (عن غير)، والمثبت من (أ).
(٧) في (م): (في البحث).
(٨) في (م): (في تفسير).
(٩) في (أ): (قاربت).

أخطأ[1]، وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلّا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلّا القليل، فبادرت إلى قدميه أقبلهما، وقلت له: يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك[2] فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعلّ من جميل إحسانكم أن تمنوا[3] علي[4] بمعرفة هذا الاسم[5]. . . . فبكى [6] الشيخ وقال لي [7] : يا ولدي . . والله أنت لتعز عليّ كثيراً من أجل خدمتك [8] لي وانقطاعك إليّ في معرفة هذا الاسم الشريف[9] ، فائدة عظيمة، لكني[10] أخاف عليك أن يظهر[11] ذلك عليك فتقتلك[12]عامة النصارى في الحين، فقلت له: يا سيدي والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره[13]إليّ إلّا عن أمرك. فقال لي[14]: يا ولدي إني سألتك في أول (قدومك[15]عليّ عن بلدك)[16]وهل هو قريب من المسلمين؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدي أن البارقليط[17]هو اسم من أسماء

[٦ ب]

---

(١) في (م): (أخطى). (٢) في (م): (عندك).

(٣) في الأصل و (أ) و (م): (تكملوا)، والمثبت من (ر).

(٤) ساقطة من (أ) و (م). (٥) في (أ) و (م): (الشريف).

(٦) في الأصل: (فبكا) وهو خطأ، والمثبت من (أ) و (ر). وبكاء الشيخ يثبت ما جاء في قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (المائدة: الآية ٨٣).

(٧) ساقطة من (م). (٨) في (م): (على).

(٩) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ) و (م).

(١٠) في (أ) و (م): (لكن). (١١) في (أ) و (م): (أن تظهر).

(١٢) في (م): (فيقتلك). (١٣) في (أ) و (م): (تسر).

(١٤) ساقطة من (أ). (١٥) في (م) بزيادة: (إلا).

(١٦) في (أ) و (م): (قدومك إلا على عن بلد).

(١٧) من الواضح أن هذا القسيس يؤمن برسالة النبي ﷺ إذ أنه يعرف أوصافه الموجودة في التوراة والإنجيل، وقد تحدث العلماء المسلمون عن معرفة علماء أهل الكتاب للنبي محمد =

نبيهم[1] محمد صلى الله عليه وسلم وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال[2] عليه السلام وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه وأن دينه هو دين الحق[3] وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل. قلت[4] له: يا سيدي وما تقول في دين هؤلاء[5] النصارى؟ فقال لي: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا[6] على دين الله، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله[7]. ولكن بدلوا وكفروا[8].

= عليه الصلاة والسلام، وقد نقل الإمام الجويني ـ رحمه الله ـ ما تناولته الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿فاسئل الذين يقرؤون الكتاب﴾ (يونس: الآية ٩٤) وما يتعلق بها من معانٍ، وأشار إلى قول صاحب الكشاف الذي قال: (والمعنى أن الله تعالى قدم ذكر بني إسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم..) وخلص إلى القول: (فالغرض: وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله...). انظر: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، للإمام عبدالملك بن عبدالله الجويني.

(١) في الأصل: (نبيه)، والمثبت من (أ) و(ر) و(م).

(٢) نقل الشيخ رحمة الله الهندي (في البشارة الحادية عشر) في الباب الثاني من كتاب دانيال حال الرؤيا التي رآها بختنصر ملك بابل ونسي، وهي رؤيا طويلة. انظر: دانيال ٢: ١ ـ ٤٦، وخلص إلى أن تلك الأوصاف تنطبق على الرسول ﷺ. انظر: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ترجمة عمر الدسوقي، ٢/٢٦٧.
ودانيال نبي عند أهل الكتاب وترجمته عندهم أنه اسم عبري معناه: (الله قضى) وهو إسم أحد الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة شريفة ويظن أنه ولد في أورشليم.. ثم بعدما تعلم دانيال ثلاث سنين أعطاه الله فرصة لإظهار علمه وحكمته ففسر حلماً لنبوخذ نصر كان قد أزعجه ومكافأة له على هذه الخدمة نصبه حاكماً على بابل ورئيساً على جميع حكامها... وله سِفر يدعى دانيال..). قاموس الكتاب المقدس، نخبة من أساتذة اللاهوت، ص ٣٥٨.

(٣) في (أ) بزيادة: (ناسخ لجميع الأديان). (٤) في (أ) و(م): (فقلت).

(٥) في الأصل و(ر): (هذه النصارى)، والمثبت من (أ).

(٦) في (م): (كانوا) و(الأول) ساقطة.

(٧) قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط =

فقلت له: يا سيدي (وكيف الخلاص)[1] من هذا الأمر؟ فقال[2]: يا ولدي بالدخول في دين الإسلام. قلت له: وهل ينجو الداخل منه؟ قال لي: نعم ينجو في الدنيا والآخرة، فقلت: يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلّا (أفضل[3] ما) يعلم فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك منه؟ فقال لي: يا ولدي إن الله تعالى لم يطلعني / على حقيقة ما أخبرتك به من فضل [٧ أ] الإسلام[4] وشرف نبي أهل الإسلام[5] إلّا بعد كبر سني ووهن جسمي[6] (ولا عذر لنا فيه بل هو حجة الله علينا قائمة)[7] ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة وأنت[8] ترى ما أنا فيه عند النصارى[9] من رفعة الجاه والعز والترف[10] وكثرة عرض الدنيا ولو أني ظهر علي شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلتني العامة[11] في أسرع وقت وهب أني نجوت منهم، وخلصت إلى المسلمين فأقول لهم: إني جئتكم مسلماً، فيقولون لي: قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في دين الحق فلا تمن علينا بدخولك في دين خلصت به نفسك من عذاب الله، فأبقى[12] بينهم شيخاً كبيراً فقيراً ابن تسعين سنة[13] لا أفقه لسانهم

= وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد: الآية ٢٥).

(٨) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ).

(١) في (م): (وكيف لي بالخلاص).

(٢) في (م): (فقال لي).

(٣) في (م): (الأفضل مما).

(٤) في (أ) و (م): (دين الإسلام).

(٥) في (أ) و (م): (وشرفه)، وسقطت جملة (وشرف نبي أهل الإسلام).

(٦) في (أ) و (م): (ووهن عظمي).

(٧) ساقطة من الأصل و (ر)، والمثبت من (أ) و (م).

(٨) في (م): (فأنت).

(٩) ساقطة من (م).

(١٠) في (أ) و (م): (والشرف)، وفي (ر): (القرب).

(١١) في (أ) و (م): (عامة النصارى).

(١٢) في الأصل: (فأبقا)، والمثبت من (أ)، و (ر).

(١٣) ساقطة من (م).

ولا يعرفون حقي[١] فأموت بينهم جوعاً[٢] وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به، يعلم الله ذلك مني[٣]، فقلت له: يا سيدي أفتدلني[٤] أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم؟ فقال لي: إن كنت عاقلاً طالباً

---

(١) هذا تخيل مبني على اجتهاد خاطىء، ذلك أن الإسلام الحنيف بتعاليمه السمحة نادى بحقوق الإنسان أيّاً كان، وتشريعه الحكيم الشامل راعى الجوانب الدنيوية للإنسان وحافظ على كرامته وراحته، ونظم علاقة الأفراد ببعضهم، وضمن لهم حرية العمل والكسب وفق نصوص الشريعة السمحة وأقر نظام التكافل الاجتماعي مراعياً الرحمة بالمساكين والشفقة على المعوزين وأصحاب الحاجة بما لا نجده في تشريع غير التشريع الإسلامي الحنيف. كما عامل الإسلام أهل الذمة (أهل الكتاب) بالحسنى فقد قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة: الآية ٨).
وقد حفل التاريخ الإسلامي بالأمثلة على حسن المعاملة التي اتبعها المسلمون مع أهل الكتاب، قال أبو عبيد: (حدثنا محمد بن كثير عن أبي رجاء الخراساني عن جسر أبي جعفر قال: شهدت كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطأة ـ قرىء علينا بالبصرة ـ: أما بعد، فإن الله سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عتياً (الاستكبار ومجاوزة الحق) وخسراناً مبيناً فضع الجزية على من أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض فإن في ذلك صلاحاً لمعاش المسلمين وقوة على عدوهم وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبر سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه، فلو أن رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب كان من الحق عليه أن يقوته حتى يفرق بينهما موت أو عتق. وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال: ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ثم ضيعناك في كبرك قال: ثم أجري عليه من بيت المال ما يصلحه). انظر: كتاب الأموال للإمام أبي عبيدالقاسم بن سلام، ت. محمد خليل هراس. وانظر: أخبار عمر، علي وناجي الطنطاوي، ص ١١٠ ـ ١١١.

(٢) في (م): (بالجوع).

(٣) واضح أن ما جاء به عيسى عليه السلام هو التوحيد الخالص، فإنه دعوة جميع الرسل عليهم السلام.

(٤) في الأصل: (فتدلني)، والمثبت من بقية النسخ.

للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة ولكن يا ولدي هذا أمر[١] لم يحضره أحد معنا الآن فاكتمه بغاية[٢] جهدك وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك[٣] العامة لحينك[٤] ولا أقدر على نفعك ولا ينفعك[٥] / أن تنقل ذلك [٧ ب] عني فإني أجحده وقولي مصدق عليك وقولك غير مصدق علي، وأنا بريء من[٦] ذلك إن فهت بشيء من هذا. فقلت: يا سيدي أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا وعاهدته بما يرضيه[٧].

ثم أخذت في أسباب الرحلة وودعته فدعا[٨] لي (عند الوداع[٩] بخير) وزودني بخمسين دينار ذهباً وركبت[١٠] البحر منصرفاً إلى بلدي[١١] مدينة ميورقة فأقمت بها مع[١٢] والدي ستة أشهر ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية[١٣] وأقمت[١٤] بها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركباً يتوجه[١٥] لأرض المسلمين.

---

(١) في (م): (هذا الأمر).

(٢) في (م): (غاية). (٣) في (م): (تقتلك).

(٤) الأصح أن يقال: في الحين. (٥) ساقطة من (أ) و (م).

(٦) في (أ) و (م): (من دمك). وإن العقل ليصدق هذه القصة، وإن هناك من القسس من يعتقد بصحة الرسالة المحمدية، إلاّ أنهم يخفون هذا الإيمان خشية من قومهم، كما أن هذه القصة تدلنا على مدى الرهبة القاتلة التي تفرضها الكنيسة على أتباعها، ولهذا تتابع قوافل المؤمنين بالإسلام.

(٧) في الأصل و (ر): (ارضاه)، والمثبت من (أ) و (م).

(٨) في (أ): (فدعى)، وهو خطأ. (٩) ساقطة من (أ).

(١٠) في (أ) و (م): (فركبت).

(١١) في الأصل: (بلد) وفي (أ): (بلاد)، والمثبت من (ر) و (م).

(١٢) ساقطة من الأصل و (ر)، والمثبت من (أ).

(١٣) في (م): (مدينة صقلية)،وهي: جزيرة في قطعة من البحر الشامي (المتوسط) وبينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلاً، فتحها المسلمون سنة اثنتي عشرة ومائتين بقيادة أسد بن الفرات الذي قاتل البطريق بها حتى قتله. ومعنى كلمة صقلية باللسان القديم: تين وزيتون، وسميت صقلية باسم سيقلو أخو إيطال الذي به سميت إيطاليا. . . وكان =

فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس[١]، فسافرت فيه من صقلية، وأقلعنا[٢] عنها قرب[٣] مغيب الشفق، فوردنا مرسى تونس قرب الزوال.

فلما نزلت[٤] بديوان تونس وسمع بي الذين بها من أحبار[٥] النصارى أتوا بمركب وحملوني معهم إلى ديارهم، وصحبتهم[٦] بعض التجار الساكنين أيضاً بتونس[٧] فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان[٨] أحد يحفظ لسان النصارى، وكان السلطان آن ذاك مولانا أبا[٩] العباس أحمد ـ رحمه الله ـ فذكر[١٠] لي النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلاً فاضلاً من أكبر[١١] خدامه اسمه / يوسف [٨ أ] الطبيب[١٢] وكان طبيبه، ومن خواصه، ففرحت بذلك فرحاً شديداً.. وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب، فدللت[١٣] عليه واجتمعت به وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي للدخول في الإسلام، فسر[١٤] الرجل

= بهذه الجزيرة ملوك وقواد للمسلمين وعلماء صالحون. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، ص ٣٦٦.

(١٤) في (أ) و (م): (فأقمت). (١٥) في (أ): (يتوجه إلى بلاد).

(١) تونس: مدينة كبيرة محدثة (بإفريقية) على ساحل بحر الروم (المتوسط) عمرت على أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها: قرطاجنة وكان اسم تونس في القديم ترشيش... وهي من أصح بلاد إفريقيا هواء، وهناك أوصاف أخرى لهذه المدينة العريقة. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ٦٠.

(٢) في (أ): (فاقلعنا). (٣) في (أ): (عن قرب).

(٤) الأصل و (ر): (أنزلت)، والمثبت من (أ) و (م).

(٥) في الأصل: (أجناد)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في (أ): (وصحبتهم أيضاً). (٧) في (أ): (الساكنين بتونس).

(٨) في (م): (السلطنة). (٩) في (أ): (أبي العباس) وهو خطأ.

(١٠) في الأصل: (فذكروا لي النصارى)، والمثبت من (أ).

(١١) في الأصل و (أ): (من كبرا)، والمثبت من (ر).

(١٢) لم أجد ترجمته.

(١٣) في (أ): (فدلوني عليه)، وكذلك في (م). (١٤) في (أ) و (م): (فانسر الرجل).

بذلك سروراً عظيماً بأن يكون تمام هذا الخير على يديه، ثم ركب فرسه وحملني[١] معه لدار[٢] السلطان[٣]، ودخل[٤] عليه فأخبره[٥] بحديثي واستأذنه لي[٦] فأذن لي.

فمثلت بين لديه، فأول ما سألني السلطان عن عمري، فقلت له: خمسة وثلاثون عاماً، ثم سألني[٧] عما[٨] قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لي[٩] قدمت قدوم خير فأسلم على بركة الله، فقلت للترجمان ـ وهو الطبيب[١٠] المذكور ـ: قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلّا ويكثر أهله القول[١١] فيه والطعن فيه[١٢]، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم[١٣]، وتسألوهم عني وتسمعوا[١٤] ما يقولون في جنابي، وحينئذ أسلم إن شاء الله تعالى، فقال لي بواسطة الترجمان: أنت طلبت ما[١٥] طلب **«عبدالله بن سلام»**[١٦] من النبي

---

(١) في جميع النسخ: (احتملني) وما أثبتناه أصح.

(٢) في (م): (إلى دار).

(٣) في (م): (السلطنة).

(٤) في (م): (فدخل).

(٥) في (م): (وأخبره).

(٦) في جميع النسخ: (فاستأذنه علي) والأصح ما أثبتناه.

(٧) في (أ) و(م): (ثم سألني كذلك).

(٨) ساقطة (من)، وفي (أ): (عنا).

(٩) ساقطة من (م).

(١٠) ساقطة من (أ) و(م).

(١١) في (ر): (الأقوال فيه).

(١٢) في الأصل: الطعن عليه، والمثبت من (أ).

(١٣) في الأصل و(ر): (أجنادهم)، والمثبت من (أ).

(١٤) في الأصل: (وتسمع)، والمثبت من (أ).

(١٥) في (أ) و(م): (طلبت كما).

(١٦) تشابهت قصة إسلام «الترجمان» بقصة إسلام الصحابي الجليل عبدالله بن سلام رضي الله عنه، قال صاحب عيون الأثر: عن عبدالله بن سلام: (وهو من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب نبي الله، وهو حليف للقواقلة، وهم بنو غنم، وبنو سالم ابني عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج...).
رويناً عن ابن سعد... عن أنس بن مالك قال: أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة، قالوا: جاء نبي الله، فاستشرفوا ينظرون، إذ سمع به عبدالله بن سلام، وهو في نخل لأهله يخترف لهم منه، فعجل أن يضع التي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من =

صلى الله عليه وسلم حين أسلم[1].

[٨ ب] ثم أرسل[2] إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم وأدخلني في بيت قريب من مجلسه فلما دخل[3] النصارى عليه / قال لهم: ماتقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا[4] له: يا مولانا هذا عالم كبير في ديننا، (وقالت شيوخنا)[5] إنهم ما رأوا أعلى[6] من درجته[7] في العلم والدين (في ديننا)[8] فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟ قالوا[9]: نعوذ بالله من ذلك هو ما يفعل هذا أبداً. فلما سمع ما عند النصارى بعث[10] إليّ،

= نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله قال: فلما خلى نبي الله ﷺ جاء عبدالله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله حقاً وأنك جئت بحق، ولقد علمت اليهود أني سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس في.

فأرسل نبي الله ﷺ إليهم فدخلوا عليه فقال لهم نبي الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلاّ هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق: أسلموا، قالوا: ما نعلمه. فأعادها عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك». قال: «فأي رجل فيكم عبدالله بن سلام»؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا.. قال: أفرأيتم إن أسلم: قالوا حاشا لله ما كان ليسلم، فقال: «يا ابن سلام اخرج عليهم»، فخرج إليهم فقال: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، والله الذي لا إله إلاّ هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت: فأخرجهم النبي ﷺ).

والقصة موجودة في البخاري من حديث عبدالعزيز بن صهيب راجع فتح الباري ٧: ٢٤٧/٢٥٠؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح محمد بن سيد الناس ١/٢٥٠.

(١) في (م): (ثم أسلم).
(٢) في (م): (فأرسل).
(٣) في (أ): (فلما دخلوا النصارى عليه).
(٤) في (م): (فقالوا).
(٥) في الأصل: (وقالوا شيوخنا) وفي (م): (مشايخنا)، والمثبت من (أ).
(٦) في الأصل: (أعلا)، والمثبت من (أ).
(٧) في (م): (منه درجة).
(٨) ساقطة من (أ) و (م).
(٩) في (أ): (فقالوا).
(١٠) في (أ): (أرسل إلي) وكذلك في (م).

فحضرت بين يديه (وشهدت) [١] شهادتي الحق بمحضر النصارى فصلبوا [٢] على وجوههم، وقالوا: ما حمله على هذا إلّا حب التزويج، فإن القسيس عندنا لا يتزوج[٣] وخرجوا مكروبين محزونين.

فرتب لي السلطان رحمه الله [٤] ربع دينار كل يوم في دار المختص وزوجني ابنة[٥] الحاج محمد الصفّار[٦].

فلما عزمت على البناء بها أعطانيماية دينار ذهباً[٧] وكسوة جيدة كاملة

---

(١) في الأصل و (ر): (تشهدت)، والمثبت من (أ) و (م).

(٢) في (أ) و (م): (فكبوا) وفي (ر): (لطموا)، وما في الأصل: (صلبوا)، وهذا أمر ثابت عند النصارى لأنهم إذا أرادوا التعوّذ من شيء رفعوا أصابعهم مضمومة على جبهتهم ثم أشاروا بعلامة الصليب مروراً بالكتف الأيمن فالأيسر فالوسط، وقد تتعدى هذه الإشارة من التعوذ إلى البركة حيث إن البابا يرسم هذه الإشارة حينما يظهر لعامة الناس.

(٣) (حرمت الكنيسة الكاثوليكية على القسس والرهبان والراهبات الزواج، فأدى ذلك التحريم إلى انتشار الفسق والفجور بين رجالها ونسائها حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون بالراهبات أنفسهن ويبررون ذلك بأنه ضرب من المساكنة الروحية). الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص ١٢٢.
ولهذا السبب قام مارتن لوثر ـ المصلح البروتستانتي في القرن السادس عشر بثورة على الكنيسة وكان من ضمن آرائه في الإصلاح (أن جزءاً من فساد الدين يرجع إلى عدم الزواج، ورأى أن المنع منه لم يكن في المسيحية في عصورها الأولى فقرر حقهم في الزواج وتزوج هو فعلاً مع أنه من رجال الدين وكان زواجه من راهبة). محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص ٢١٦.

(٤) في (أ): (ثم إن السلطان رحمه الله رتب لي في كل يوم).

(٥) في (م): (بنت).

(٦) لم أعثر على ترجمته، وربما لم يكن مشهوراً.

(٧) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ) و (ر).

فبنيت[1] بها وولد لي منها ولد سميته[2] محمداً[3] على وجه التبرك باسم نبينا صلى الله عليه وسلم.

---

(١) جميع النسخ: (فابتنيت)، والأصح ما أثبتناه.

(٢) في (أ): (أسميته).

(٣) في الأصل: (محمد)، والمثبت من بقية النسخ.

الفصل الثاني

فيما اتفق لي في أيام
مولانا أبي العباس وولده مولانا[1] أبي فارس[2]

وبعد خمسة أشهر من إسلامي قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان، وكان قصده بذلك أن أحفظ اللسان العربي لكثرة ما يرد[3] / من ترجمة التراجمة بين النصارى والمسلمين، فحفظت جميع اللسان العربي[4] في مقدار[5] عام واحد[6]. وحضرت لعمارة[7] الجنويين[8] والفرنسيين[9] على مدينة المهدية[10]، وكنت أترجم للسلطان[11] ما يرد من كتبهم. ثم كبتهم الله وتفرقوا خائبين[12].

[٩ ب]

(١) ساقطة من (م).
(٢) في (م) بزيادة: (عبدالعزيز).
(٣) في الأصل: (ما يتكرر علي)، والمثبت من (م).
(٤) في (أ) و(م): (ساقطة).
(٥) في الأصل: (في مقدار مدة عام)، والمثبت من (أ).
(٦) ساقطة من (أ).
(٧) كذا في جميع النسخ، والأفضل (لغارة) لأن أعداء المسلمين من أهل جنوى وفرنسا كانوا باستمرار يغيرون على بلاد المسلمين.
(٨) نسبة إلى مدينة جنوى، جنوب إيطاليا.
(٩) نسبة إلى فرنسا، وكان الفرنسيون وغيرهم من القراصنة يعتدون على الموانىء الإسلامية باستمرار.
(١٠) المهدية: مدينة محدثة بساحل إفريقيا، كان يقال لتلك الناحية، حجة بناها عبيد الله الشيعي الخارجي على بني الأغلب، وهو سمّاها المهدية، وكان ابتدأ بنيانها في سنة ثلاثمائة. . . . تغلب عليها طاغية صقلية سنة ثلاث وأربعين وخمسماية وصاحبها يومئذ الحسن بن علي. . الصنهاجي ثم استعادها بعد ذلك. راجع: الروض المعطار ص ٣٦٢؛ وانظر: أخبار هذه الغارة في الحلل السندسية ص ١٠٦٩؛ وتاريخ ابن خلدون ص ٦/٩٠٢.
(١١) في (م): (له).
(١٢) هذا الخبر أكدته جميع المصادر التاريخية السالفة.

وارتحلت مع السلطان إلى حصار قابس[1]، وكنت على خزانته إلى حصار قفصة[2]، وفيه ابتدأ مرضه الذي مات فيه[3] (في ثالث شعبان عام ستة وتسعين وسبع مائة)[4].

ثم تولى الخلافة بعده[5] ولده مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين: أبو فارس عبدالعزيز، فجدد لي جميع أوامر والده بمرتباتي ومنافعي كلها ثم زادني في ولاية دار المختص[6].

واتفق لي في أيامه بالديوان، وأنا قائد البحر والترجمة أن مركباً قدم موسوقاً بسلاع[7] المسلمين، فلما أرسى بالمرسى[8] دخل عليه مركبان من صقلية[9]، فأخذاه من حينه[10] بعد أن هرب المسلمون[11] منه برقابهم واستولى النصارى على أموالهم، فأمر مولانا أبو فارس صاحب ولاية الديوان، (وجنوده)[12] أن يخرجوا لحلق[13] الوادي، ويتحدثوا مع النصارى في فداء أموال المسلمين[14] فوصلوا وطلبوا الأمان لترجمان[15] كان معهم فأمنوه، فصعد إليهم لمراكبهم

---

(١) مدينة من بلاد إفريقيا بينها وبين القيروان أربع مراحل وتعد من البلاد الجريدية، بينها وبين طرابلس ثمانية أيام وهي مدينة كبيرة قديمة.. ومن كلام الناس: قابس دمشق المغرب. الروض المعطار ص ٤٥٠.

(٢) قفصة: كان اسم قفصة الحينة لأن فيها بنياناً قديماً،.. وهي متوسطة بين القيروان وقابس، تشتهر بالعيون.. وفيها غابة عظيمة. الروض المعطار ص ٤٧٧.

(٣) راجع المؤنس، ص ١٥٣.

(٤) راجع تاريخ ابن خلدون ٦/٩٠٩.

(٥) في (أ): (بعد).

(٦) إحدى الوظائف الحكومية إبان تلك العهود.

(٧) سلاع. ج: سلعة وهي المتاع وما اتُّجِربه. القاموس المحيط ٣/٤١. وفي (ر): (بسلع) والاثنان على الجواز.

(٨) ساقطة من (أ) و(م).

(٩) انظر: ص ٧١ من هذا البحث.

(١٠) في (أ) و(م): (لحينه).

(١١) في (م): (منه المسلمون).

(١٢) في جميع النسخ: (شهوده)، والأصح ما اقتضاه السياق.

(١٣) في (ر): (لخلف). وحلق الوادي: ميناء قديم يؤوي سفن الصيد البحري. انظر: كتاب تونس، ج. ديبوا، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(١٤) في (م): (أموالهم).

(١٥) في (أ) و(م): (للترجمان الذي).

وتحدث معهم في الفداء. . . فتقالّوا [١] في ذلك ولم يحصل منه شيء، وكان قد ورد في هذا [٢] المركب [٣] / قسيس كبير القدر في صقلية وكانت بيني وبينه صداقة [٤] كبيرة كأنها أخوة، إذ كنا [٥] نطلب العلوم [٦] جميعاً وسمع [٧] بإسلامي فصعب عليه فقدم [٨] في هذا المركب ليستدعيني للرجوع [٩] لدين النصارى [١٠] ويأخذني بالصداقة (التي كانت بيننا) [١١] فلما اجتمع بالترجمان الذي صعد إليهم للمركب قال له: ما اسمك؟ قال: علي. قال [١٢] له: يا علي خذ هذا الكتاب وبلغه للقائد عبدالله قائد البحر عندكم بالديوان وهذا دينار فإذا رددت [١٣] جوابه نعطيك [١٤] ديناراً [١٥] آخر [١٦] فقبض منه الدينار والكتاب وجاء لحلق الوادي [١٧] فأخبر صاحب الديوان بكل ما قالوا له. ثم أخبره [١٨] بما قال القسيس وبالكتاب الذي أعطاه وبالدينار الذي استأجره به فأخذ صاحب الديوان الكتاب وترجم له بعض تجار الجنويين [١٩]، فبعث بالأصل [٢٠] والنسخة لمولانا أبي فارس فقرأه ثم بعث إليّ فمثلت [٢١] بين

[٩ ب]

---

(١) في الأصل: (فتقالوه في ذلك)، والمثبت من بقية النسخ.
(٢) في الأصل: (هذا).
(٣) في (أ): (المركب).
(٤) ساقطة من (أ) و (م).
(٥) في (أ) و (م): (فكنا).
(٦) في (أ) و (م): (العلم).
(٧) في (أ) و (م): (فسمع).
(٨) في (أ) و (م): (وقدم).
(٩) في (أ) و (م): (إلى الرجوع).
(١٠) في (أ) و (م): (في دين النصرانية).
(١١) في (أ) و (م): (الصداقة التي بيني وبينه).
(١٢) في (م): (فقال: يا).
(١٣) في الأصل: (فإذا أرددت)، والمثبت من باقي النسخ.
(١٤) في (أ) و (م): (أعطيك).
(١٥) في الأصل و(أ) و (م): (دينار)، والمثبت من (ر).
(١٦) ساقطة من (أ).
(١٧) في (ر): (خلف).
(١٨) في (م): (ثم أخبره بما قاله).
(١٩) في (أ): (الجنوبيين).
(٢٠) في (أ) و (م): (الأصل).
(٢١) في الأصل: (فوصلت لبين) وفي (ر): (فوصلت بين) و (أ) و (م): (فتمثلت)، والأصح ما أثبتناه.

يديه، فقال لي[1] : يا عبدالله هذا[2] كتاب وصل[3] من البحر فاقرأه وأخبرنا بما فيه فقرأته وضحكت فقال لي: ما الذي أضحكك؟ فقلت: نصركم الله، هذا الكتاب مبعوث إليّ[4] من عند قسيس كان من أصدقائي[5]، وأنا أترجمه لكم الآن، فجلست ناحيته وترجمته بالعربية ثم ناولته الترجمة فقرأها ثم قال لأخيه المولى إسماعيل / والله ما ترك منه حرفاً، [١٠ أ] فقلت: يا مولانا وبأي شيء عرفت ذلك؟ قال لي: بنسخة أخرى ترجمها لنا الجنويون.[6] ثم قال: يا عبدالله، وماذا[7] عندك أنت في جواب هذا القسيس؟ فقال له: الذي عندي ما (علمته[8] مني) من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الإسلام[9]، ولست أجيبه إلى شيء مما أشار إليه. فقال لي: (قد علمنا صحة إسلامك)[10] (ولا عندنا فيك شك)[11]، ولكن الحرب خدعة (فاكتب إليه في جوابك أن يأمر)[12] صاحب المركب أن يفدي سلعة[13] تجار[14] المسلمين ويرخص عليهم، وقل له: إذا اتفقتم مع المسلمين على سعر معلوم فأنا أخرج[15] مع الوزّان بقصد[16] وزن السلع ثم أهرب إليكم بالليل، ففعلت ما أمرني به وأجبت القسيس بهذا الجواب ففرح ورخص[17] على المسلمين في فداء متاجرهم، وخرج الوزان ولم أخرج[18] معه، وآيس[19] مني ذلك القسيس فأقلع[20] مركبه وانصرف وكان نص كتابه إلي:

---

(١) ساقطة من (أ) و (م).
(٢) هذا الكتاب في (أ).
(٣) في (أ): (وصل إلينا).
(٤) في الأصل: (لي)، والمثبت من (أ).
(٥) في (م): (أصدقا).
(٦) الجنوبيون.
(٧) ساقطة من (أ).
(٨) في (م): (علمتموه من كوني).
(٩) في (أ): (الحق).
(١٠) في (أ) و (م): (فقال: إني علمت بصحة).
(١١) ساقطة من (أ) و (م).
(١٢) في (أ): (فاكتب له جوابك يأمر).
(١٣) في (أ) و (م): (سلع).
(١٤) في (أ) و (م): (ساقطة).
(١٥) في (م): (فاخرج).
(١٦) في (أ) و (م): (لقصد).
(١٧) في الأصل و (ر): (وارخصوا علي)، والمثبت من (أ).
(١٨) في الأصل: (فلم)، والمثبت من (أ).
(١٩) في الأصل: (يأس)، والمثبت من (أ) و (ر).
(٢٠) في (أ): (وأقلع). وما أثبتناه أصح.

(بعد السلام عليك من أخيك فرنسيس[1] القسيس، نعرفك أني وصلت إلى هذا البلد برسمك[2] لأحملك معي إلى صقلية، وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة: (أن أعزل وأولّي)[3] وأعطي وأمنع، وأمور جميع مملكته بيدي فاسمع مني وأقبل إلى على بركة[4] الله، ولا تخف ضياع مال ولا جاه ولا غير ذلك فإن عندي من المال / والجاه ما يعم الجميع، وأعمل لك ما تريد، فلا تتخيل شيئاً[5] من أمور الدنيا فإنها فانية والعمر قصير والله[6] بالمرصاد فخف الله تعالى[7] وتب إليه[8] واخرج من ظلمة الإسلام[9] إلى نور النصرانية واعلم أن الله ثالث ثلاثة في ملكه فلا[10] سبيل أن تفرد[11] ما جمعه الله لنفسه وأنا أعلم أنك تعلم من هذا كله ما لا أعلم ولكن ذكرتك لأن الذكرى تنفع المؤمنين[12]. فانتبه من نوم الغفلة واجعل جواب كتابي هذا ورودك عليّ ومثلك لا يحتاج إلى معلم والسلام). [١٠ ب]

ذكر بعض سيرة مولانا[13] أمير المؤمنين أبي فارس[14]

قد[15] أقام سنّة العدل في جميع رعاياه وساسهم بالكتاب والسنة، ومن مناقبه إكرام العلماء وأهل الصلاح وتعظيم قدومهم عليه وإكرام الشرفاء وأهل[16] بيت الرسول صلى الله عليه وسلم[17] (والمبالغة في تعظيمهم)[18] وبذل

---

(١) في الأصل و (ر): (فرنسيس) وفي (أ) و (م): (قرايصي). (٢) ربما قصد منها لأجلك.
(٣) في (أ) و (م): (أن أولي وأعزل). (٤) (أ) و (م): (ببركة الله).
(٥) في (أ) و (م): (بشيء). (٦) في (أ) و (م): (والقبر).
(٧) في الأصل و (ر) ساقطة، والمثبت من (أ) و (م). (٨) ساقطة من (أ) و (م).
(٩) في (أ): (الإسلامية). (١٠) في (أ) و (م): (ولا).
(١١) في (أ): (إلى أن). (١٢) هذا تصرف من المصنف، والله أعلم
(١٣) في (أ): (مولانا السلطان). (١٤) في (أ) بزيادة: (نصره الله).
(١٥) ساقطة من (ر). (١٦) في (أ) و (م): (آل).
(١٧) ساقطة من الأصل. (١٨) ساقطة من (أ) و (م).

جزيل العطاء[1] لهم حتى (لقد قدموا عليه)[2] من مشارق الأرض ومغاربها، وكل من أقام ببلاده[3] منهم مشى له[4] المرتبات والعوائد والكسوات ومن ارتحل لأرضه أجزل صلته وأكرم وفادته، وقد جعل لهم ستين ديناراً[5] في كل عام تدفع لزوارهم ليلة المولد المعظم[6] لينفقوها[7] في الوليمة، أخرج ذلك للمولد الشريف[8]، وجعلها من أعشار الديوان / تحرياً للحلال، [١١ أ] سوى ما يصحبها من الطيب وماء الورد والبخور، وأما إنصافه للمظلوم من ظالمه[9] كائناً من كان، فقد اشتهر عنه حتى سار قواده وخواصه يسلكون طريقته في العدل[10] ويتجنبون[11] الحيف والأذى[12]، ولا يتركون أحداً يشكوهم إليه، وقد جعل قوته وقوت عياله وملابسهم وسائر ضرورياتهم - من خوفه[13] - على أعشار النصارى، وجزية اليهود تحرياً للحلال في ذلك نفعه الله به[14]، ولا يزال يتعاهد أهل السجون في غالب أحيانه فيسرح من يستحق السراح، وينجز أحكام[15] أهل الجنايات منهم، والحقوق اللازمة[16]،

---

(١) في (أ) و (م): (جميع العطايا).
(٢) في (أ): (أتوا إليه) وفي (م): (حتى إنهم إليه).
(٣) في (أ): (في بلاده) وفي (م): (في بلده).
(٤) في الأصل: (لهم)، والمثبت من (أ).
(٥) في الأصل: (ستين دينار)، والمثبت من (أ) و (ر).
(٦) في (أ): (العظيم الشريف).
(وأول من ابتدع الإحتفال بالمولد هو الملك المظفر صاحب أربل وكان عاملاً من عمال صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -، وقد أفرد الشيخ علي الطنطاوي الحديث عنه).
انظر: رجال من التاريخ، لعلي الطنطاوي ص ٢١٦ - ٢٢٢.
(٧) في (م): (لينفقونها).
(٨) في الأصل: (بفرح ذلك المولد الكريم)، والمثبت من (أ).
(٩) ساقطة من (أ) و (م).
(١٠) ساقطة من (أ).
(١١) في (م): (يجتنبون).
(١٢) ساقطة من الأصل.
(١٣) ساقطة من (أ) و (م).
(١٤) ساقطة من (أ) و (م).
(١٥) ساقطة من (م).
(١٦) ساقطة من (أ) و (م).

وأما كثرة صدقاته فأمر منتشر، ورتب[١] لتوزيعها زماماً[٢] يحتوي[٣] (على كل)[٤] من يستحقها من ذوي البينات[٥] وذوي الأحساب والمروءات وأسندها إلى الفقيه[٦] العدل المدرس (أبي عبدالله محمد بن سلام[٧] الطبري) فيوصل كل ذي حق منها إلى[٨] حقه[٩] من المال العين والطعام والزيت وماشية البقر والغنم من الزكاة، وهكذا يفعل في جميع مدائن[١٠] عماله، وليس خاصاً بأهل تونس[١١].

ومن مآثره[١٢] ما يوجهه[١٣] في كل عام (من)[١٤] صحبة ركبان الحجاج لبيت الله الحرام وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم / فيفرق بمكة والمدينة [١١ ب] من الأموال ما يسع به القاطنين[١٥] المجاورين[١٦] هنالك ـ أثابه الله ـ ويوجه مع ذلك من المال والكسوات[١٧] لمشايخ (عرب برقة)[١٨] يمنعهم بها من اعتراض الحجيج ويرغبهم في تسهيل ذلك الطريق، ومن مناقبه ما مشاه[١٩] لأهل

---

(١) في (ر): (وقد رتب).

(٢) كذا في الأصل وفي (أ) و (م): (زمامل)، ولم أجدها في معاجم اللغة وربما قصد بها صرة من المال.

(٣) في (أ) و (م): (تحتوي).

(٤) ساقطة من الأصل، والأفضل أن يقال: لكل من يستحقها.

(٥) أي: كل من له بينة تثبت أحقيّته من العطاء.

(٦) في (م) بزيادة: القارىء.

(٧) لم أعثر على ترجمته.

(٨) ساقطة من (أ) و (م).

(٩) ساقطة من (ر) و (م).

(١٠) ساقطة من (أ) و (م).

(١١) في الأصل: (وليس خاصاً بحضرتهم تونس)، والمثبت من (م).

(١٢) في (أ) و (م): (لطف مآثره).

(١٣) في الأصل و(ر): (يوجه)، والمثبت من (أ) و (م).

(١٤) المثبت ما اقتضاه السياق.

(١٥) في (أ) و (م): (ما يوسع به على القاطنين).

(١٦) في (م): (والمجاورين).

(١٧) في (أ) و (م): (والكسوة).

(١٨) في (أ) و (م): (العرب المعروفة ببرقة من العصاة عوائد)، وبرقة في الأراضي الليبية.

(١٩) في (أ) و (م): (ما مشى).

جزيرة الأندلس[١] من الإرفاق[٢] الدائم، فيعيّن[٣] لهم ألفي قفيز[٤] من القمح في كل عام (من عشر وطن وشتاتة)[٥] سوى[٦] ما يصحبها[٧] من أدام ومال عين وخيل عتاق والعدة والسلاح الجيد[٨] وما لا يوجد عندهم[٩] من البارود النفيس ومن ذلك اعتناؤه بمن في أيدي عدو[١٠] الدين من أسرى[١١] المسلمين، وقد أدرك من ذلك غاية لم يسبق إليها لأنه أوقف لذلك أوقافاً[١٢] كثيرة معتبرة وقدم للنظر[١٣] فيها أمين الأمناء[١٤] أبا عبدالله محمد بن عزوز[١٥] وأمره بخدمتها وحفظ مجابيها وكلما يتحصل من المجبى[١٦] شيء يشتري به (ريعاً[١٧] برانياً ودخلانياً)[١٨] بحاضرة تونس وأعده[١٩] أمير المؤمنين لفداء

---

(١) الأندلس: كلمة أعجمية لم تستعملها العرب في القديم إنما عرفها العرب في الإسلام، وأهم مدنها: لشبونة، أربونة، قادس، إشبيلية، طبيرة، وغرناطة، شنترين، طليطلة. ووصفها كثير وفضائلها جمة وفي أهلها أئمة وعلماء وزهاد... ولهم خصائص كثيرة ومحاسن لا تحصى و (فتحها المسلمون في أواخر الدولة الأموية)، وقد مكث فيها المسلمون ما يقارب ثمانية قرون ثم خرجوا منها بعد معارك عنيفة وكانت معركة شارلمارتل من المعارك الفاصلة في هذا الصدد. انظر: تقويم البلدان لعماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء، ص ١٦٥ - ١٧٠؛ ومعجم البلدان ١/٢٦٢ - ٢٦٤.

(٢) أي: الإحسان.

(٣) فعين من (م).

(٤) قفيز: (مكيال ثمانية مكاييل) القاموس ٢/١٩٤.

(٥) كذا في كل النسخ، ولم أعثر على معناها، وربما المقصود بها: الحنطة.

(٦) في الأصل: (سوا)، والمثبت من البقية.

(٧) في (أ) و (م): (ما يصحب ذلك).

(٨) في الأصل: (الجيد)، والمثبت من (م).

(٩) ساقطة من (أ) و (م).

(١٠) في (أ) و (م): (أعداء).

(١١) في (أ) و (م): (أسارى)، والأصل: (أسراء)، والمثبت من (ر).

(١٢) في (م): (أوقاف معتبرة كثيرة).

(١٣) في (أ) و (م): (على النظر فيها).

(١٤) في (أ): (أبي عبدالله).

(١٥) لم أعثر على ترجمته.

(١٦) في الأصل: (مجبا)، وفي (ر): (المجباشي)، والمثبت من (أ).

(١٧) في الأصل و (أ): (ربعاً)، والأصح: ريعاً.

(١٨) ربما قصد بها كل ما يحتاجه الأسرى.

(١٩) في الأصل: (أعده) بنقص الواو، والمثبت من البقية.

الأسرى[1] بعد وفاته، وإلاّ فقد التزم فداء[2] جميع من يرد لمرسى تونس من الأسرى[3] ومن مال[4] بيت المال مدة حياته.

[١٢ أ] وحضرت[5] له مراراً يوصي[6] تجار النصارى من جميع أجناسهم أن يأتوا بكل[7] من يقدرون عليه من أسرى[8] المسلمين وعين لهم في كل شاب منهم من ستين ديناراً إلى سبعين وفي[9] كل شيخ وكهل من الأربعين إلى الخمسين. وأنا الذي كنت[10] أترجم بينه وبين النصارى في ذلك فما كانت[11] إلاّ مدة يسيرة حتى جاء تجارهم بعدد كبير من أسرى ففدى[12] جميعهم من بيت المال وما زال يفعل ذلك إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب أجزل مثوبته.

ومن عظيم مآثره بناؤه للزاوية التي بخارج باب البحر من تونس وقد كانت فندقاً تستباح فيه كبائر معاصي الله تعالى جهاراً من غير مغير ولا منكر[13] لأن بعض كلاب النصارى التزمه باثني عشر ألف دينار ذهباً في كل عام لأجل[14] أن يبيع فيه الخمر وغيرها[15] من المسكرات[16] ويجتمع[17] عنده[18] من عظيم[19] المناكر ما يحزن قلوب المؤمنين[20] المخلصين، فترك[21] مولانا

---

(١) في (أ) و(م): (الأساري).
(٢) في (أ) و(م): (بفداء).
(٣) في (م): (الأسارى).
(٤) في (م): الواو ساقطة من قوله: (ومن مال)
(٥) ساقطة من (أ) و(م): (حضرته).
(٦) في (أ) و(م): (يرغب).
(٧) في (أ) و(م): ساقطة.
(٨) في الأصل وجميع النسخ: (أسارى)، والمثبت أصح.
(٩) (وفي) ساقطة من (م).
(١٠) في (م): (كنت) ساقطة.
(١١) في الأصل: (كنت)، والمثبت من (م).
(١٢) في الأصل: (ففدا)، والمثبت من (أ).
(١٣) في الأصل: (نكير)، والمثبت من (أ). وهذا الخبر نقله المؤنس أيضاً ص ١٥٥.
(١٤) ساقطة من الأصل.
(١٥) في (أ) و(م): (وغيره).
(١٦) في (م): (المنكرات).
(١٧) في (أ) و(م): (وتجتمع).
(١٨) ساقطة من (م).
(١٩) في (م): (عظائم).
(٢٠) ساقطة من (م).
(٢١) في (م): (فتركت).

أبو[1] فارس تلك المجابي السحتية[2] الحرام[3] الفاسدة لوجه الله تعالى ولم يقنع بإبطال تلك المعاصي وتغييرها حتى هدم الفندق المذكور وبنى[4] عوضه زاوية عظيمة البناء والنفع صارت معبداً[5] لإقامة الصلاة والذكر والعبادات[6] وإطعام الطعام على الدوام لأنه[7] أوقف عليها أوقافاً جمّة مفيدة من محترث[8] وفدادين[9] زيتون ومعصرة بإزائها / وغير ذلك أثابه الله [١٢ ب] وكذلك بناء[10] الزاوية التي قرب بستان باردو[11] والزاوية التي قرب الداموس[12] وجبل الجلود[13] بقبلي[14] تونس وأوقف[15] عليها[16] ما يكفيها وكذلك الساقية[17] التي خارج باب الحديد والماجل الكبير الذي تحت مصلى العيد وبناؤه للمحاريس التي بإزاء روابي الجعد والحمامات والرفارف والشرفات والقمريات وغير ذلك.

---

(١) في الأصل: (أبي)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) أي: المال الحرام.

(٣) ساقطة من (م).

(٤) في الأصل: و(أ): (بنا)، والمثبت من (ر).

(٥) في الأصل: متعبداً، والمثبت من (أ).

(٦) في (م): (العبادة).

(٧) في الأصل: (لأنها)، والمثبت من (أ).

(٨) محترث: (الحرث: الزرع وقد حرث واحترث مثل زرع...). مختار الصحاح ص ١٣٨، ولعل المقصود من (محترث) الأرض الزراعية.

(٩) فدادين: مفردها فدان ومنها ج: فدن وادفنه ولها عدة معانٍ: ١ ـ الثوران يقرن بينهما للحرث. ٢ ـ الفدان المزرعة. ٣ ـ وفي المساحة: أربعمائة قصبة مربعة. ٤ ـ الفدان: الأرض عند الفلاحين. ٥ ـ ما يحرثه الفدان في يوم واحد. انظر: المنجد ص ٥٧٢.

(١٠) ساقطة من (أ) و (م).

(١١) في الأصل وبقية النسخ: (باردوا)، والأصح باردو.

(١٢) يطلق الداموس على الكهف في تونس. (والداموس لغة: القترة وككتاب كل ما غطاك). القاموس المحيط ص ٢٢٥.

(١٣) في (أ): (جبل الخاوي)، وكذلك في (م).

(١٤) في (أ) و (م): (قبلي).

(١٥) في الأصل: (فأقف)، والمثبت من (أ) و (ر).

(١٦) ساقطة من (ر).

(١٧) في الأصل: (السقاية)، والمثبت من (أ) و (م).

ومن عظيم مآثره خزانة الكتب [1] التي بجوف جامع الـزيتونـة من تونس وجمع بها دواوين مفيدة في علوم شتى وأوقفها وقفاً [2] مؤبداً لطلاب العلوم، وأوقف عليها من فدادين الزيتون وغيره ما هو فوق كفايتها للمتناول لها والشهود. والحافظ بالباب.

ومن عظيم مآثره تأسيس المارستان[3] بتونس ولم يسبقه[4] بـذلك في إفـريقيا أحـد من ملوك[5] المتقدمـين والمتأخـرين ليمرض بـه غربـاء أهل الإسلام، وأوقف عليه ما يكفيه وذلك في عام تأليفي لهذا الكتاب وهو عام ثلاثة[6] وعشرين وثمانماية.

ومن أعظم[7] مآثـره أموال[8] عـظيمة تـركها لـوجه الله من المجـابي الخارجية عن قانون الشريعة المحمدية وهي مجابي كانت مـوقفة[9] بجميـع أسـواق تونس لا يبـاع / شيء قلّ[10] أو جـلّ[11] إلا ويؤدي بايعـه لجانب السلطان شيئاً معلوماً من درهم إلى دينار[12] وأكثر من دينار فيها لـه بال، وكانت مستمرة منذ[13] مدة طويلة حتى ألهم الله هذا السلطان[14] المبـارك لقطعها[15] وتركها فانقطع ضررها عن الناس. [١٣ أ]

---

(١) راجع المؤنس، ص ١٥٣.

(٢) ساقطة من (أ) و (م)، وفي الأصل: (وأقفها وقفاً)، والمثبت أصح.

(٣) أي: المستشفى، وقد ذكره المؤرخون. انظر: إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف ص ٢٣١.

(٤) في (أ) و (م): (ولم يستقم).

(٥) ساقطة من (أ) و (م).

(٦) في (أ): (ثلاث وعشرون).

(٧) في (أ) و (م): (عظيم).

(٨) في الأصل: (أموالاً)، والمثبت من البقية.

(٩) في (أ) و (م): (موظفة) وفي (ر): (موصوفة).

(١٠) في (أ) و (م): (دق).

(١١) ساقطة من (م).

(١٢) في (م): (أو أكثر مما له بال).

(١٣) أحقاب.

(١٤) في (م) بزيادة: (ووفقه).

(١٥) في (ر): (قطعها).

فترك مجبا [١] سوق الرهادنة [٢] وقدره ثلاثة آلاف دينار ذهباً، ومجبا سوق رحبة [٣] الطعام وقدره خمسة آلاف دينار، ومجبا رحبة الماشية وقدره عشرة آلاف دينار، ومجبا فندق الزيت وقدره خمسة آلاف دينار، ومجبا فندق الخضرة وقدره ثلاثة آلاف دينار، ومجبا سوق العطارين وقدره ماية وخمسون ديناراً [٤]، ومجباً فندق الأدام وقدره خمسون ديناراً، ومجبا فندق الفحم وقدره ألف دينار، ومجبا كيس العمود وقدره ألف دينار، ومجبا فوائد[٥] الأسواق وهو مال ضربه بعض الملوك المتقدمين على بوادي بحيرة[٦] وغيرهم - وهم: أهل خيام وعمود[٧] ثبت ذلك[٨] عليهم مدة طويلة حتى أبطله الملك أبو[٩] فارس - وقدره ألف دينار[١٠]، ومجباً فوائد دار الشعر[١١] وقدره ثلاثة آلاف دينار، ومجباً سوق القشاشين[١٢] وقدره مايتا دينار / (ومجبا سوق الصفارين)[١٣] وقدره مايتا دينار، ومجبا سوق العرافين[١٤] وقدره خمسون ديناراً، وأباح للناس عمل الصابون بعد أن كان ممنوعاً منه[١٥] ومن ظهر عليه ذلك يعاقب[١٦] في ماله وبدنه ولا يعمله إلّا السلطان بموضع معلوم لا يباع إلّا فيه[١٧].

[١٣ ب]

---

(١) مجبا: من جبا، وفيه روايتان جبى يجبي، وجبا يجبو. انظر: مختار الصحاح ص ٩٢.
(٢) في (أ) و (م): (الرهبانية)، وهو خطأ.
(٣) ساقطة من الأصل و (ر)، والمثبت من البقية.
(٤) ساقطة من (م). (٥) في (ر): (بوائد) وفي (أ): (فرائد).
(٦) في (م): (على من بوادي بحيرة). (٧) ربما قصد: أنهم من البدو.
(٨) في (أ) و (م): (وكان ذلك عليهم أحقاباً طويلة).
(٩) في (أ) و(م): (ذلك السلطان).. (١٠) ساقطة من (أ).
(١١) في (ر): (فائد دار الشعر) وفي (م): (فائدة دار الشغل).
(١٢) في (م): (العراقين). (١٣) ساقطة من (م).
(١٤) هذه الأسماء وردت في جميع النسخ ولكن بالتقديم والتأخير.
(١٥) ساقطة من (م). (١٦) يعاقب السلطان.
(١٧) (إلا) ساقطة من الأصل، والمثبت من البقية.
وجميع هذه الأخبار تناقلتها كتب التاريخ الشهيرة التي تحدثت عن تونس في عهد الحفصية. راجع: المؤنس، والحلل السندسية، وإتحاف أهل الزمان.

ومن أعظم درجات حسناته في هذا الباب[1] ترك خراج المناكير ـ وكان كثيراً ـ فمنه الشرطة[2] لحاكم المدينة كان بعض المكاسين يلتزمها بثلاثة دنانير ونصف الدينار[3] في كل فأبطله مولانا أبو فارس وأوقف في ذلك ثقات[4] رجاله من الأمناء[5] والنجباء على وجه الأمانة، وكان على الزفافين[6] والقينات المغنيات[7] مغارم قبيحة سحتية فتركها لهم[8]، وكان المخنثون[9] الخول بتونس عليهم[10] مغارم ووظائف خدمة لدار[11] السلطان فترك مغارمهم وأجلاهم من[12] جميع بلاده[13] لما يبلغه[14] عنهم من[15] قبيح المعاصي والمناكر[16].

وفي أول أيامه السعيدة غزا أسطوله مدينة طرقونه[17] بجزيرة صقلية[18] فاستولى عليها عنوة وهدم سورها وأتى منها بالمغانم الكثيرة والشيء الكثير[19]، وأما فتوحات[20] بلاد إفريقية ومحوه لآثار[21] الثوار وأهل الفتن بها بعد

---

(١) ساقطة من (م).
(٢) في الأصل: (الشرطية)، والمثبت من (م).
(٣) ساقطة من (م).
(٤) في (ر): (الثقات) وفي (أ) و (م): (رجالاً من الثقات).
(٥) في الأصل: (من البيتات) وفي (ر): مطموسة، والمثبت من (أ) و (م).
(٦) في (أ) و (م): (الرفافين)، وربما قصد بها الفرقة المختصة بإقامة الحفلات.
(٧) في (أ): (والمغنيات).
(٨) في جميع النسخ: (تركها عنهم)، والمثبت ما اقتضاه السياق.
(٩) ربما قصد أصحاب السمعة السيئة والذين يمارسون الدعارة.
(١٠) في (ر): (عليهم بتونس).
(١١) في (أ) و (م): (دار السلطان).
(١٢) في (م): (عن بلاده).
(١٣) رحمه الله تعالى.
(١٤) في (م): (بلغه).
(١٥) (عنهم): ساقطة من (م).
(١٦) في (أ) و (م): (المناكير).
(١٧) انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري. ترجمة: د. إحسان عباس.
(١٨) انظر: إتحاف أهل الزمان ص ٢٣١.
(١٩) ساقطة من (أ) و (م).
(٢٠) ساقطة من (ر).
(٢١) في (م): (لآثار المتواترة).

[١٤ أ] اليسير[١] من السنين فأمر عجيب لا يكاد / يسعه مكتوب، كمدينة طرابلس[٢]، وقابس[٣] والحامة[٤]، وقفصة[٥] وتوزر[٦]، ونفطة[٧] وبسكرة[٨]، وقسنطينة[٩] وبجاية[١٠] ثم تخطى[١١] ذلك إلى بلاد[١٢] الصحراء مثل:

تقرت[١٣]، وواوكلا[١٤] ودرج[١٥] وغدامس[١٦]، وجباية[١٧]، وأوغات[١٨]،

---

(١) في (أ) و(م): (المستمرة فيها أكثر من المائتين).

(٢) أي: طرابلس الغرب، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣ هـ، وتقع بليبيا اليوم. انظر ترجمتها في الروض المعطار ص ٣٨٩.

(٣) قابس: تقع بين صفاقس وجربة على البحر الأبيض. انظر: تونس، ج. ديبوا ص ٨٣.

(٤) الحامة: تقع بمعزل على السفح الشمالي من ذراع الجريد، وهي حامة الجريد وتمييزاً لها عن حامة قابس ووبكلتيهما ينابيع حارة المياه. انظر: تونس، ج. ديبواص ١١٦.

(٥) بلد صحراوي فيها حدائق نخيل، يسكنها البدو الرحل وحولها قرى صغيرة. انظر: تونس، ج. ديبوا ص ١٥٣.

(٦) توزر: اسمها القديم توزوروس، درة الجريد وعاصمته وهي دون نفطة بقليل من حيث عدد السكان لكنها قد وهبت نخيلاً أكبر وأخصب. انظر: ص ١١٥ من كتاب تونس، ج. ديبوا، ومعجم البلدان لياقوت ٥٧/٢.

(٧) انظر: معجم البلدان ٢٩٦/٥.

(٨) تقع في الجزائر وهي قريب من جبال أطلس.

(٩) انظر: معجم البلدان ٣٤٨/٤.

(١٠) قاعدة الغرب الأوسط: مدينة عظيمة على ضفة البحر. انظر: الروض المعطار ص ٨١.

(١١) في (أ): (تخطى).

(١٢) في (م): (تخطا إلى بلاد) وفي الأصل: (إلى بلد)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٣) في (أ) و(م): (قفرة)، وهو خطأ، والأصح ما هو ثابت في الأصل. وهي مدينة تقع الآن إلى الجنوب من الأراضي الجزائرية.

(١٤) لم أعثر عليها.

(١٥) تقع إلى الجنوب من تونس، وهي قريبة من غدامس، وتتبع ليبيا في الوقت الحاضر.

(١٦) مدينة لطيفة (تقع جنوب تونس) قديمة ينسب إليها الجلد الغدامسي وبها دواميس وكهوف وكانت سجوناً للملكة الكاهنة التي كانت بإفريقيا وفيها غرائب من البناء وأهلها بربر مسلمون وملثمون على عادة بربر إفريقية. الروض المعطار ص ٤٢٧.

=

وتوات[1]. حتى أذل الله لعزه كل جبار من العرب والعجم [2]، وقد كانت عرب إفريقية قبله بالاختيار على ملوكها، ويحاصرون المدائن ويشاركون أهل السلطنة في مجابيها [3] قهراً ولهم مع الملوك أخبار معلومة حتى قهرهم [4] الله جلت قدرته لهذا السلطان المؤيد. فصار يقودهم معه جنوداً [5] في أغراض [6] أسفاره شرقاً وغرباً، بعد أن أباد الله أكثر [7] أعيانهم ورؤوس مشايخهم، (وصار يبعث قواده يتبعون نجوع [8] العرب لاستيفاء) [9] زكوات مواشيهم وهم صاغرون، وتحت السمع والطاعة مذعنون ـ زاده الله من فضله وأمده بنصره ـ.

---

(١٧) جباية: في (أ) و (م): (جيار) ولم أجدها.

(١٨) أوغات: في (أ) و (م): (أوغان)، ولم أجدها.

(١) لم أجدها. (٢) في (م): (كل جبار عنيد من العرب).

(٣) في (أ) و (م): (مجابيهم).

(٤) في الأصل: (أقهرهم)، والمثبت من (أ) و (ر).

(٥) جميع النسخ: (أجناداً)، والمثبت أصح. (٦) في (م): أعراض.

(٧) في (م): (كثرة).

(٨) أي: أراضي العلف والزراعة. انظر: القاموس ص ٩٠.

(٩) في (م): (وصار يبعث إلى نجوع العرب لأجل استيناف).

الفصل الثالث

في الرد على النصارى ـ دمرهم الله ـ

ونريد أن نرد عليهم بنص أناجيلهم، وما قاله الأربعة[1] الذين كتبوا الأناجيل[2]، ونؤكد[3] ثبوت نبوة نبينا محمد[4] صلى الله عليه وسلم، وما أتت به الأنبياء المتقدمون من ثبوت نبوته في كتبهم التي هي الآن[5] موجودة[6] بأيدي النصارى / وهذا الفصل يشتمل على تسعة أبواب: [١٤ ب]

الباب الأول: في ذكر الأربعة (نفر)[7] الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، وبيان كذبهم، لعنهم الله.

الباب الثاني[8]: في افتراق النصارى على[9] مذاهبهم وعدد فرقهم.

الباب الثالث: في فساد قواعد[10] دين النصارى، والرد عليهم في كل قاعدة منها بنص أناجيلهم.

---

(١) في (أ) و (م) بزيادة: (الملاعين). (٢) في (أ) و (م): (الأربعة الأناجيل).

(٣) في الأصل: (نؤكد نبوة)، والمثبت من البقية.

(٤) في (م): (وسيدنا). (٥) ساقطة من (أ) و(م).

(٦) في (أ) و (م): (في أيدي).

(٧) كذا في جميع النسخ. قال ابن منظور: والنفر بالتحريك، والرهط ما دون العشرة من الرجال. . . والجمع أنفار، . . واستدل بحديث أبي ذر رضي الله عنه: «لو كان ههنا أحد من أنفارنا» أي قومنا جمع نفر، وهم رهط الإنسان وعشيرته من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة. . .

انظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين أحمد بن منظور، ٥/٢٢٦.

(٨) كلمة (الباب): ساقطة من (م). (٩) في الأصل و (م): (في).

(١٠) في (م): (قواعدهم المؤسسة لدينهم).

الباب الرابع: في عقيدة شريعتهم التي يتعلمها صغيرهم وكبيرهم وهي[1] أصل دينهم، والرد عليهم بأصل الإنجيل.

الباب الخامس: في بيان أن عيسى عليه السلام ليس بإله كما افترته النصارى، وأنه آدمي نبي مرسل بنص الإنجيل.

الباب السادس: في اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، وبيان كذبهم.

الباب السابع: فيما نسبوا إلى عيسى عليه[2] السلام من الكذب، وهم الكذابون[3] الكافرون لعنهم الله.

الباب الثامن: فيما يعيبه النصارى دمرهم[4] الله على المسلمين أعزهم الله.

الباب التاسع: في ثبوت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بنص الزبور والتوراة والإنجيل، وبشارة الأنبياء به صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وما أخبر به[5] الأنبياء من صحة بعثته، وبقاء ملته.

---

(١) في الأصل: (وهو)، والمثبت من (م).
(٢) ساقطة من (م).
(٣) في (م): (الكاذبون).
(٤) ساقطة من (م).
(٥) ساقطة من (م).

الباب الأول

[١٥ أ] اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة(١) هم:

---

(١) من المعلوم أن النصارى لديهم أربعة أناجيل معتمدة، يعتبرونها مقدسة ومعترف بها من قبل الكنيسة، كما يعتقدون أنها كتبت بوحي وإلهام ولكثرة الانتقادات التي يوجهها العلماء المنصفون ـ في الشرق والغرب ـ حول قدسية الأناجيل، لم تعد لهذه القدسية مكانة كبيرة في نفوس الكثير من المسيحيين أنفسهم. وربما تساءل البعض: لماذا لم تكن هذه الأناجيل أكثر من أربعة؟ ولِمَ لم تكن إنجيلاً واحداً؟..

وإذا تتبعنا تاريخ هذه الأناجيل وسيرتها وما قررته المجامع الكنسية القديمة بشأنها نجد الإجابة على هذا التساؤل... فهناك عدد كبير من الأناجيل ـ قيل إنها وصلت إلى أربعين إنجيلاً ـ كانت متداولة قبل مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م، وكانت تلقى قبولاً لدى الأوساط المسيحية التي تخالف آراء الكنيسة الاعتقادية المنادية بألوهية المسيح، فكانت هذه الأناجيل تدعوا ـ غالبيتها ـ إلى بشرية ونبوة المسيح عليه السلام، وهذا ما دفع مجمع نيقية المتحيز لأفكار القلة إلى أن يأمر بتحريق تلك الكتب ويلعن أصحابها، (... وهو بهذا يحاول التحكم في القلوب والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه، ومنعها منعاً باتاً جازماً من أن تقرأ غيره). محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٥٣.

ولم ينوّه (الترجمان بالأناجيل غير المعتمدة حالياً، ومن بين الكتب التي حرمت الكنيسة قراءتها:

١ ـ إنجيل برنابا.
٢ ـ إنجيل متى غير المعتمد حالياً.
٣ ـ إنجيل الأيونيين.
٤ ـ إنجيل ينسب للحواري يعقوب.
٥ ـ إنجيل توماس.
٦ ـ إنجيل القديس نيكوديم.
٧ ـ إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس.
٨ ـ إنجيل الإثني عشر.
٩ ـ إنجيل التذكرة.
١٠ ـ إنجيل العبريين.
١١ ـ إنجيل بطرس.

=

= ١٢ - إنجيل الحياة. ١٤ - إنجيل أتباع ديصان.
١٣ - إنجيل المصريين. ١٥ - إنجيل لأتباع فرقة ماني.
١٦ - إنجيل لأتباع مرقيون). محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن لمحمد عزت الطهطاوي ص ٧٢ - ٧٢. وهناك أناجيل أخرى لم نذكرها هنا، وللمزيد. انظر: المسيح في العقائد المسيحية، للمهندس أحمد عبدالوهاب، ص ٣٦ - ٣٨.
وكما تقدم فإن إنجيل برنابا هو من بين الأناجيل التي لم تعتمدها المجامع المسيحية وقد رفض لأنه يخالف تماماً عقيدة النصارى في الأمور التالية:
١ - يقرر أن المسيح عليه السلام ليس إلهاً ولا ابن إله، وهو بشر ورسول.
٢ - يقرر أن المسيح لم يصلب ولكنه شبه لهم.
٣ - يقرر أن مسياً أو المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس يسوع بل محمداً عليه السلام.
٤ - يقرر بأن الذبيح هو إسماعيل ولد إبراهيم عليهما السلام وليس إسحاق حسب ما تدعيه اليهود والنصارى. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، ص ٩٦ - ٩٨.
(أما إنجيل متى غير المعتمد عند المسيحيين فمن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب إليه في تاريخ مريم أم المسيح عليه السلام، وذلك أن الأناجيل الأربعة. . . تذكر أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار وأنها جاءت بالمسيح بدون أن يمسها يوسف، وأما إنجيل متى غير المعتمد عندهم فيقرر أنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة وإنما كانت من العذارى اللائي نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد، أي: كانت من الراهبات اللائي كن يتوفرن على العبادة وخدمة المعابد التي يعتكفن فيها. . .
وهذا يتفق من بعض نواحيه مع ما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد إذ يقول: ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾. (آل عمران: الآية ٣٥ - ٣٧). انظر: ٩٤ - ٩٥ من المصدر السابق.
وخلاصة القول فإن الأناجيل الأربعة المعتمدة من قبل الكنيسة ما هي إلّا كتابات بشرية عن أحوال عيسى عليه السلام، مضاف إليها التحريف الطارىء على عقيدة التوحيد التي كانت منتشرة قبل مجمع نيقية عام ٣٢٥ م.

متى[1] . . . .

---

(١) تترجم له المصادر المسيحية كالتالي: اسمه مأخوذ (من الإسم العبري مثتيا الذي معناه (عطية يهوه) وهو أحد الإثني عشر رسولاً وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه، وسمي أيضاً لاوى بن حلفي). قاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٢.

ولا نريد هنا التعرض لتاريخ الرجل وأعماله فهذا أمر منتشر في كتب كثيرة، وإنما نريد التعرف على تلك الانتقادات التي وجهت إلى شخصية متى لنكون على بينة من أمره، يقول الأستاذ موريس بوكاي: ما هي شخصية متى؟ لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه (أحد حواريي المسيح) وبرغم ذلك يقدمه (أ. تريكو) على أنه كذلك في تعليقه على ترجمة العهد الجديد. . يقول: اسمه متى واسمه قبل ذلك ليفي وكان عشاراً أو جابياً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته، وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة من (أوريجين وجيروم) و (أبيغان)، ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا. . . وهناك نقطة لا جدال فيها وهي أن هذا الكاتب يهودي، فمفردات كتابه فلسطينية، أما التحرير فيوناني. . . إن الكاتب معروف بمهنته، وإنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي وإنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود. . كما أنه أستاذ في فن التدريس، وفي إفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العلمية لتعاليمه، وأنه يتفق جيداً مع ملامح يهودي متأدب أعتنق المسيحية). دراسة في الكتب المقدسة، موريس بوكاي ص ٨٠ ـ ٨١.

وعن إنجيل متى يقول: (ويتفق الجميع على الاعتقاد بأن متى قد كتب إنجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ولكن روايته تختلف وفي نقاط جوهرية. . . ومع ذلك فقد استخدم متى بشكل واسع إنجيل مرقس الذي لم يكن أحد حواريي المسيح). المصدر السابق ص ٨١ ـ ٨٢.

إن هذه الانتقادات التي يوجهها أحد علماء الغرب المنصفين تؤكد أن متى ليس من حواريي المسيح وأن إنجيله لم يكن بإلهام أو وحي وقد وجهت الانتقادات التالية حول هذا الإنجيل أبرزها:

١ ـ أنه مجهول التاريخ بوجه عام، يكاد يكون إجماعاً من المسيحيين أنفسهم.

٢ ـ وفي لغة تدوينه اختلاف لا يُحد.

٣ ـ والنسخة الأصلية معترف بضياعها أو على الأقل عدم إمكان وجودها.

٤ ـ أن مترجمه مجهول. أضواء على المسيحية، د. رؤوف شلبي ص ٣٩ ـ ٤٠.

ولوقا(١) . . . .

---

(١) جاءت ترجمته عند النصارى كالتالي: (اسم لاتيني - ربما اختصر لوقانوس أو لوكيوس وهو صديق بولس ورفيقه وقد اشترك معه في إرسال التحية والسلام إلى أهل كولوسي حيث وصفه بالقول: (الطبيب الحبيب)، وكذلك في الرسالة إلى فيلمون حيث وصفه بالقول: (العامل معي). . . قاموس الكتاب ص ٨٢٢.

وقد وجه بوكاي انتقاداته إلى هذه الشخصية بقوله: (. . هو كاتب (حوليات) في رأي أ. كولمان و (روائي حقيقي في نظر الأب كانتيجر)، ينبهنا لوقا نفسه في ديباجته الموجهة لثاوفيلس إلى أنه بعد الآخرين الذين أنشأوا قصصاً عن المسيح سينشىء بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدماً هذه القصص ومعلومات الشهود المعاينين، وذلك يعني أنه ليس واحداً منهم. انظر إلى قول لوقا: (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأحداث التي وقعت كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهوداً معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به. .). دراسة في الكتب المقدسة ص ٨٧.

ويرى القارىء معنا اعتراف لوقا الصريح بأن ما يكتبه إنما يأتي عن طريق القصص التي يرويها الناس، مما يبعد تماماً القول بأنها وحي أو إلهام. وهذا ما جعل العلماء يختلفون في شخصيته.

يقول الشيخ أبو زهرة عن هذا: (. . يقولون إن لوقا ولد في إنطاكيا، ودرس الطب ونجح في ممارسته ولم يكن من أصل يهودي. ولكن الدكتور بوست يقرر أنه لم يكن إنطاكياً وبيّن أن الذين يقولون إنه إنطاكيا وهموا ذلك أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس فيقول: ظن بعضهم أنه مولود في إنطاكياً إلّا أن ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس، وزعم بوست أنه كان رومانياً نشأ بإيطاليا ومهنة الطب التي نسب إليها ليست موضع اتفاق بل من المؤرخين المسيحيين من يقرر أنه كان مصوراً). محاضرات في النصرانية ص ٥٧.

وجملة القول يمكن توجيه النقد نحو شخصية لوقا وإنجيله بالأمور الآتية:

١ - اتفق العلماء المسيحيون على أن لوقا كتب إنجيله باليونانية وعلى أنه ليس من تلاميذ المسيح.

٢ - اختلف العلماء في شخصية الكاتب وجنسيته، وصنعته والقوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل وتاريخ تدوينه). أضواء على المسيحيةص ٤٦.

ومارکوس[1] . . . .
ويوحنا[2] . . . .

---

(١) ماركوس: هكذا أورده صاحب المخطوط، ويكتب حالياً مرقس أو مرقص، وقد جاءت ترجمته عندهم كالتالي: (اسم لاتيني معناه (مطرقة) وهو لقب ليوحنا). قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣.
(. . . ويرجح أنه ولد في أورشليم لأن أمه سكنت في وقت ظهور المسيح وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس ـ في اعتقادهم ـ من بعد رفعه وألهموا بالتبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادءها). الموسوعة النقدية للفسلفة اليهودية. د. حفني؛ مادة مرقس.
إلا أن الواقع غير ذلك لما يأتي: يقول بوكاي عن مرقس: (. . . وكما يقول الأب روجي فإن مرقس كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالاً، فهو لا يعرف كيف يحرر حكاية. . .) وقد كتب أ. كلومان (أنه لا يعتبر مرقس تلميذاً للمسيح. . .). دراسة الكتب المقدسة ص ٨٤ ـ ٨٥.
وقد أورد الأستاذ بوكاي كثيراً من الاختلافات التي وردت في إنجيل متى وتناقضها مع الأناجيل الأخرى مستشهداً بأقوال علماء النصارى أنفسهم.
ويمكننا تلخيص أهم الانتقادات التي يوجهها العلماء حول مرقس وإنجيله بالأمور التالية:
ـ هناك خلافات كبيرة في إسم المؤلف، فابن البطريق يروي أن بطرس رئيس الحواريين كتب إنجيل مرقس في مدينة رومية ثم نسبه إلى مرقس ويؤكد هذا القول ما ذهب إليه صاحب مرشد الطالبين من أن إنجيل مرقس كتب بتدبير من بطرس عام ٦١ م من أجل أن يستخدمه بطرس تبشيراً بدينه الجديد.
كما أن الخلاف وقع في تاريخ التدوين فلا يعرف سنة كتابة إنجيل مرقس هل هي سنة ٦٥ م أو ٦٠ أو ٦٣ هذا ما يجعل الباحث يشك في هذا الإنجيل وصاحبه.
يراجع: محاضرات في النصرانية ص ٥٤؛ وأضواء على المسيحية ص ٤٣.

(٢) ويطلق المسيحيون عليه «يوحنا الرسول» ويقولون: (هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل، دعاه يسوع مع أخيه يعقوب الذي قتله هيرودس أغريباس الأول ليكونا من تلاميذه. . . ويبدو أنه كان على جانب من الغنى لأن أباه كان يملك عدداً من الخدم المأجورين. . .). قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨.
ويقول نفس المصدر عن السبب الذي من أجله كتب إنجيل يوحنا: (وكان الداعي الآخر إلى كتابة الإنجيل الرابع تثبيت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح =

= وناسوته، ودحض البدع المضلّة التي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلى الكنيسة. . . فقد زعم الدوكينيون والغنوسيون أن جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً وأنكر الكيرنثيون لاهوته وادعى الأبيونيون أنه لم يكن كائناً قبل مريم أمه). المصدر السابق ص ١١١١.
وحول الانتقادات الموجّهة إلى يوحنا وإنجيله يقول الشيخ أبو زهرة: (. . ولكن بجوار هؤلاء من محققي المسيحيين من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة روحية وأن ذلك الإنكار لم يكن من ثمرات هذه الأجيال بل ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، فإن العلماء بالمسيحية في آخر القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتماً تلميذه بوليكارب. . .
ولقد قال استادلن في العصور المتأخرة: إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا، ولقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصّه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادّعى هذا الكتاب المزوّر في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً). محاضرات في النصرانية ص ٥٩ ـ ٦٠.
كما أكّد الدكتور علي عبدالوافي هذه الحقيقة فقال: (ولقد رأينا فيما سبق أن أئمة الباحثين في هذه الأمور في الوقت الحاضر يقطعون بأن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا الحواري، وما حدث في إنجيل يوحنا يمكن أن يكون قد حدث مثله في غيره من الأناجيل). الأسفار المقدسة ص ٩١.
كما أثار موريس بوكاي عدة انتقادات حول يوحنا وإنجيله. انظر: دراسة الكتب المقدسة ص ٩٠ ـ ٩٣.
وقد رد المرحوم الشيخ أبو زهرة وفند آراء المدافعين عن يوحنا وإنجيله كالدكتور بوست وبيّن تفاهة أقوالهم علمياً وتاريخياً بدقة، مؤكداً أن الغرض الذي من أجله كُتب هذا الإنجيل هو إثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة التي يعينها. . . و (الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها، =

وهؤلاء[1] الذين[2] أفسدوا دين عيسى وزادوا ونقّصوا وبدّلوا كلام الله تعالى، مثل ما أخبر[3] سبحانه عنهم في كتابه العزيز[4]، وليس هؤلاء الأربعة[5] من الحواريين الذين أثنى الله عليهم في القرآن[6] الكريم. فأما

= وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح... وثانيهما أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصاً من أن يلتمسوا دليلاً ناطقاً يثبت ذلك فاتجهوا إلى يوحنا فكتب لهم إنجيله...). محاضرات في النصرانية ص ٥٩ وما بعدها.

(١) في (م): (متى ومركوس ويوحنا ولوقا) بالتقديم والتأخير.

(٢) في (م) زيادة: (هم الذين).

(٣) في (م): (أخبر عنهم).

(٤) امتدت أيدي التحريف والتبديل إلى كتب النصارى ولحقت بهم عدوى اليهود الذين سبقوهم، فبدلوا وحرّفوا، وقد أخبرنا الله تعالى عنهم فقال: ﴿ومنهم أمّيون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ وإنْ هم إلاّ يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة: الآية ٧٨ - ٧٩). وقال أيضاً: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ (النساء: الآية ٤٦).

(٥) ساقطة من (م).

(٦) الحواريون الذين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم ليسوا أنبياء أو رسلاً كما يدّعي النصارى، بل هم أناس اتبعوا عيسى عليه السلام في دعوته إلى الله، والتزموا بالمبادىء التي جاء بها ولم يخرجوا عن صفات البشر العاديين، وقد ناصروا عيسى عليه السلام حينما أحس من بني إسرائيل الكفر ﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (آل عمران: الآية ٥٢ - ٥٣).

وإزاء تأييد الحواريين لدعوة عيسى عليه السلام أيّدهم الله على عدوهم، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ (الصف: الآية ١٤).

متى[1]ـ وهو الأول منهم ـ فما أدرك عيسى ولا رآه قطّ إلاّ في العـام الذي رفعه الله فيه إلى سمائه[2]، وبعد أن رُفع عيسى كتب متى[3] الإنجيل بخطه

---

(١) الأصل: متا وكذلك في (ر)، والمثبت من (أ) وهو الأصح، وزيد عليها قوله: (متى لعنه الله).
(٣) في (ر): (متا).

(٢) يؤمن النصارى بأن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ أرسل ابنه الوحيد لتخليص الناس فصلب وقتل على الصليب وقام من قبره بعد ثلاثة أيام ليعود إلى جوار أبيه ويحاسب الناس في الآخرة.

والعقيدة التي جاء بها القرآن الكريم تنفي ألوهية عيسى عليه السلام وتثبت بشريته، وتنفي عملية القتل والصلب ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾ (النساء: الآية ١٥٧).

فالقرآن الكريم أورد ما يدل على نهاية عيسى عليه السلام، وأنها كانت بـالرفـع إليه وتخليصه من يد القتلة ﴿وما قتلوه يقيناً بـل رفعه الله إليـه وكان الله عـزيزاً حكيـماً﴾ (النساء: الآية ١٥٨)، وقوله: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ﴾ (آل عمران: الآية ٥٥). فإن هذا التأكيد ينفي ما يزعمه النصارى من قتله وصلبه، ويؤكد أنهم ما زالوا مختلفين إلى الآن في هذه القضية، ولهذا قال عنهم: ﴿وما لهم به من علم إلاّ اتباع الظن﴾.

ومع اتفاق علماء المسلمين على رفـع عيسى عليه السـلام، إلاّ أن لهم في معنى الرفـع مذهبين:

الأول: يرى أن الرفع تم بالروح والجسد، وقد ذهب إليه أكثر أئمة التفسير والحديث من قدامى ومحدَثين، فالإمام الطبري أورد الآية الكريمة: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (آل عمران: الآية ٥٥).

يعني بذلك جل ثناؤه: ومكـر الله بالقـوم الذين حـاولوا قتـل عيسى مع كفـرهم بالله وتكذيبهم عيسى فيما آتاهم به من عند ربهم، وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿إني متوفيك﴾ فإذ: صلة من قوله: ﴿ومكر الله﴾ يعني مكر الله بهم حين قال الله لعيسى: ﴿إني متـوفيك ورافعك إليّ﴾ فقد توفاه ورفعه إليه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجـل في هذه الآيـة فقال بعضهم هي وفاة نوم، وكأن معنى الكلام على مذهبهم: إني مميتك ورافعك في نومك. =

. . . .

= ثم ذكر أدلة كل فريق وخلص إلى القول: (وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك أني قابضك من الأرض ورافعك إلي. . . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «. . . فينزل عيسى بن مريم فيقتل الدّجال ثم يمكث في الأرض (مدة ذكرها. . . اختلفت الرواية في مبلغها) ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه». جامع البيان من تأويل الأحكام للإمام الطبري ٣/٢٩١.
والحديث المذكور له روايات عديدة. انظر: صحيح الإمام مسلم بشرح النووي
أما الفريق الآخر فقال: إن الرفع كان بالمرتبة والدرجة وليس بالجسم وقد استدلوا بالأمور التالية: ١ ـ ليس في القرآن نص يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام رفع بجسده إلى السماء.
٢ ـ عودة عيسى عليه السلام جاءت بها أحاديث صحاح وردت في السنة ولكنها أحاديث آحاد وأحاديث الآحاد توجب العمل ولا توجب الاعتقاد). راجع: المسيحية د. أحمد شلبي ص ٤٤؛ والنصرانية والإسلام محمد عزت الطهطاوي ص ٢٠٠؛ والمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل عبدالكريم الخطيب ص ٥٣٥ ـ ٥٤٠.
وأما الفريق الأول فقد استدل إلى جانب الآيات التي ذكرها سابقاً بقوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾ (الزخرف: الآية ٦١). وقوله تعالى: ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾ (آل عمران: الآية ٤٦).
و (العلم) في الآية الأولى بفتح العين واللام من علم أي دليل وعلامة على قيام الساعة. قال في مختار الصحاح ص ٤٥١: العلم ـ بفتحتين ـ (العلامة).
والكهل في الآية الثانية: من الرجال الذي جاوز الثلاثين وخطهُ الشيب. مختار الصحاح ص ٥٨١. ومعلوم أن عيسى عليه السلام قد رفع وهو لا يزال شاباً، أما الكهل فهو المتقدم في السن.
وقد استحسن الإمام الرازي الرأي الأول وقال: ﴿إني متوفيك﴾ متمم عمرك، فحين إذن أتوفاك فلا أتركهم حتى يقتلوك بل أنا رافعك إلى سمائي ومقربك من ملائكتي وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك). التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ٨/٧١.
وقد قرر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري أن عيسى عليه السلام كان في الثمانين من عمره قبل أن يرفع. انظر: عقيدة الإسلام، محمد أنور شاه الكشميري ص ٣٥.
أما بالنسبة للأحاديث التي ردّها الفريق الثاني لأنها آحاد، وأحاديث الآحاد توجب العمل ولا توجب الاعتقاد، فإن هذه الأحاديث كثيرة (وأحاديث الآحاد إذا رويت من طرق =

في مدينة الإسكندرية[1]، وأخبر فيه بمولد عيسى عليه السلام وما ظهر عند ولادته من العجائب[2]، وبخروج أمه به إلى أرض مصر خائفة من الملك رودس[3]

= متعددة وضُم بعضها إلى بعض أفادت التواتر المعنوي الذي يفيد القطع كالتواتر اللفظي، والقول باضطراب الأحاديث غير مسلّم لمن له إلمام بما جاء في الصحيحين وغيرهما. وفي مذهب أبي حنيفة النعمان أن المشهور بنسخ القرآن كالمتواتر، وهذه الأحاديث الواردة في نزول المسيح في معظمها لا أقل من أن تكون مشهورة). النصرانية في القرآن الكريم، محمد بن سعد آل سعود، ص ٨٠.

إضافة إلى ذلك فإن الشيخ الكشميري أكد أن هذه الأحاديث تبلغ درجة التواتر وذلك في كتابه التصريح بما تواتر من نزول المسيح، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ص ٦٠.

ومن ناحية أخرى فإن إنجيل برنابا ـ وهو الذي يعترف ببشرية عيسى عليه السلام وعدم ألوهيته ـ يقر برفعه فيقول: (فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم في الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد). إنجيل برنابا ٢١٥: ١ ـ ٥، تحقيق: سيف الله فاضل.

وخلاصة القول: إن (الكتاب والسنة قائمان باقيان يشهدان بالدليل القاطع على رفع عيسى بن مريم عليه السلام بروحه وجسده معاً حياً إلى السماء وليست المغالطة من شأن المؤمن في أمر قطعي . . .). النصرانية في القرآن ص ٨٣.

كما أن قدرة الله تبارك وتعالى لا يعجزها مثل ذلك. والله تعالى أعلم.

(١) يقر قاموس الكتاب المقدس باختلاف الأقوال بخصوص لغة إنجيل متى الأصلية فقد «ذهب بعضهم إلى أنه كتب أولاً في العبرانية أو الأرامية التي كانت لغة فلسطين في تلك الأيام. وذهب آخرون إلى أنه كتب في اليونانية كما هو الآن». راجع قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين ص ٨٣٣. وقد رجح د. بوست أنه ألّف باليونانية. راجع محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٥٢، ويرى د. عثمان عبدالمنعم عيش أن د. بوست ربما يكون قد رجع إلى ما كتبه الترجمان بهذا الصدد.

(٢) يؤمن المسلمون بالمعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام، وذلك كبقية المعجزات التي أيّد الحق سبحانه أنبياءه بها إظهاراً لقدرته تعالى وتمكيناً لرسله وتصديقاً لما يقولون، ولم يخبر القرآن الكريم عن أعمال عيسى عليه السلام كلها في صغره سوى ما جاء في قصته مع والدته حينما أشارت إليه، قال تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً. يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغياً. فأشارت إليه =

الذي أراد قتل ابنها عيسى[1]، وسبب ذلك ـ على ما ذكر متى[2] في انجيله ـ:

= قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبياً. قال إني عبد الله آتاني الكتـاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ (مريم: الآية ٣١ - ٣٣).

وقد اعتبر علماء المسلمين هذا الأمر قبل بعثته عليه السلام من قبيل الارهـاص. قال صاحب المواقف: (... قلنا تلك الخوارق المتقدمة على الدعوى ليست معجزات إنما هي كرامات وظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضـاً وحينئذ تسمى إرهـاصاً أي تـأسيساً للنبـوة من أرهصت الحائط أسسته...). شرح المواقف لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي مع حاشيتي السيالكوتي وجلبي ص ١٧٩ - ١٨٠.

أما النصارى فقد بهتوا بما رأوا وظنوا خطأً أن أعمالـه هذه وغيـرها من إبـراء الأكمه والأبـرص إنما هي من صنـع الإله التي لا يقـدر عليها بشر فهـو ابن الله ـ تعالى عن كفرهـم ـ وقد ذكر إنجيل متى قصة عيسى عليه السلام في صغره. انظر: إنجيل متى الإصحاح الأول: ١/٢٤.

(٣) ورد في إنجيل متى، الإصحاح الثاني: أن اسمه هيرودس، وربما جاء هذا الاختلاف من الترجمة إلى العربية، (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك...) متى ٢ : ١.

وقد جاءت ترجمته عندهم كالتالي: هيرودس الكبير: وهو الابن الثاني لأنتيباس الآدمي الأصل... كان الملك المذكور قاسي القلـب عديم الشفقة يسعى وراء مصلحته ولا يتراجع مهما كانت الخسائر، ولم يكن يهتم للحقيقة ولا ينتبه إلى صراخ المظلومين واشتهر بكثرة الحيل...). قاموس الكتاب المقدّس ص ١٠٠٨ - ١٠٠٩.

(١) لم يتحدث القرآن الكريم عن خروج مريم عليها السلام إلى مصر كما تدّعي الأناجيل، إلّا أنه تحدث عن ابتعادها عن قومها حينما حملت بعيسى عليه السلام فاعتزلت قومها في مكان قصي حيث ولدت هناك قال تعالى: ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناداها من تحتها ألّا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّاً وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقرّي عينا فإما ترينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ (مريم: الآية ٢٢ - ٢٦).

(٢) في (م) زيادة: (الكذاب).

(أن ثلاثة نفر من المجوس الذين بدواخل[1] المشرق وردوا إلى بيت المقدس[2]، وقالوا: أين هذا السلطان[3] الذي ولد في هذه الأيام فإننا رأينا نجمه طلع ببلادنا[4] وهو دليل على[5] ميلاده، وقد أتيناه بهدية، فلما سمع الملك رودس بذلك تغيّر وجمع علماء اليهود[6]، وسألهم عن هذا المولود، فقالوا له: إن أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام أخبرونا[7] في كتبهم / أن [١٥ ب]

---

(١) في (ر): (بدواً من). في (م): (في دواخل).

(٢) أي: البيت المطهر الذي يتطهر به من الذنوب وهو: (مسجد كبير متسع الأقطار وسط مدينة كبيرة تسمى القدس... استنقذها صلاح الدين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة...). مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاء لصفي الدين عبدالمؤمن البغدادي ٣/١٢٩٦، في (ت): علي محمد البيجاوي.

(٣) ساقطة من (ر). (٤) في (ر): (فهو).

(٥) ساقطة من الأصل، والمثبت من (م).

(٦) كان اليهود يشكلون طبقات مختلفة في المجتمع... (وكان الشعب يطيع رجال الدين لأنهم مرشدوه القوميون وفي إقليم الجليل حيث ولد عيسى عليه السلام كانت غالبية الشعب من السذّج البسطاء لم تشارك اليهود ولم تختلط كثيراً بالطبقات العليا من الكهان، أما الكتبة فلم يخل منهم الإقليم تماماً إلّا أنهم لم يبلغوا فيه الانتشار ما بلغوه في القدس وكان المثل الشائع يقول: (إن أهل الجليل يتميزون بالعناد وبصلابة الرأي). انظر: كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي ص ٨٠ - ٨١. وقارن مع كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير ص ٣٢.

(٧) كان اليهود يترقبون مخلّصاً يخلصهم من أيدي أعدائهم، وكانوا يطلقون عليه المسيح أو ميسيا، وقد قال جوميير عن هذا الحدث المرتقب: (... أما المسيح فكان الجميع يترقبون ظهوره، إن الله كان قد وعد داود الملك بأنه لن يتخلى عن شعبه وأن خلفاً من نسله سيعتلي عرشه ويستقر عليه إلى الأبد وظل هذا الوعد معيناً استمد منه المؤمنون الصبر في الملمات والشجاعة في أوقات الضيق، وقد حرص الأنبياء على تذكيرهم به كلما دعت الحال وأصبحوا عنه غافلين... وأما هذا الملك الموعود ابن داود الذي كان موضع أمل الجميع فكانوا يطلقون عليه لقب المسيح أي الذي مسح بالزيت المبارك.
وكلمة المسيح هذه وهي تعادل الكلمة اليونانية كرستوس كانت معروفة منذ عهد بعيد فأطلقت على الملوك والكهنة والأنبياء الذين نالوا مسحة الزيت المقدس ولكنه واضح في ميدان البحث الذي نحن بصدد الخوض فيه أن اللفظة لم تقصد لمجرد التكريم العادي =

المسيح عيسى عليه السلام يكون مولده ببيت المقدس في بلد بيت لحم[1] في هذه الأيام، فأمرهم أن يسيروا إلى بيت لحم ويبحثوا عن هذا المولود، وإذا[2] وجدوه يعرفونه به، وذكر أن قصده الاجتماع به وأن[3] يعبده، وليس الأمر كما ذكر، بل كان ذلك منه مكراً وخديعة، وكان عازماً على قتله فانصرف المجوس[4] الثلاثة إلى بيت لحم فوجدوا مريم وابنها عيسى عليه[5] السلام في حجرها وهي ساكنة (في دويرة صغيرة[6] فأعطوها الهدية وسجدوا لابنها وعبدوه، ثم رأوا في الليل ملكاً من الملائكة فأمرهم[7] أن يكتموا مولد عيسى عليه السلام، وأن يرجعوا من غير الطريق الذي أتوا[8] منه، ثم أقبل المَلَكُ على مريم، وعرفها بمكر رودس[9]، وأمرها أن تهرب بعيسى ابنها إلى أرض مصر ففعلت ما أمرها به[10]...).

= إنما عني بها الشخص المنتظر...). انظر: المسيح ابن مريم ـ جاك جومير، سامي اليافي ص ١٧ وما بعدها. وانظر: المسيح في مفهوم معاصر، عصام الدين حفني ناصف ص ٤٣.

وقد خالف إنجيل برنابا جميع الأناجيل والآراء التي تدّعى أن مسيا هو المسيح وذلك حيث قال في الفصل الثاني والأربعين.... قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا أو نبياً ما، فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأناً من مسيا؟ أجاب يسوع: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله ولست أحسب نفسي الذي تقولون عنه لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموقه أو سيور حذاء رسول الله...) برنابا ٤٢: ١٣ ـ ١٥.

(١) بلدة قديمة في فلسطين، (ومعنى بيت لحم بالسريانية بيت الخبز ولها أوصاف عديدة). انظر: دائرة المعارف، بطرس البستاني ٥/٧٣٢.

(٢) في (م) و (ر): (فإذا).

(٣) في (م): (وأنه يعبده).

(٤) في (أ): (الثلاث).

(٥) ساقطة من الأصل و (ر).

(٦) في (ر): (في بيت صغير).

(٧) في (أ): (يأمرهم) وفي (ر): (فباخبرهم).

(٨) في (أ): (التي أتوا منه) وفي (م): (جاؤوا منها).

(٩) في (م): (الملك رودوس).

(١٠) هذا النص ورد في إنجيل متى. الإصحاح الأول (١ ـ ٢٤) وهو طويل جداً وقد أورده المؤلف بالمعنى، وقد خالف المؤلف الآراء التي تثبت صحة هذه القصة كما سنرى فيما بعد.

هذا نص كلام (متى في إنجيله وهو باطل وكذب وزور وبهتان)[١].
وبيان ذلك أن بيت لحم بينها وبين بيت المقدس خمسة أميال فلو[٢] كان الملك رودس خائفاً من هذا المولود وباحثاً عنه لسار بذاته[٣] مع الثلاثة: نفر، أو بعث[٤] من ثقاته من ينصحه في البحث (عن المولود)[٥] على أتم الوجوه وهذا دليل على[٦] كذب متى في هذه الحكاية، وأيضاً فإن لوقا وماركس[٧] يوحنا لم يذكروا شيئاً من هذا في أناجيلهم ومتى لم يحضر المولد[٨] ولكنه[٩] نقله عن[١٠] كذاب افتعله على ما نقله[١١]. . .

[١٦ أ]

وأما لوقا[١٢] فلم يدرك عيسى ولا رآه البتة وإنما تنصر بعد أن رُفع عيسى عليه السلام[١٣]، وكان[١٤] تنصره على يد باولص[١٥] الإسرائيلي[١٦]، وباولص لم

---

(١) في (أ) و(م) زيادة: (متى اللعين) والأصل: (متى في إنجيله وهو باطل وكذوب)، والمثبت من (م).
(٢) في (أ) و(م): (ولو). (٣) ساقطة من (أ) وفي (م): (سارع).
(٤) الأصل (يبعث)، والمثبت من (م). (٥) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ).
(٦) ساقطة من الأصل. (٧) في (أ): (مركوس).
(٨) من المعروف أن متى صاحب هذه الرواية والتي تفرّد بسردها كان صغيراً في ذلك الوقت، إضافة إلى كونه من كفر ناحوم وليس من بيت لحم ومن المقطوع به أنه لم يشاهد المسيح أثناء ولادته، كما أن بقية الأناجيل لم تنص على هذه القصة، وعليه يكون رأي المؤلف في محله.
(٩) في (أ): (ولكن). (١٠) في (أ) و(ر): (من).
(١١) في (ر): (على ما نقل). والواقع أن الروايات التي تناقلها كتابهم تناقض بعضها البعض ولا يمكن الاعتماد على عقائد تحمل طابع التناقض أو الكذب.
(١٢) في (أ) و(م): زيادة: (فوالله). (١٣) ساقطة من (م).
(١٤) في (م): (ولا رآه).
(١٥) كذا في الأصل وفي (أ): با بولص وتكتب اليوم بولس.
ويعتبر بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية، وقد جاءت ترجمته كالتالي: اسمه العبري (شاول) وتسمى باسم بولس (في سفر أعمال الرسل) وكان يلقب نفسه ببولس الرسول، وبهذا الإسم عرف عند الأمم، وهو فريسي من سبط بنيامين ولد بطرسوس. . . وتربى في أورشليم، وكان أستاذه فيهاغمالائيل عضو السنهدريم (مجمع علماء اليهود). =

. . . .

= وكان شديد الإتلاف للكنيسة والإيذاء لمتعصبيها حتى طلب من رئيس الكهنة أن يرسله إلى مجمع دمشق ليكشف أتباع هذه الطريقة ويسوقهم موثقين إلى أورشليم. . . وفي الطريق (أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض. . . وكان هذا النور هو نور المسيح (كما يدّعون) ثم تكلم معه وأوصاه باتباع تلاميذه وعدم إيذائهم وحاول في أورشليم أن يتصل (بالرسل) فأوجسوا منه خيفة ولم يصدقوا إيمانه وشهد له برنابا وحدثهم كيف أبصر (الرب) ـ حسب ما يعتقدون ـ وكلّمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع، ومن ذلك ظهرت سياسة بولس ووصفهم بأنهم ناموسيون وأطلق على تعاليمه إنجيل الأمم. .

وطالب بولس المؤمنين بالتمثل بالمسيح يتزوجون إن أحبوا واعتبر كل الأطعمة طاهرة وكل خليقة الله جيدة فألغى النجس والمحرم وأباح شرب الخمر وأمر بها وأفتى بأنه لا لزوم للختان وأخذ في التطواف في آسيا وأوروبا يبني الكنائس ويخط الرسائل فكانت رسائله الأربع عشرة هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادىء في الاعتقاد والشرائع العملية وصار هو نفسه كل شيء في المسيحية، بحيث صارت مطبوعة بطابعه ومنسوبة إليه وكان متى علم أنه يكلم فريسين يقول إنه فريسي كما ورد في قوله: (فصرت لليهود كيهودي لا ربح اليهود وللذين تحت الناموس كأنّي بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس. . .). الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبدالمنعم الحفني ص ٧٤ ـ ٧٥.

ومن هنا نستطيع أن نجزم بأن شخصية بولس لم تكن شخصية عادية مطلقاً، بل خطيرة أيضاً، وذلك للمبادىء التي أدخلها، خاصة ما يتعلق منها بالعقيدة، فرسائله حافلة بما يتناول الحديث عن ألوهية المسيح وبنوته وصلبه وقيامه من القبر والظهور لتلاميذه، والعشاء الرباني وأمور أخرى، وجلّها من اختراع بولس، وقد استطاع بدهائه فرض هذه العقائد على أتباع المسيح.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى نجاح الخطة الخبيثة التي غيرت معالم المسيحية الحقة والأصيلة التي جاء بها المسيح، والتي تحولت بفضل بولس إلى عقائد ضالة تشرك مع الله إلهاً آخر، بعد أن كان التوحيد الخالص هو شعارها، فها هي المجامع النصرانية تعقد وتلتمس من تعاليم بولس طريقاً ونهجاً لها.

وهذا ما عبر عنه غريديه حيث يقول: (. . . أما المرحلة الثانية (٣٤١ ـ ٣٨١) فهي فترة الآباء الشراح الذين أقبلوا على الكتب المقدسة ولا سيما رسائل القديس بولس، ليستنتجوا منها التعاليم الصحيحة عن المسيح). فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غريديه، ج. قنواتي ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠. =

يدرك عيسى ولا رآه[1]، وكان من أكبر أعداء[2] النصارى حتى حصل بيده أوامر[3] من ملوك الروم، (فإنه حيث[4] ما) وجد نصرانياً يأخذه ويحمله إلى بيت المقدس ويسجنه هنالك، وقد حكى لوقا المذكور في كتابه الذي سمّاه «بقصص الحواريين»[5]: أن باولص[6] هذا كان يسير مع جملة فرسان وإذا به

= وقد استرعت هذه الشخصية انتباه الكثير من العلماء مما حدا بالدكتور مايكل هارث الذي وضع كتاباً سمّاه (المائة) الذي ذكر فيه مائة شخصية عالمية وتاريخية والتي كانت لها الأهمية عبر التاريخ الإنساني الطويل، وقد وضع اسم الرسول محمداً عليه الصلاة والسلام في أول هذه المائة ووضع المسيح ثالثاً. أما بولس فوضعه في المرتبة السادسة.
ويلخص السبب الذي من أجله وضع تلك الشخصية في المرتبة السادسة.رغم وجود من هو أولى منه: (أن المسيحية بعكس الإسلام، لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد ﷺ، بل قام بالجهد اثنان: عيسى، وبولس الرسول، فالمسيح - في رأيه -: هو الذي وضع القيم الأخلاقية الأساسية للمسيحية وأفكارها الأساسية عن السلوك الإنساني ولكن الفقه المسيحي صاغه وفصله بولس الرسول، كما أن بولس أضاف إلى ذلك فكرة قدسية المسيح التي لم يقل بها أحد قبله كذلك، فإن بولس هو الذي كتب جزءاً كبيراً من (العهد الجديد) وهو الذي كان أقوى معبِّر ومبشّر بالمسيحية في القرن الميلادي الأول. . .
وبولس هو الذي ناضل في الدعوة وجمع الأنصار وتوجه بها إلى اليهود وغير اليهود أي إلى كل البشر، بهذا نمت وأصبحت إحدى الديانات الكبرى في العالم وبولس هو الذي أسس (الكنيسة) بالمعنى الذي عرف بعد ذلك، . . .) ويقول إنه: (لم يضع بولس قبل المسيح لأنه بدون ظهور المسيح ما ظهر بولس). راجع مجلة العربي عدد ٢٤١ سنة ١٣٩٩ هـ الكويت، مقالة عن كتاب المائة لمايكل هارث.

(١٦) الإسرائيلي: أي اليهودي الأصل. وإسرائيلي نسبة إلى إسرائيل، وهو إسم عبري ومعناه (من أسره الله). قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩.
ويطلق على يعقوب عليه السلام إسم إسرائيل، كما ورد ذلك في القرآن الكريم، في كثير من المواضع ومعناه عبدالله.

(١) جملة: (وكان تنصره إلى قوله: لم يدرك عيسى ولا رآه): ساقطة من (م).
(٢) في (أ): (من أكبر أحد). (٣) ساقطة من (أ).
(٤) هذه الجملة ساقطة من (م).
(٥) في (أ): (الذي سمّاه قصص الحواريين). ويطلق عليه الآن (أعمال الرسل).
وتمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة المجموعة الأولى من أسفار العهد الجديد وهي في نظرهم =

ينظر إلى شعاع[1] كشعاع الشمس، وسمع[2] صوتاً من الضوء يقول له لأي شيء يا باولص تضرني؟ فقال له باولص: ومن تكون أنت يا سيدي؟ فقال له: أنا عيسى المسيح. (هذه الحكاية كذب أو هي من خدع الشيطان)[3] فقال له باولص: وكيف ضررتك[4] وأنا ما رأيتك؟[5] فقال له: إذا ضررت[6] أمتي (فقد ضررتني)[7] فارفع يدك عن مضرتهم فإنهم على الحق واتبعهم تفلح[8]، فقال له باولص: وما تأمرني به يا سيدي؟ فقال له: سر إلى مدينة دمشق[9] وابحث فيها عن رجل[10]اسمه أنانيا فهو[11]/ يعرّفك ما [١٦ ب]

= أهم مجموعاته. أما بقية أسفار هذا العهد فعددها ثلاث وعشرون سفراً منها سفران منفردان، وهما سفر (أعمال الرسل) للوقا وسفر (رؤيا يوحنا) ومجموعتان من الأسفار: تضم إحداهما أربعة عشر سفراً وهي رسائل بولس، وتضم الأخرى سبعة أسفار هي الرسائل الكاثوليكية. . .
ولما كان هذا الكتاب (سفر أعمال الرسل) يتفق مع الأناجيل في أن موضوعه الأساسي موضوع تاريخي لأن الموضوع الأساسي للأناجيل هو تاريخ المسيح، والموضوع الأساس لهذا الكتاب هو تاريخ أنصاره من بعده، لذلك جرت العادة بأن تطلق كلمة (الأسفار التاريخية) على الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل. راجع: الأسفار المقدسة، د. علي عبدالواحد وافي، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٦) بقية النسخ: (بولص).
(١) في (ر)، (م): (ضوء). (٢) في (ر): (يسمع).
(٣) وردت هذه العبارة آخر القصة في النسخة (أ).
(٤) في الأصل: (ضريتك)، والمثبت من (م). (٥) في (ر): (أبصرتك).
(٦) في الأصل: (ضريت)، والمثبت من (أ).
(٧) في الأصل: (كأنك ضريتني)، والمثبت من (أ).
(٨) في (ر): (تنج).
(٩) كانت دمشق في يد الروم وقد (فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ هـ بعد حصار ومنازلة، وكان قد نزل على كل باب من أبوابها أمير المسلمين. . . وفتحها خالد بن الوليد عنوة. . . (وهناك أوصاف كثيرة لدمشق). معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٤٦٦.
(١٠) في الأصل (على) والمثبت من (أ) و (ر).
(١١) في (ر): (وهو).

يكون عملك[١] عليه، فسار إلى دمشق وسأل عن الرجل فوجده وعرفه[٢] بما سمع[٣] من كلام عيسى وطلب[٤] منه أن يدخل معه في دين النصارى فأجابه لما طلب وعظّمه بعد أن بيّن له إيمانه بعيسى عليه السلام[٥].

فهذا باولص تنصر على يد أنانيا، ولوقا تنصّر على يد باولص[٦] وأخذ كتاب الإنجيل عنه[٧] وكلاهما لم يدرك عيسى ولا رآه قط[٨]، فهذا هو التخليط[٩]، وفيه دليل كذبهم[١٠] وباطلهم[١١] ـ أبعدهم الله ـ[١٢].

وأما ماركوس[١٣] فما رأى عيسى[١٤] قطّ[١٥] وكان دخوله في دين النصارى[١٦] بعد[١٧] أن رُفع عيسى عليه السلام وتنصّر على يد بترو[١٨]

---

(١) ورد ذكره في سفر أعمال الرسل باسم «حنانيا» وليس أنانيا: (وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا فقال له (الرب) في رؤيا يا حنانيا فقال ها أنذا يا رب فقال له (الرب): قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول لأنه هو ذا رجلي وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعاً يده عليه لكي يبصر). أعمال الرسل ٩: ١٠/١٩. وكما عرفنا من قبل إن بولس كان يسمى شاول.

(٢) في (أ) و(م): (وأخبره). (٣) في (ر): (يسمع).

(٤) ساقطة من الأصل و(ر)، والمثبت من (أ) و(م).

(٥) في (م) زيادة: (انتهى وهي حكاية كذب وهي من خدع الشيطان).

(٦) سبق أن مرّ معنا في ترجمة بولس أنه كان يرْسل سلامه إلى أهل كولوسى مضمّناً سلام لوقا.

(٧) ساقطة من (م).

(٨) الرؤية والمعاصرة ضرورة لنقل الأخبار، والتسلسل التاريخي لم يثبت ذلك مطلقاً.

(٩) في (أ) و(م): (فهذا تخليط). (١٠) في (أ) و(ر):(وفيه دليل على كذبهم).

(١١) في (أ) و(م): (وبطلانهم). (١٢) في (أ) زيادة: (وأخزاهم).

(١٣) في (أ): (مركوس).

(١٤) في (أ): (فلا أدرك عيسى ولا رآه قط أيضاً). في (ر): (مما رأى أيضاً).

(١٥) في (م): (أيضاً). (١٦) في (أ): (النصرانية كذلك).

(١٧) في (م): (في دين النصارى كذلك بعد...).

(١٨) في (أ) و(م): (بترس الحواري)، وتكتب الآن بطرس.
وقد جاءت ترجمته عندهم كالتالي: بطرس: اسم يوناني معناه (صخرة أو حجر) (وكان يسمى سمعان واسم أبيه يونا... واسم مدينته بيت صيدا فلما تبع يسوع سمّي (كيفا) =

الحواري وأخذ عنه الإنجيل بمدينة رومة[1]، وماركوس هذا قد خالف أصحابه الثلاثة[2] الذين كتبوا الإنجيل في مسائل[3] جمة حسبما نبيّن ذلك في الباب السادس إن شاء الله[4].

= وهي كلمة آرامية معناها صخرة يقابلها في العربية صفا أي صخرة، وقد سمّاه المسيح بهذا الاسم، والصخرة باليونانية بتروس ومنها بطرس (يو ١ : ٤٢ ومت: ١٦ : ١٨). وكانت مهنة بطرس صيد السمك. ويرجح أن بطرس كان تلميذاً ليوحنا المعمدان قبل مجيئه إلى المسيح. قاموس الكتاب ص ١٧٥.

(١) أسسها سنة ٧٥٣ ق.م. روميولوس الذي صار أول ملك لها. . . وكانت رومية عاصمة الإمبراطورية الرومانية. . (وفيها) انتشرت العلوم والآداب والفلسفة، ولكن بالرغم من كل هذا فقد كانت المدينة غارقة في أرجاس العبادة الوثنية وقبائحها، واستولت عليها الخزعبلات.
ولا يُعلم يقيناً الوقت الذي فيه دخلتها المسيحية ولا على يد من دخلتها ولكن الأرجح أنه تم على يد اليهود أهل رومية.
في سنة ٦٤ م قام الإمبراطور نيرون وأثار اضطهاداً شديداً على مسيحيي رومية ثم قام من بعده متيانوس وجدد الاضطهادات سنة ٨١ ب.م. وخلفه تراجانوس حيث أثار عليهم اضطهاداً أشد بين سنة ٩٧ وسنة ١١٧ م (وصلب بطرس هناك وقطع رأس بولس سنة ٦٨).
وفي رومية آثار قديمة وكنائس كثيرة أهمها كنيسة القديس بطرس. . . وبها أيضاً الفاتيكان مقر البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ).

(٣) في الأصل: (في مسائل جملة)، والمثبت من (أ).

(٤) استعرض الباحثون في كتاب (قاموس الكتاب المقدس) جميع الحوادث التي وردت في الأناجيل الأربعة ورتبوها في جداول تبين اسم الحادثة أو الواقعة وتاريخها ومدتها، ومن خلال هذا الاستعراض يستطيع القارىء بسهولة تمييز الفروق والاختلافات الكثيرة الحاصلة بين الأناجيل (راجع ص ٨٧٠/٨٨٥ من القاموس) مما يؤكد قول المؤلف رحمه الله تعالى).

أما يوحنا[1] فهو ابن خالة[2] عيسى عليه السلام ويزعم[3] النصارى (أن

---

(١) في (أ): (فهو غير ابن خالة عيسى).

(٢) قوله: (فهو ابن خالة عيسى عليه السلام) قول فيه نظر: فهذه الرواية هي ما أشاعته المصادر المسيحية رغم أنها خاطئة ومبنية على أسس غير سليمة، وذلك يتضح من الآتي:

يقول (قاموس الكتاب المقدس) في معرض الحديث عن يوحنا الحواري: (. . . أما أمه سالومة فقد كانت سيدة فاضلة تقية، كانت شريكة النساء اللواتي اشترين الحنوط الكثير الثمن لتكفين جسد يسوع وكانت على الأرجح أخت مريم أم يسوع. يو ١٩ : ٢٥). القاموس ص ١١٠٩.

ويقول نفس الكتاب عن ترجمة سالومة: (. . وكانت إحدى النساء اللواتي اتبعن المسيح في الجليل وخدمته، وإحدى اللواتي شاهدن الصلب وذهبت إلى القبر صباح القيامة مع النساء وهن يحملن الأطياب وهي التي طلبت من المسيح أن يجلس واحد من أولادها عن يمينه والآخر عن يساره. ويرجح البعض أنها أخت مريم أم يسوع مستنتجين ذلك من يوحنا ١٩ : ٢٥)، اهـ. القاموس ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

هذا الاستنتاج خاطىء لأننا إذا رجعنا إلى نفس المصدر المشار إليه في إنجيل يوحنا فلن نجد اسم سالوما زوجة زبداي ـ كما ذكر في السابق ـ بل سنجد التالي: (وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريا المجدلية) ١٩ : ٢٥ يوحنا.

وهكذا لا يرى القارىء أدنى إشارة يمكن أن نستدل منها أو أن نستنتج منها على أن سالومة أم يوحنا، وهذا أيضاً يدل على عدم ثبوت دعوى أن يوحنا ابن خالة المسيح عليه السلام.

وتجدر الإشارة إلى أنه ورد في صحيح الإمام مسلم عن حديث الإسراء والمعراج من حديث أنس رضي الله عنه أنه لما عرج جبريل برسول الله ﷺ إلى السماء الثانية قال: «فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: ومن أنت قال: جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما). صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢١٢.

وقد أشار الأستاذ النجار إلى أن (التعبير بابني الخالة في حديث المعراج فيه تجوّز على ذلك) لأن زكريا عليه السلام (كان زوجاً لخالة مريم). قصص الأنبياء ص ٣٦٨.

ويطلق المسيحيون على يحيى بن زكريا عليهما السلام: «يوحنا المعمدان».

(٣) في (أ): (وزعم النصارى) و (ر): (وتزعم).

عيسى حضر في عرس يوحنا وأنه حول الماء خمراً في ذلك العرس)[١] وهذه[٢] أول معجزة ظهرت لعيسى[٣] وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته وتبع عيسى على دينه وسياحته[٤]، (ويذكر[٥] النصارى أن عيسى أوصى[٦] ابن خالته يوحنا ـ هذا[٧] المذكور ـ على والدته مريم[٨]، وذلك حين حاصرته اليهود [١٧ أ] وأيقن بالموت[٩] على زعمهم لعنهم الله وقال له: يا يوحنا الله الله في والدتي فإنها[١٠] أمك[١١] ثم قال لها: الله الله[١٢] في يوحنا فإنه ابنك وأوصاها به[١٣])

---

(١) ورد ذكر حضور عيسى حفلة العرس في إنجيل يوحنا فقط دون غيره من الأناجيل،وذلك في الإصحاح ٢ : ١ ـ ١١، إلاّ أن هذه النصوص لم تذكر من قريب أو بعيد أن يوحنا هو صاحب العرس، وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال الجدول المثبت في قاموس الكتاب المقدس. انظر: ص ٨٧١ منه.

(٢) في (ر): (وهذا). (٣) في (م): (عليه السلام).

(٤) يذكر إنجيل متى أن يوحنا تبع المسيح على هذا النحو، (ثم اجتاز (المسيح) من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه. . .). متى ٤: ٢١ ـ ٢٢.

(٥) في (ر): (تذكر).

(٦) في (م) زيادة: (أوصى بوالدته مريم إلى. .).

(٧) ساقطة من (أ).

(٨) في(أ): (ويذكر النصارى أن عيسى عليه السلام أوصى بوالدته مريم إلى ابن خالته يوحنا المذكور).

(٩) في (م): (الموت). (١٠) في (ر): (إنها).

(١١) في (م): (وقال). (١٢) في (م): (الله يا والدتي في).

(١٣) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا، إلاّ أنه لا يذكر إسم التلميذ الذي تكلم معه المسيح، وقد جاء هذا النص على النحو التالي في النسخة العربية المطبوعة (. . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك، ثم قال للتلميذ: هوذا أمك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته). يوحنا ١٩: ٢٦ ـ ٢٧.
وقد استنتج علماء النصرانية من هذا النص أن التلميذ الذي كان يحبه المسيح هو يوحنا، ولكننا لا نستطيع أن نعتمد على هذا الرأي ولا على الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، وذلك للاعتراضات التي تواجه هذا الإنجيل والاختلافات المحيطة به والتي بسطنا القول فيها أثناء ترجمة يوحنا وإنجيله.

ويوحنا هو الرابع من الذين كتبوا الأناجيل الأربعة كما قلنا[1] ولكن يوحنا كتب[2] إنجيله بالقلم اليوناني في مدينة سوس[3]، فهؤلاء الأربعة هم الذين جعلوا[4] الأناجيل الأربعة وحرفوها وبدّلوها وكذبوا فيها، وما [5] كان الذي أنـزله [6] الله وجـاء به عيسى إلاّ [7] إنجيـلاً واحداً [8] لا تـدافُع فيـه ولا اضطراب ولا اختـلاف، وهؤلاء الأربعـة ظهـر عنـدهم[9] وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف[10] والكذب على الله وعلى نبيه عيسى[11] ما هو معلوم ومشهور[12]لا[13]يقدر[14]النصارى[15]على إنكاره حسبما نورد منه جملة[16]كافية إن شاء الله تعالى.

---

(١) ساقطة من (م). (٢) ساقطة من (م).

(٣) انظر ترجمتها في الروض المعطار للحميري ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠. ومعجم البلدان ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٤) في (أ) و(م): (كتبوا). (٥) في (ر): (إنما).

(٦) ساقطة من الأصل. (٧) ساقطة من (ر).

(٨) في (أ) و(م): (الإنجيل واحد).

(٩) في (ر): (قد ظهر).

(١٠) في (م): (الاختلاف والاضطراب والكذب).

(١١) في (أ) زيادة: (عليه السلام). (١٢) في (ر): (شهير).

(١٣) في (م): (لم). (١٤) في (أ) و(م): (تقدر النصار).

(١٥) أورد الإمام ابن حزم الاختـلافات الكثيـرة التي وقعت في الأناجيـل، ومن بين هـذه الاختلافات ما ذكره عن الحادثة التي روتها الأناجيل في قصة إقامة ابنة بايروس بعد أن شفاها المسيح عليه السلام، وقد أورد النصوص الثلاثة كما هي واردة في متى ٩/١٨ ـ ٢٦، ومرقس ٥: ٢١ ـ ٤٣، ولوقا ٨: ٤٠ ـ ٥٦.
وبيّن التناقض الحاصل بين متى وبقية الأناجيل في هذه القصة، ومما قالـه: (في هذا الفصل مصائب جمة أحدها كان يكفي في أنه إنجيل موضوع مكذوب، أولها حكايتهم عن المسيح أنه كذب جهاراً، إذ قال لهم: لم تمت وإنما هي حية راقدة ليست ميتة، فإن كان صادقاً في أنها ليست ميتة فلم يأت بآية (و) لا بعجمية وحـاشى لله أن يَكْذِبَ نبي فكيف إله.

=

فأما[1] كذبهم، فمنه ما قاله[2] ماركوس في الفصل الأول من إنجيله: إن في كتاب أشعيا[3] النبي[4] عن الله تعالى يقول: إني بعثت ملكي[5] أمام وجهك (يريد[6] وجه عيسى عليه السلام)[7]. وهذا الكلام[8] لا يوجد في

= وليس لهم أن يقولوا إن الآية هي إبراؤها من الإغماء لأن في نص إنجيلهم أنه قال لأبيها آمن فتحيا ابنتك، فلا بد من الكذب في أحد القولين.
والثانية أن متى ذكر أن أباها جاء إلى المسيح وهي قد قامت وأخبره بموتها ودعاه ليحييها، ولوقا يقول: إن أباها أتى إلى المسيح وهي مريضة لم تمت وأتى به ليبريها بعد، وأن الرسول لقيه في الطريق وقال له: لا تعنه فقد ماتت فأحد النذلين كاذب بلا شك). انظر: الفصل لابن حزم ٣/٣٧ ـ ٣٨.
وقد تابع الشيخ رحمة الله الهندي أيضاً هذه الاختلافات، (وقد أورد في كتابه إظهار الحق سبعاً وسبعين اختلافاً، منها ما ذكره المؤلف، ومنها ما كشفه الشيخ بنفسه، وكان ذلك في الفصل الثالث من الجزء الأول من إظهار الحق، الذي بيّن فيه التناقضات الحاصلة في الكتاب المقدس بقسميه، كما ذكر فيه ما وقع في الأناجيل من أغلاط وقد بلغ عددها ثلاثاً وسبعين غلطاً). إظهار الحق ١/٨٧ ـ ١٧٢.

(١٦) في (أ) و (م): (كفاية).

(١) في (أ): قبل قوله: (أما كذبهم) هناك كلمة زائدة وهي (فصل).

(٢) في (م): (قال).

(٣) أشعياء: وقد جاءت ترجمته ـ عندهم ـ كالتالي: (.. ومعنى الإسم الرب يخلّص)... ويرجح أنه عاش إلى أن جاوز الثمانين من العمر وامتدت مدة قيامه بالعمل (النبوي) إلى ما يزيد على الستين عاماً... ولأشعياء سفر يسمى سفر أشعياء ويقسم إلى سبعة أقسام...) وله منزلة عظيمة فهو نبي عندهم. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٢/٨.
والجدير بالذكر أن القرآن الكريم لم يذكر أن أشعياء كان من الأنبياء ولهذا فإننا نتوقف في هذا الشأن.

(٤) في (أ) زيادة: (عليه السلام).

(٥) في (أ): (ملكاً).

(٦) في (م): (يريد به).

(٧) ورد هذا النص في إنجيل مرقس كالتالي: (ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك). مرقس ١: ٢.

(٨) في الأصل: (لم)، والمثبت من (م).

كتاب أشعيا[1] وإنما هو كتاب ملخيا[2] النبي عليه السلام[3] فهذا[4] من أقبح الكذب على أنبياء الله تعالى[5] حيث يسند لأحدهم[6] ما ليس في كتابه، ومنه ما حكى[7] متى في الفصل الثالث[8] من إنجيله[9] أن[10] عيسى عليه السلام قال: يكون جسدي[11] في بطن الأرض ثلاثة أيام[12] وثلاث ليال بعد موتي[13] كما لبث يونس في بطن الحوت)[14] وهو من صريح الكذب والبهتان

[١٧ ب]

---

(١) صحيح أنه لم يرد في سفر أشعياء كما قال صاحب المخطوط، وقد اطلعت على هذا السفر فلم أجد هذا النص، إلّا أن إنجيل مرقس (حسب الطبعة العربية الموجودة بين يدي) لم يذكر أنه موجود في أشعياء بل قال: (كما هو مكتوب في الأنبياء...) ولم يذكر إسماً. انظر: مرقس ١: ١ - ٢.

(٢) في العهد القديم ورد باسم «ملاخي» (وهو إسم عبري معناه (رسولي) وهو آخر الأنبياء - في العهد القديم - ودعى بالختم لأن نبوءته كانت ختاماً لذلك العهد ولا يعرف عنه إلّا ما هو مدوّن في سفره وعاش بعد يحيى وزكريا...). قاموس الكتاب المقدس ص ٩١٤. وله سفر يدعى باسمه.
وقد وردت فيه العبارة التالية: (ها أنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله) ملاخي ٣: ١.

(٣) قوله: (عليه السلام) وقد اعتبره المؤلف من الأنبياء، إلا أننا نتوقف أيضاً بهذا الشأن لعدم ذكره في القرآن الكريم.

(٤) في (ر): (وهذا).

(٥) ساقطة من الأصل، والمثبت من (م).

(٦) في (أ): (لبعضهم).

(٧) في (ر): (ما ذكر).

(٨) في (أ) و (م): في الثالث عشر وهو خطأ وسيأتي بيانه فيما بعد.

(٩) ورد هذا النص في الإصحاح الثاني عشر وليس في الثالث كما هو موجود في الأصل، وليس الثالث عشر كما في (أ) و (م). ونرجح أن الخطأ قد حصل من النسّاخ لاختلافهم.

(١٠) في (م): (أنه).

(١١) ساقطة من (أ) و (م).

(١٢) ساقطة من (أ) و (م).

(١٣) ساقطة من (أ) و (م).

(١٤) هذا النص ورد كالتالي في إنجيل متى: (لأنه كما كان يونان (يونس) في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ). متى ١٢: ٤٠.
ونلاحظ أن اسم يونان كما هو موجود في إنجيل متى هو (الصيغة السريانية والعربية للإسم العبري «يونة» ومعناه حمامة). قاموس الكتاب ص ١١٢٦، وله ترجمة طويلة.

=

الذي كتبه متى في إنجيله، لأنه وافق أصحابه الثلاثة على ما في أناجيلهم: أن عيسى مات بزعمهم في الساعة السادسة من يوم الجمعة، ودفن في أول ساعة من ليلة السبت وقام من بين الموتى في صبيحة يوم الأحد، فبقي في بطن الأرض (على هذا الزعم[1] يوماً واحداً وليلتين وعلى ما تقدم من قول متى أن عيسى قال: إنه[2] يبقى ثلاثة[3] أيام وثلاث ليالٍ كما بقي[4] يونس في بطن الحوت، فظهر[5] كذب متى وتناقضه في نقله ولا شك في كذب هؤلاء الملاعين الذين كتبوا[6] هذه الأناجيل في هذه المسألة[7] لأن عيسى لم يخبر عن

= وقد ورد ذكره في القرآن الكريم باسم «يونس» عليه السلام، قال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن إن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له، ونجّيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين...﴾ (الأنبياء: الآية ٨٧ ـ ٨٨).

وقصة يونس عليه السلام مع قومه عالجها القرآن الكريم في كثير من المواضع، قال ابن كثير رحمه الله: «وقال ابن عوف الأعرابي لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرّك رجليه، فلما تحركت سجد مكانه ثم نادى: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس... وقال سعيد بن الحسن البصري: مكث في بطن الحوت أربعين يوماً...). تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ١٩٢/٣.

(١) ساقطة من (أ) و (م). (٢) ساقطة من (أ) و (م).

(٣) في (أ) و (م): (ثلاثة). وما في الأصل أصحّ. (٤) في (أ) و (م): (كما لبث).

(٥) في (م): (يظهر). (٦) ساقطة من الأصل، والمثبت من (م).

(٧) لاحظ الأستاذ «بوكاي» هذا الاختلاف حول هذه النقطة فقال: (المسيح يعلن أنه سيظل ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ولكن متى، ومعه لوقا ومرقس، يحددون موت ودفن المسيح ـ حسب زعمهم ـ بما قبل السبت بيوم وهذا بالتأكيد يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام (يقول النص اليوناني TREIS EMERAS) لكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال.

(يقول النص اليوناني: TREIS NUKTAS): المعلقون على الأناجيل يسكتون في غالب الأحيان أمام هذا الحدث). انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص ٨٣. وما قاله بوكاي ينطبق على ما قاله صاحب المخطوط.

نفسه ولا أخبر الله عنه في إنجيله بأنه يقتل (ويدفن يوماً ولا ليلتين ولا ثلاثة أيام ولياليهم)[1] بل هو كما أخبر الله تعالى[2] عنه في كتابه العزيز المنزّل على رسوله[3] الصادق الكريم أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل رفعه إليه[4]، فلعنة الله على الكاذبين.

ومنه ما قاله ماركوس[5]: (إن سيدنا[6] المسيح لما قام من بين الموتى كلم الحواريين ثم صعد إلى السماء[7] من يومه)[8] وخالفه لوقا[9] في كتابه

---

(١) في (أ) و(م): (ويدفن لا يوماً ولا ليلة ولا ثلاثة أيام).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في (أ) و(م): (نبيه).

(٤) قال الله تعالى ﴿.. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: ١٥٧ - ١٥٨).

(٥) في (أ): (ماركوس).

(٦) في (ر): (سيدنا عيسى).

(٧) في (أ): (للمساء).

(٨) وردت هذه الحادثة في إنجيل مرقس وأظهرت أنه ظهر لمريم المجدليّة كما ظهر بهيئة أخرى لاثنين من التلاميذ ثم ظهر لأحد عشر منهم.. ثم قال: (ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله). مرقس ١٦: ١٩.
وكما نرى فإن مرقس لم يحدد يوماً في جميع هذه الحوادث مما يجعل كلامه يحتمل الصعود في نفس اليوم أو الصعود بعد أيام، والنتيجة التي قررها صاحب المخطوط هي وجهة نظر سليمة، إلا أنه لم يصب إذ قال: (من يومه) وربما تكون النسخة التي اعتمد عليها المؤلف قد حددت ذلك اليوم. والله أعلم.

(٩) (أ) و(م): (وخالفه يوحنا). والأصح ما هو ثابت في الأصل، لأن قصص الحواريين - أي: أعمال الرسل كما يسمى اليوم - ينسب إلى لوقا صاحب الإنجيل الثالث... وقد كتبه - كما قيل - باللغة اليونانية حوالي سنة ٦٣ ميلادية على الأرجح، أي في العصر نفسه الذي كتب فيه إنجيله، وكما قلنا في السابق هناك شك واختلاف حول اسم مؤلف هذا الإنجيل.
وموضوع (أعمال الرسل) تاريخ حياة الحواريّين وتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ والتابعين. الأسفار المقدسة، د. علي عبدالواحد وافي ص ٩٩.

[١٨ أ] الذي سمّاه قصص[1] الحواريّين، فإنه ذكر / فيه (أن عيسى صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الأموات[2] بأربعين[3] يوماً)[4] وحسبك بهذا[5] دليل على كذبهما[6] في هذا من أصله، فوالله[7] ما قتل عيسى ولا دفن ولا قـام من قبره[8] بعد يوم ولا بعد أربعين يوماً، فلعنة الله على الكافرين)[9].

---

(١) في (أ) و (م): (بقصص).

(٢) في (أ) و (م): (من بين الموتى).

(٣) (يوماً) ساقطة من (أ) و (م).

(٤) جاء هذا النص كالتالي: (الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله). أعمال الرسل ١ : ٢.

(٥) (أ) و (م): (دليلًا) وهو خطأ، والمثبت أصح.

(٦) في (أ) و (م): (كذبهم) وهو خطأ.

(٧) في (أ) و (م): (فوالله الذي لا إله إلّا هو).

(٨) في (ر): (من قبر).

(٩) في (أ): (فلعنة الله على الكاذبين). وفي (م): (فلعنة على الكاذبين).

الباب الثاني

في ذكر[1] افتراق[2] النصارى[3] وتعدد مذاهبهم وفرقهم

(١) ساقطة من (م).

(٢) روى الإمام الترمذي في سننه في باب افتراق هذه الأمة بسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة». وقال: حسن صحيح.
سنن الترمذي ص ١٣٤ ـ ١٣٥ والمقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٥٨ حيث قال: حسن صحيح ناقلاً ذلك عن أبي داود والترمذي.
وقد تحدث المؤلف في هذا الباب عن الفرق النصرانية، إلاّ أنه لم يتحدث سوى عن مذهبين رئيسيين. الأول: وهو الداعي إلى ألوهية المسيح، والثاني: الداعي إلى بنوته وردّ عليهما بما ينفي تلك الإدعاءات ويبطلها مستمداً ذلك من الأناجيل.
ومعلوم أن العقيدة التي دعا إليها المسيح عليه السلام هي الوحدانية وأن دعوى التثليث إنما هي أمر مستحدَث وقد مرت هذه العقيدة بمرحلتين: مرحلة ما قبل مجمع نيقية ومرحلة ما بعده إلى وقتنا الحاضر، وقد اتصفت الأولى بمرحلة التوحيد إلاّ أنه لم يمر سوى وقت قصير على رفعه عليه السلام حتى بدأت الانحرافات تسري بين الأتباع، وذلك لدخول عناصر جديدة في العقيدة واختلاف الناس حول طبيعة المسيح وشخصيته وأعماله، كما أن الاضطهادات كانت من العوامل التي فرقت الناس واتعبتهم، ولهذا انقسمت الطوائف النصرانية إلى فرق ومذاهب شتى متأثرة بالفلسفات القديمة من يونانية وهندية وغيرها.
وعن هذا يقول د. وافي: (فانقسم المسيحيون إلى طائفتين: طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله، وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، وضمت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقاً كثيرة.
فمن أهم الفرق التي انحرفت عقائدها في هذه المرحلة: فرقة المرقونيين وفرقة البربرانية وفرقة الأليانية وفرقة التثليث ومن أهم الفرق التي ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، فرقة أبيون وفرقة بولس الشمشاطي وفرقة أريوس). الأسفار المقدسة في الأديان ص ١٠٨.
وقد تغلب أصحاب التثليث على أصحاب التوحيد في مجمع نيقية.

(٣) في الأصل و (ر): (على تعدد).

اعلموا ـ رحمكم الله[1] ـ أن النصارى قد افترقوا على اثنين وسبعين فرقة[2]، ففرقة[3] تعتقد أن عيسى هو الله الخالق[4] الباري الذي خلق السموات[5] والأرض[6].

فيقال لهم: كذبتم وكفرتم وخالفتم أناجيلكم[7]، فإن متى قال في الفصل الموفى (عشرين)[8] من إنجيله أن عيسى[9] قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه فيها اليهود: (قد تقاسيت[10] من كرب الموت، ثم اشتد حزنه وتغير وخرّ على وجهه وهو يبكي ويتضرع إلى الله[11] ويقول: يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنية عني فاصرفه[12] ولا يكون ما أشاء أنا بل ما تشاء أنت)[13].

---

(١) ساقطة من (أ) و (م).

(٢) في (أ): (لعنهم الله). (٣) في (أ): (الفرقة الأولى).

(٤) في (أ): الخالق الرازق الباري . استند المؤلف في هذا القول إلى قانون الإيمان الذي يؤمن به النصارى، وقد شرح المؤلف هذا القانون وردّ عليه في الباب الرابع من هذا المخطوط.
ومن المعلوم أن قانون الإيمان هذا تؤمن به الطوائف النصرانية وقد نص على أن عيسى إله خالق، فمن فقراته: (.. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء). انظر: ص ١٧٦ من هذا البحث، وهذا يؤكد ما قاله المؤلف. ويلاحظ القارىء أثر الأفلاطونية الحديثة في هذا القانون.

(٥) في (أ): (حاشا ثم حاشا). (٦) في (م): (حاشا ثم حاشا).

(٧) في (أ): (دمرهم الله تدميراً).

(٨) الأصح: (ستاً وعشرين)، وليس كما ذكرت جميع النسخ، وسوف يمر.

(٩) في (أ) و (م): (عليه السلام). (١٠) في (ر): (تغاشيت) وما في الأصل أصح.

(١١) في (أ) و (م): (إلى الله تعالى). (١٢) كذا في الأصل وبقية النسخ: (فاصرفها).

(١٣) ورد هذا النص في إنجيل متى في الإصحاح السادس والعشرين وليس العشرين، وقد جاء كالتالي: (ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت، امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً، وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت) متى ٢٦: ٣٧ ـ ٤٠، وقد أورده المؤلف بالمعنى.

فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمي[1] يخاف نزول الموت[2] به وأن له إلهاً ناداه يا إلهي وتضرع إليه. وزادوا ـ هم[3] لعنهم الله ـ أنه مع آدمتيه وخوفه وحزنه كان من الشاكين في قدرة / الله[4] حيث قال: إن أمكن صرف كأس المنية عني فاصرفه[5]. لأن هذا عين الشك في القدرة الإلهية[6]، ولا يخلو[7] المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شيء، فما معنى قوله إن أمكن[8] ذلك، وإن كان[9] علم أن الله لا يمكنه ذلك فما معنى سؤله والتضرع إليه، وحاشا روح[10] الله ورسوله من أن يشك في قدرة الله[11]، بل كان في أعلى درجات اليقين أن الله لا يعجزه شيء، وكل ما كان يجري على يده من

[١٨ ب]

---

(١) في (م): (آدم). ولم تخل الأناجيل من التصريح باحتياج المسيح وإنسانيته، فهذا إنجيل متى يقول: (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه) متى ٣: ١٣.
وهذا لوقا يصرح: (وإن سألكما أحد لماذا تحلانه؟ فقولا له هكذا إن الرب محتاج إليه) لوقا ١٩: ٣١. وكذلك إنجيل مرقس ١١: ٣.
كما نصّ إنجيل يوحنا على إنسانية المسيح وأنه يقول ما سمعه من الله تعالى: (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله . .) يوحنا ٨: ٤٠. وهكذا فإن الأناجيل تنطق باحتياج المسيح إلى الغير، ولكن ا لله غني عن العالمين.

(٢) في (م): (عليه). (٣) في (م): (زادوه). وفي (أ): (زادوا عليه).

(٤) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ). (٥) في (أ): (فاصرفها).

(٦) في (أ): (في قدرة الله تعالى). (٧) في (ر): (والمسيح لا يخلو).

(٨) ساقطة من (أ). (٩) في (أ) و (م): (وإن كان قد علم).

(١٠) في (ر): (روح القدس كلمة الله).
قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلاّ الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم، إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾ (النساء: ١٧١).

(١١) في (أ): (قدرة الله تعالى).
إن الله تبارك وتعالى اصطفى رسلاً لهداية الناس وأوجب في حقهم العصمة،فمن المحال أن يتطرق الشك إلى عيسى عليه السلام لأنه نبي مرسل.

المعجزات[1] فإنما كان بقدرة الله ومشيئته[2] لا إله إلاّ هو.

ويقال لهذه[3] الفرقة أيضاً[4]: قد خالفتم ما قال يوحنا في الفصل الثاني عشر من إنجيله: (إن المسيح رفع بصره[5] إلى السماء وتضرع إلى الله وقال: يا رب إني أشكر[6] استجابتك دعائي، واعترف بذلك وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعائي[7]، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين فإنهم لا يؤمنون أنك[8] أرسلتني[9]).

---

(١) جمع معجزة وهي: (أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوة النبوة، قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول من الله). التعريفات للجرجاني ص ٢٣٤.
وقد اعتقد النصارى ـ خطأً ـ أن ظهور الأمور الخارقة على يد عيسى عليه السلام يستلزم القول بألوهيته وربوبيته، ونسوا أنها من قدرة الله وإرادته وقوته ومشيئته، شأنها شأن المعجزات التي أجراها الله تعالى على يد بقية الأنبياء عليهم السلام، ورغم وجود النصوص العديدة التي تؤيد ذلك في أناجيلهم إلاّ أنهم أصرّوا على المعاندة والقول بألوهيته.
وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر فقال: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني جئتكم بآية من ربكم، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: الآية ٤٩).
وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ (المائدة: الآية ٧٢).

(٢) في (أ) و(م): (مشيئة الألوهية).

(٣) في (م): (لهذا). (٤) ساقطة من (أ) و(م).

(٥) في (أ) و(م): (طرفه). (٦) في (أ): (أشكرك).

(٧) الجملة من قوله: وأعترف لك إلى قوله: تجيب دعائي ساقطة من (أ) و(م).

(٨) في (ر): (بأنك).

(٩) ورد هذا في إنجيل يوحنا في الإصحاح الحادي عشر وليس في الثاني عشر كما هو في النسخة العربية التي بين أيدينا، وربما يعود الاختلاف إلى النسخ.
وقد أورده المؤلف بالمعنى، وجاء كالتالي: (ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الأب =

فهذا المسيح قد اعترف أن[١] الله إلهه وربه وتضرع إليه وشكر نعماءه[٢] وإجابته لدعائه، فكيف تقولون [٣] إن عيسى هو الله الذي خلق السموات والأرض؟!. وهل يكون في العقول السليمة أشنع من هذا[٤] ؟!.

[١٩ أ] ومما يكبتهم ما قال[٥] يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله (إن عيسى هو قال لليهود: من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني دخل الجنة)[٦]. وفي هذا الفصل من إنجيل[٧] يوحنا أن اليهود قالوا[٨] لعيسى: من يشهد لك بما تقول؟ فقال لهم: (الرب الذي أرسلني هو[٩] يشهد لي).

فهذا عيسى مقر[١٠] بأنه نبي مرسل، وأن له رباً أرسله، وأن الذي يعمل بما سمع منه ويؤمن بالذي[١١] أرسله يدخل[١٢] الجنة.

= أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني) يوحنا ١١: ٤١ - ٤٢.
وقد استشهد صاحب كتاب المنتخب الجليل من تخجيل من حرّف الإنجيل بهذا النص للاستدلال على أن عيسى عليه السلام محتاج إلى الله تعالى. انظر: ص ٧٠ لأبي الفضل المالكي المسعودي.

(١) في (ر): (بأن). (٢) في (ر) و(م): (نعماه).

(٣) في (أ) و(م): (يقولون)

(٤) (أ) و(م) زيادة: (من هذا أخزاهم الله).

(٥) في (م): (ما قاله).

(٦) في (أ) و(م): (من إنجيله). (٧) في (أ) و(م): (قالوا يا عيسى).

(٨) في (أ): هو الذي... وقد ورد ها النص على النحو التالي: (لأن الأعمال التي أعطاني الأب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني، والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي). يوحنا ٥: ٢٤.

(٩) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا كما يلي: (الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حيوة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة). يوحنا ٥: ٢٦ - ٢٧.

(١٠) في (أ) و(م): (قد أقر). (١١) في (أ) و(م): (بالله الذي).

(١٢) في (أ) و(م): (دخل).

ومما يكبتهم أيضاً ما قال ماركوس في الفصل الأول[١] من إنجيله: إنه كان ببيت المقدس مجنون يتكلم الجني[٢] على فمه، فاجتاز عليه[٣] عيسى[٤] عليه السلام فصاح به[٥] الجني[٦] فقال[٧]: يا عيسى أي شيء لك عندي؟ أتحب أن تخرجني من هذا الجسد حتى[٨] يعلم[٩] الناس أنك نبي وأنا أعلم أنك نبي[١٠]، وأنك روح الله، والله[١١] تعالى أرسلك، فأمره عيسى بالخروج فخرج وقام الرجل صحيحاً سالماً فتعجب الحاضرون من ذلك)[١٢].

وهذا في غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر من جملة البشر ورسول من جملة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين[١٣].

---

(١) ساقطة من (أ) و(م).
(٢) في الأصل: (يتكلم الجن)، والمثبت من (م).
(٣) في (ر): (به).
(٤) في (م): (عيسى المسيح).
(٥) في (ر): (عليه).
(٦) في (الأصل): (الجن)، والمثبت من (أ) و(م).
(٧) في (أ) و(ر): (وقال: يا عيسى).
(٨) في (أ): (حتى يعلموا الناس) وهو خطأ، وما في الأصل أصح.
(٩) ساقطة من (أ) و(م).
(١٠) جملة: (وأنا أعلم أنك نبي) ساقطة من (أ) و(م).
(١١) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ: (وأن الله).
(١٢) ورد هذا النص في إنجيل مرقس وهو طويل، وقد اختصره المؤلف إلّا أن معناه مطابق. انظر: إنجيل مرقس ٥: ١ - ١٤.
(١٣) ادّعى النصارى أن في القرآن الكريم ما يؤيد دعواهم وعقيدتهم في ألوهية المسيح واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾. قائلين: وهذا يوافق قولنا، إذ قد شهد أنه إنسان مثلنا بالناسوت الذي أخذ من مريم وكلمة الله وروحه فيه... وأيضاً قال في سورة النساء: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم﴾ فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل عليها ألم ولا عرض... وقوله في سورة النساء: ﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه..﴾ (النساء: الآية ١٥٧ - ١٥٨). فأشار بهذا إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة وعلى هذا القياس نقول: إن المسيح صلب وتألم بناسوته ولم يصلب ولا تألم بلاهوته... =

الفرقة الثانية:

تعتقد أن عيسى ابن الله وأنه إله وإنسان، فهو إله من جهة أبيه وإنسان من جهة أمه، وأن اليهود قتلوا إنسانيته، وأن الألوهية[1] - بعدما دخل[2] جسد إنسانيته القبر[3] - نزلت[4] إلى جهنم، وأخرجت منها آدم ونوحاً[5] وإبراهيم وجميع الأنبياء وأنهم كلهم كانوا فيها من أجل خطيئة أبيهم آدم[6] [١٩ ب]

= وقد أجاب الإمام ابن تيمية على هذا فقال: (دعواهم على محمد ﷺ أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت كما يزعمه هؤلاء النصارى فيه من الكذب الوضاح المعلوم على محمد ﷺ الذي يعلم من دينه بالاضطرار كما يعلم من دينه تصديق المسيح عليه السلام وإثبات رسالته، فلو ادّعى اليهود على محمد ﷺ أنه كان يكذب المسيح ويجحد رسالته كان كدعوى النصارى عليه أنه كان يقول إنه رب العالمين وإن اللاهوت اتحد بالناسوت، ومحمد ﷺ قد أخبر فيما بلغه من الله عز وجل بكفر من قال ذلك، وبما يناقض ذلك في غير موضع كقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (المائدة: الآية ١٧).

وقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾ (المائدة: ٧٢). اهـ. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الإمام ابن تيمية ٢/٢٧٩.

وقد شرح الإمام ابن تيمية هذه الآيات شرحاً مفصلاً بما يؤكد تناقض قول النصارى في ألوهية المسيح وإثبات بشريته.

(١) في (أ): (وأن اللاهوتية) وفي (م): (اللاهوتيت).

(٢) في (أ): (دخلت)، والأصح ما هو مثبت في الأصل.

(٣) في (أ) و(م) زيادة: (حاشا).

(٤) في الأصل: (نزل)، والمثبت من (أ) و(ر).

(٥) في الأصل: (ونوح)، وهو خطأ، والمثبت من (أ) و(ر).

(٦) يذكر القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام في عدة سور، وقد عرض لنا في سورة البقرة كيفية خلق آدم عليه السلام وإسكانه الجنة، ثم كيفية عصيانه لأمر ربه وأكله من =

= الشجرة بعد إغواء الشيطان له ولزوجه حواء، ثم توبته ورجوعه عن ذنبه وقبول الله تعالى للتوبة: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (البقرة: الآية ٣٧).
كما أوضح القرآن الكريم في كثير من الآيات أن الإنسان محاسب على ما جنت يداه فقط، وليس له تعلق بإثم الآخرين ما دام على صلاح وتقوى، وأن المعصية لا تستوجب انسحاب أحكامها إلى أبناء آدم من بعده: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: الآية ١٦٤). : ﴿ألاّ تزر وازرة وزر أخرى وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى، وأنّ سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: الآية ٣٨ - ٤٠).
لكن النصارى يعتقدون أن بني آدم ورثوا خطيئة أبيهم آدم، وعليه فهم مجازون ومحاسبون عليها، ولهذا جاء المسيح لتخليصهم: (.. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحيوة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم) يوحنا ١٣: ١٦ - ١٧. (.. لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين) مرقس ١٠: ٤٥ (فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم) متى ١: ٢١ (إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار برّه في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع) رومية: ٣: ٢٣ - ٢٦.
ومعلوم أن هذه العقيدة قد ابتدعها بولس وتلميذه لوقا وقد قارن صاحب كتاب «المسيح في مفهوم معاصر» هذه العقيدة بعقيدة أتباع كريشنا، وبيّن أنها مأخوذة عن الوثنية القديمة. انظر: ص ٨٢ - ٨٣ من الكتاب المذكور، عصام الدين حفني ناصيف.
وقد تعرض كثير من الكتّاب والمؤرخين الغربيين لمجمل العقائد النصرانية بالنقد العلمي، ومن ذلك ما شرحه كل من ول ديورانت وهـ. ج. ولز حول عقيدة الصلب والفداء وقد أثبتنا أن هذه العقائد قد انتقلت من الفكر الديني اليوناني الوثني وبالتحديد نقلاً عن الأورفية التي كانت تأخذ «بفكرة النار والمظهر والجنة وتعارض الجسم والروح والابن المقدس الذي قتل ثم ولد من جديد، والعشاء الرباني وهو أكل جسم الإله ودمه وقدسيته (وقد) أثرت هذه من قرب أو من بعد في المسيحية التي كانت هي نفسها ديناً ذا طقوس ومراسم خفية فيها الكفارة والأمل والوحدة التصوفية وتحرر الروح. ولا تزال الأفكار والعبادات التي تشتمل عليها الديانة الأورفية منتشرة بيننا هذه الأيام» راجع قصة الحضارة ول ديورانت ١: ٣٤٧ ت. محمد بدران. وقارن مع معالم تاريخ الإنسانية هـ. ج. ولز ٣/٧٠٨. =

في الأكل من الشجرة، وأن جميع هؤلاء الأنبياء صعدوا إلى السماء في صحبة إلهية[١] عيسى[٢] بعد اجتماع لاهوته[٣] بناسوته[٤])[٥].

(١) في (أ): (اللاهوتية) وفي (ر): (ألوهية). وفي (م): (اللاهوتيت).

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) كلمة اللاهوت عند النصارى تطلق على طبيعة الله أو الوحي، وهذا يختلف عن المفهوم الإسلامي، كما أن لفظ كلمة اللاهوت غير متداول في الاصطلاحات العلمية الإسلامية، (. . . ذلك بأنه إن كان في الإسلام «علم لاهوتي» يؤخذ على سبيل التجوز فإنه ليس «علماً لاهوتياً» بالمعنى الفني الدقيق الحقيقي، كما هو الأمر في المسيحية.
إن الوحي في اعتقاد المسيحيين كشف عن الله في غيبه الباطن بمعنى أنه دعوة من الله للناس جميعاً إلى أن يشاركوه في حياته بواسطة المسيح، الذي اتحد فيه اللاهوت بالناسوت، أما الوحي الإسلامي فيقوم ـ أساساً ـ على تعاليم تتعلق بتوحيد الله في ذاته وصفاته وعلى عقائد تحث الناس جميعاً على أن يتقيدوا في حياتهم بشرع ينظمها ويجعل الله راضياً عنها لأنها تكون حينئذ تحقيقاً لمشيئته تعالى المتفرد بالألوهية). فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غريديه ج. قنواتي ١/هامش ص ٢.

(٤) يطلق النصارى لفظ: «الناسوت» على بشرية عيسى عليه السلام.

(٥) لم يرد في العهد الجديد أي نص يشير إلى أن المسيح نزل إلى الجحيم والمستقصي لسلسلة الحوادث ـ المعروضة في قاموس الكتاب المقدس ـ يستطيع أن يلاحظ هذا الأمر.
ولكن كيف تكونت هذه العقيدة؟ (تذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح اجتمعوا معاً بعد رحيله ووضعوا قانوناً للإيمان يقرأ كل منهم فقرة من فقراته الإثني عشر، ويعرف هذا القانون باسم (قانون إيمان الرسل) الذي جاء في إحدى صيغه المعروفة:
ـ بطرس ـ ١ ـ: أؤمن بالله الأب القادر.
ـ يوحنا ـ ٢ ـ: صانع السماء والأرض.
ـ يعقوب ـ ٣ ـ: ويسوع المسيح ابنه الوحيد، ربنا.
ـ اندراوس ـ ٤ ـ: الذي حبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم.
ـ فليبس ـ ٥ ـ: وتألم في عهد بيلاطس البنطي وصلب ومات ودفن.
ـ توما ـ ٦ ـ: ونزل إلى الجحيم، وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات.
ـ برثولماوس ـ ٧ ـ: وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله الأب القادر.
وقد نقله عن أدولف هارناك الأستاذ أحمد عبدالوهاب ثم عقّب على ذلك قائلاً: وقد اختلفت الآراء في حقيقة هذا القانون بهذه الصيغة ورغم ذلك فهو يوجد بهذه الصيغة في كتاب «الصلوات للكنيسة المتحدة في انجلترا وإيرلندا»). انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، المهندس أحمد عبدالوهاب، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

وهذا الاعتقاد[١] في غاية الكفر والحمق والفساد، فنعوذ بالله مما ابتلاهم[٢] به.

ويقال لهم: كذبتم على الله وعلى[٣] عيسى رسوله[٤]. ودليل ذلك: ما قال[٥] متى في الفصل التاسع عشر من إنجيله، أن عيسى قال للحواريين: اعلموا واعتقدوا أن[٦] أباكم السماوي الذي[٧] في السماء - يعني[٨] بذلك الله تعالى[٩] - هو واحد فرد لم يلد ولم يولد)[١٠].

فأي شهادة على كذبهم[١١] أبين من هذا الذي في إنجيلهم[١٢] بشهادة عيسى عليه السلام.

وباقي فرق النصارى عقائدها[١٣] كلها كفر وكذب وبهتان[١٤]، تركت[١٥] ذكرهم قصداً للإيجاز والتخفيف[١٦]، وبالله التوفيق[١٧].

---

(١) في (أ): (وهذا اعتقاد).
(٢) في (ر): (ابتلوا به).
(٣) في (م): (وعلى نبيه عيسى).
(٤) في (م): (وبين كذبهم ما في كتبهم).
(٥) في (أ): (ما قاله).
(٦) ساقطة من (م).
(٧) في (أ) و (م): (الذي أرسلني).
(٨) في (أ) زيادة: (ويعني بذلك).
(٩) جملة اعتراضية من المؤلف.
(١٠) لم يرد هذا النص في إنجيل متى بهذا اللفظ، إنما هناك نص قريب منه وهو: (.. فقال لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلّا واحد هو الله). متى ١٩ : ١٧.
(١١) في (ر): (كذبكم).
(١٢) (إنجيلكم).
(١٣) في (أ): (عقائدهم).
(١٤) في (أ) و (م): (وتحكم بالبهتان).
(١٥) في (م): (وتركت).
(١٦) ساقطة من (أ) و (ر).
(١٧) واستكمالاً للموضوع نوجز الحديث عن أهم الفرق النصرانية المعاصرة التي تؤمن بألوهية المسيح وبنوته على النحو التالي:
١ - الأرثوذكس: ومذهبهم (أن الله تعالى) نزل من السماء ودخل في بطن مريم العذراء وصار جنيناً ثم خرج من بطنها طفلاً ثم كبر ولما بلغ سن الثالثة والثلاثين تقريباً قتله اليهود وصلبوه ووضعوه في القبر فذهب إلى الجحيم. ثم خرج وصعد إلى السماء كما كان قبل تجسده، ويسمى أقنوم الأب قبل تجسده، ويسمى أقنوم الابن بعد تجسده، =

. . . .

= ويسمى أقنوم الروح القدس بعد قتله وصلبه. وإلى مذهبهم يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ والأقانيم على مذهبهم تسمى أقانيم التجسد أي مراحل ثلاث لذات واحدة تجسدت في شكل إنسان.

٢ ـ **الكاثوليك**: ومذهبهم أن الآلهة ثلاثة، كل إله منفصل عن الآخر ومستقل عنه، ثم إنهم يقولون في الإله الثاني الذي عندهم هو المسيح ابن مريم إن فيه طبيعتين ومشيئتين: إنسانية كاملة، وطبيعة إلهية كاملة، ومشيئة إلهية كاملة، ومشيئة إنسانية كاملة، وإلى مذهبهم يقول الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾.

٣ ـ **البروتستانت**: مع الكاثوليك في عقيدة التعدد أي عقيدة الآلهة الثلاثة وليسوا منهم في بعض التشريعات في نظرهم إلى الكتاب المقدس، وبعض العقائد الأخرى، ومع قولهم بالتعدد يقولون بالوحدة أي أن الأقانيم متحدة في الجوهر العام ولا تمييز لإله على آخر.

إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ١/ هامش ص ٣٣٢.

وهناك أيضاً: النسطورية، ويطلق عليهم اليوم الكلدان.

وهناك أيضاً: الموارنة.

وكذلك: السريان.

وقد تحدث عن هذا الموضوع بإسهاب صاحب كتاب «النصرانية والإسلام»: محمد عزت الطهطاوي ص ١٣٠ ـ ١٤٠.

الباب الثالث

في بيان فساد قواعد[1] دين النصارى[2] وهي التي لا يرغب عنها منهم إلاّ القليل وعليها إجماع جمعهم[3] الغفير ونبيّن الرد عليهم بنص أناجيلهم في كل قاعدة من قواعدهم[4]

اعلموا رحمكم الله أن قواعد دين النصارى خمس، وهي: التغطيس[5]، والإيمان بالتثليث[6] واعتقاد التحام أقنوم[7] الابن في بطن

---

(١) يقصد المؤلف رحمه الله من قوله (قواعد دين النصارى) أي الأركان التي تقوم عليها العقيدة المسيحية.

(٢) في (أ): (في قواعد دين النصارى وفسادها).

(٣) في (م): (جمهم).

(٤) في (أ) و (م): (منها).

(٥) التغطيس: من (الغطس في الماء: الغمس فيه، وقد غطسه في الماء من باب ضرب). مختار الصحاح ص ٤٧٦. والتغطيس. . . (طريقة في العماد عند النصارى). الرائد ص ٤٢٠. وهو: (. . . رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ولم يتفق المسيحيون على وقت التعميد فبعضهم يعمد الشخص في طفولته، وبعضهم يعمده في أي وقت من حياته، وبعضهم يجري التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب فيحسن أن يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده، وقد عمّد قسطنطين حامي المسيحية وهو على فراش الموت، والغالب أن يتم التعميد في الطفولة حتى ينشأ الإنسان ـ كما يقولون ـ طاهراً مبرأً من الذنوب). المسيحية، د. أحمد شلبي ص ١٦٨.

(٦) كما أشرنا في السابق أن التوحيد هو لب النصرانية الأولى التي جاء بها المسيح عليه السلام، وأن التثليث هو العقيدة المستحدثة التي طغت فيما بعد على معتقدات المسيحيين بعد التحريف والتبديل.

والناظر في أسس العقيدة النصرانية يستطيع أن يرى أثر الفلسفة اليونانية وخاصة الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، هذه الفلسفة ترى أن الحقائق أو الأقانيم ثلاثة: =

. . . .

= **الحقيقة الأولى**: الواحد أو الطبيعة العليا، وتصف هذا الواحد بالوحدة المطلقة وعدم التكثر حتى في الوصف.

الحقيقة الثانية: هي العقل العام، وهو واحد كالأول ومجرد عن المادة مثله إلاّ أن فيه تكثراً ما، وهو صادر عن الأول بطريق الفيض لا عن إرادة واختيار.

الحقيقة الثالثة: هو النفس الكلية، وهي مجردة عن المادة أيضاً مثل الأولين، إلاّ أنها لما بعدت عن الأول أظلمت شيئاً ما وعن النفس الكلية صدرت الموجودات المحسوسة التي فيها الشرور والظلمات.

والأفلاطونية الحديثة لا ترى التساوي بين هذه الأقانيم، بل ترى أن الأول هو أكملها، والثاني أقل منه كمالاً، والنفس الكلية أقل من الإثنين. . .

ويرى ليون جوتيه المستشرق الفرنسي: أن اللاهوت المسيحي مقتبس من أفكار هذه المدرسة، فيقرر أن التشابه كبير بين اللاهوت المسيحي وبين الأفلاطونية الحديثة، حيث إنهما يرتكزان على عقيدة التثليث والثلاثة أقانيم، وإن اختلفا في بعض التفاصيل. . .

أول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال، والذي يحوي في وحدته كل الكمالات، وهو الذي دعاه المسيحيون الأب، والثاني أو الابن هو الكلمة. والثالث هو دائماً الروح القدس. . .

على أنه يجب أن يُلاحظ (ـ وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الأفلاطونية الحديثة ـ أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة بينما هي متساوية عند المسيحية، فالابن الذي يتولد من الأب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالاً وإلاّ صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطراراً عنه غير الكامل، وهذا حطّ من رتبته وكذلك الروح القدس مساوٍ للأب والابن. . .).

هذا ملخص ما ذهبت إليه الكتب التالية: (الجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية. د. محمد البهي ص ١٥٠ وما بعدها؛ وكتاب تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٨٨ وما بعدها؛ وكتاب محاضرات في النصرانية للشيخ أبي زهرة، ترجمة عن كتاب المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ليون جوتية ص ٤٤ ـ ٤٥).

(٧) في (ج): (أقانيم) ولها عدة معانٍ: ١ ـ الأصل. ٢ ـ الشخص. ٣ ـ (الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين الأب والابن والروح القدس). الرائد ص ٢٠٦.

(وكلمةأقنوم المستعملة في العربية كلمة سريانية معناها شخص أساسي أو شخص رئيس وهي قريبة من الكلمة اليونانية (NOMOS)، ومعناها: قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ (شخص) لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي أو في الذات. أقانيم النصارى ص ٩.

[٢٠ أ] مريم، والإيمان بالقُربان[١] كيف ينبغي، والإقرار بجميع الذنوب للقسيس[٢].

القاعدة الأولى: في[٣] التغطيس وصفته

اعلموا رحمكم الله أن لوقا قال في إنجيله: (إن عيسى عليه السلام

---

(١) القربان جمع قرابين (. . . عند النصارى: ما يقدمه الكاهن من الخبز والخمر). الرائد ص ١١٦٥.

(٢) هذه القاعدة سوف يتكلم عنها المؤلف بالتفصيل، وهناك بعض النقاط نحب أن نوردها تعميماً للفائدة.
فمبدأ الإقرار أمام الكاهن والاعتراف له بالخطايا والذنوب تمهيداً لمغفرتها قانون موجود عند النصارى، ولكن هناك بعض الطوائف لا تعترف به.
وقد استفسرت من أحد رعاة الكنائس في بيروت واسمه الراعي ناجي أبو هاشم راعي الكنيسة المعمدانية عن هذا الموضوع فأجاب بأن الكنيسة المعمدانية لا تعترف بهذا القانون وليس هناك اعتراف أمام الكاهن بل ولا واسطة بين الخالق والمخلوق.
كما أن القس عبدالله صايغ ينكر هذا فيقول: (. . . الاعتراف والغفران. . . أي ليس على أنواع وأشكال من الإيمان التي ابتدعتها المجامع المسكونية وابتعدت بها عن الإيمان الواحد، وجعلتنا نعلم من أسس الإيمان المحدث الإعتراف الواجب على الإنسان الخاطىء للكاهن وطلب الغفران منه لخطيئة فهذا مخالفة صريحة لتعليم كلمة الله. . .
على أن عقيدة الاعتراف التقليدية لم تُتخذ كقانون يعمل به إلّا في سنة ١٢٥١ بعد المسيح فقد مر إثنا عشر جيلاً ونيف من العصر الرسولي والكنيسة خالية من قانون مختَرَع كهذا حتى إنه لم يثبت إلّا في المجمع التريدنتيني سنة ١٥٥٠ م). الوحدة والإتحاد المسيحي، القس عبدالله صايغ، ص ٣٥. وهو بالطبع مذهب الكنيسة البروتستانية.
ومعلوم أن هذا القانون له من المضارّ ما يجعل للكهان والرهبان سلطة على البشر، فإفشاء الأسرار أمام رجال الدين المسيحي يقوي هذه السلطة ويجعلها كابوساً على حياة الناس الناجم عن الخوف من الفضيحة، ومن هنا يستغل القسس هذا المبدأ لتنفيذ مآربهم الشخصية.

(٣) في (أ) و(م): (وهي التغطيس).

قال: من[1] تغطس دخل الجنة، ومن لم يتغطس[2] فله جهنم[3] خالداً مخلداً[4] فيها أبداً[5]).

فمن أجل هذا النص[6] يعتقد[7] النصارى[8] أنه لا يمكن دخول الجنة إلّا بالتغطيس.

فيقال لهم: ما تقولون في إبراهيم وإسحاق ويعقوب[9] وجميع الأنبياء أفي[10] الجنة هم أم لا؟ فلا بد أن يقولوا هم في الجنة، فيقال لهم: ما تقولون في آدم ونوح وذريته لصلبه، فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط؟[11] وهم في الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم، وليس لهم عن هذا جواب البتة.

---

(١) في (م): (متى).
(٢) في (م): (يغطس).
(٣) في (أ) و (م): (دخل النار).
(٤) ساقطة من (أ) و (م).
(٥) هذا النص موجود في إنجيل مرقس وليس في لوقا وجاء نصه كالتالي: (من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن). مرقس ١٦ : ١٦.
إلا أنه يوجد في سفر أعمال الرسل الذي ينسب للوقا نص يشير إلى التعميد وليس باللفظ الذي أورده المؤلف وربما ـ هو ـ الذي قصده، وقد جاء كالتالي: (فقال لهم بطرس توبوا وليتعمد كل واحد منكم على إسم المسيح لغفران الخطايا). أعمال الرسل ٢ : ٣٨.
(٦) في (أ) و (م) زيادة: (النص الكذب). (٧) في (م): (تعتمد).
(٨) ساقطة من (م).
(٩) ساقطة من (م). وفي (أ): (إسحاق وموسى ويعقوب).
(١٠) في الأصل و (ر): همزة الاستفهام ساقطة، والمثبت من (م): وبمثل هذا الأسلوب وضح الإمام القرطبي التعميد عند النصارى وردّ عليهم أيضاً بما يناقض مذهبم وعقائدهم.
انظر: الإعلام بما في دين النصارى من أوهام، للإمام القرطبي، ص ٤٠٣ وما بعدها.
(١١) هذا الرد جاء في محله، ويضع النصارى في حرج لقوة حجة المؤلف. ومعلوم أن الاختتان كان مشروعاً عند اليهود ثم بدله النصارى إلى التعميد، كما يطلق النصارى عليه اسم المعمودية (التي هي رمز للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما وقد صرح إنجيل متى به.
انظر: متى ٢٨ : ١٩؛ مرقس ١٦ : ١٦.
ويقولون: إن المسيح قد تبنّى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية، إذ إنه جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى =

واعلموا أن هذه القاعدة في التغطيس مما افتعلوا مكذوباً في أناجيلهم وافتروا في ذلك على الله وعلى رسوله عيسى عليه السلام.

وصفة التغطيس: أن في كل كنيسة حوض[1] رخام أو «قذان»[2] يملاؤه القسيس بالماء[3] ويقرأ عليه ما تيسر[4] من الإنجيل ويرمى فيه ملحاً كثيراً[5] وشيئاً[6] من دهن البلسان[7]، فإن[8] كان أحد يطلب أن يتغطس ممن [٢٠ ب]

= الانتساب رسمياً إلى كنيسة المسيح ـ يدعون ـ أي أن المعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم.

وقد اختلفت وجهات نظر المسيحيين حول المعمودية وكان الجدل الأكبر حول قضيتين: نوع المعمودية، ومعمودية الصغار أو الكبار، فقد قال بعض المسيحيين: إن المعمودية لا تصح إلاّ بتغطيس الإنسان تغطيساً كاملاً أو بتغطيسه ثلاث مرات، وليس مرة واحدة، كما قال البعض إلاّ أن أغلبية المسيحيين تكتفي برش الماء على الوجه، لأن المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل الروح القدس، لذلك كانت كمية الماء غير مهمة في الموضوع. وقال بعض المسيحيين: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال وإن الاعتماد للمؤمنين فقط، أي الذين تعدّوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة، إلاّ أن الملكية المسيحية تعتبر معمودية الصغار واجبة ما داموا أطفالاً لمؤمنين وذلك علامة على الميثاق بين الله وبينهم). اهـ. من قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

وقد استند المسيحيون على نص من الرسائل للتحول من الختان إلى التعميد: (دعي أحد وهو مختون فلا يصر أغلف ودعي أحد في الغرلة فلا يختتن ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله) ١ كورنثوس ٧: ١٨ ـ ١٩.

(١) في (م): (حوضاً من رخام).

(٢) في الأصل: (كزان). وفي (م): (كدان). وفي (ر): (أو نحوه). والمثبت من (أ). وربما كانت هذه التسمية عامية لأن العوام إلى الآن يسمون الحوض الكبير المعد للغسل «قزان أو كزان».

(٣) في (أ) و(م): (ماء).

(٤) (أ) و(م): (شيئاً من).

(٥) في (أ) و(م): (فيه شيء من الملح)، وهو خطأ.

(٦) في (أ): (أو من).

(٧) في (أ): (البيلسان)، وهو شجر كشجر الحناء لا ينبت إلا بعين الشمس... القاموس المحيط ٢/٢٠٩.

(٨) في (م): (فإذا).

تنصر وهو رجل كبير السن، يجتمع[1] له بعض [2] أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا[3] عليه بزعمهم بين يدي [4] الله بالتغطيس، ويقول له القسيس عند حوض الماء المتقدم الذكر[5]: يا هذا اعلم أن التنصر هو [6] أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد [7] أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلاّ بالتغطيس، وأن ربنا عيسى هو ابن الله، وأنه التحم في بطن أمه مريم، وصار إنساناً وإلهاً، فهو إله من جوهر [8] أبيه وإنسان من جوهر أمه، وأنه قتل [9] وصلب، ومات وعاش، وصار حياً بعد ثلاثة أيام من دفنه وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، يوم القيامة هو الذي يحكم بين الخلق، وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كله، فيقول المتنصر: نعم[10]، فحينئذ يأخذ القسيس صحفة[11] من ماء[12] ذلك الحوض ويسكبها عليه وهو يقول له[13]: وإنا نغطسك باسم الأب والابن والروح القدس. ثم يمسح الماء عنه بمنديل[14] وينصرف وقد دخل في دين النصارى[15]؟

---

(١) في (أ) و (م): (فيجتمع).

(٢) في (ر): (عليه).

(٣) في (ر): (يشهدوا).

(٤) ساقطة من الأصل ومن (ر)، والمثبت من (أ) و (م).

(٥) في (أ) و (ر): (ذكره).

(٦) ساقطة من (أ) و (م).

(٧) في (أ) و (م): (أنه).

(٨) الجوهر: (ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع وهو منحصر). التعريفات للشريف الجرجاني ص ٨٣.

(٩) ساقطة من الأصل ومن (ر)، والمثبت من (أ).

(١٠) في (م) زيادة: (آمنت).

(١١) صحفة (كالقصعة، والجمع صحاف). مختار الصحاح ٣٥٧.

(١٢) ساقطة من (ر) وفي (م): (ماء من).

(١٣) في (أ): (وهو يقول: وأنا أغطسك).

(١٤) المنديل: (ج/مناديل: نسيج يمسح به العرق أو نحوه). الرائد ص ١٤٤٠.

(١٥) وقد أخذت الكنيسة الكاثوليكية مبدأ التعميد بالرش لا بالتغطيس(والمسح بالميرون المقدس يجوز تأخيره عن التعميد للقاصر حتى يبلغ سن الرشد). يا أهل الكتاب، د. رؤوف شلبي ص ٢٦١.

وأما تغطيس ولدان النصارى[1] فهو[2]: في اليوم[3] الثامن من ولادتهم، فيجيء[4] بهم آباؤهم[5] إلى الكنيسة ويوضع[6] الولد[7] بين يدي القسيس / فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره[8] بتقرير[9] عقائدهم [٢١ أ] عليه فيجيب[10] عنه أبوه وأمه بقولهما: نعم. ثم يحملان ولدهما وقد تنصّر، وهذه[11] صفة تغطيسهم لعنهم الله.

واعلموا رحمكم الله[12] أن هذا الماء الذي يضعه القسيسون في أحواض الكنائس منه ما يبقى أعواماً ومدة[13] طويلة ولا ينتن ولا يتغير، فيتعجب[14] عوام النصارى من ذلك ويعتقدون[15] أنه من بركة القسيس وبركة كنيسته. ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان، وهما يمنعان من

---

(١) في (م): (النصارى من).
(٢) في (أ) و (م): (فهم من).
(٣) ساقطة من (ر).
(٤) في (أ) و (م): (يجيء).
(٥) في (أ): (آبائهم)، وهو خطأ.
(٦) في (أ): (يضع) وفي (م): (يضع الوالدين يدي).
(٧) هذه العملية فيها تغيير للفطرة الإنسانية السليمة وتحويلها عن جادة الحق وطمس معالم الإيمان التي جبلت عليها، قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف: الآية ١٧٢).
وما لبث الناس بعدها أن خضعوا لغواية الشيطان فغيروا فطرة الله التي فطر الناس عليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . . ﴾ الآية. صحيح مسلم ٨/٢.
(٨) ساقطة من (أ).
(٩) في (أ) و (م): (ويقرأ) وفي (ر): (فيقرر).
(١٠) في الأصل و (ر): (فيجاوب)، والمثبت من (أ).
(١١) في (أ): (فهذه).
(١٢) ساقطة من (م).
(١٣) في (أ) و (م): (أحقاباً).
(١٤) في (ر): (فيتعجبون عوام)، وهو خطأ.
(١٥) في (م): (ويعتقدوا)، وهو خطأ.

تعفن الماء[١] والقسيس لا يرمي ملحاً ولا دهن بلسان في حوضه[٢] إلاّ في الليل أو في وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة، وهذا من بعض حيل القسيسين[٣] في ضلاهم[٤] وإضلالهم[٥].

وقد كنت في خلال[٦] جاهلية ذلك الدين[٧] صنعت هذا[٨] وغطست كثيراً من الناس مراراً. والحمد[٩] لله تعالى الذي هداني إلى الحق[١٠] وأخرجني من الظلمات إلى النور.

القاعدة الثانية[١١]:

وهي الإيمان بالتثليث على ما شهد[١٢] لهم أئمة الضلال[١٣] والكفر من أوائلهم[١٤] لعنهم الله.

فيؤمنون بأن الله ـ تعالى عن قولهم ـ ثالث ثلاثة[١٥]، وأن عيسى هو

---

(١) في (أ) و(م): (يمنعان الماء من التعفن) وفي (ر): (يمنعان تعفن).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في الأصل: (قسيس) والمثبت من (أ).

(٤) في (أ): (ضلالتهم).

(٥) في (أ) زيادة: (أيد الله خزيهم).

(٦) في (أ): (في أيام).

(٧) في (أ): (أهل ذلك الدين).

(٨) في (أ) و(م): (ذلك).

(٩) في (م): (فالحمد لله).

(١٠) في (م): (إلى الإسلام).

(١١) في (أ) و(م): وعندهم أنه لا يمكن دخول الجنة إلاّ بالإيمان بالتثليث.

(١٢) في (ر): (يشهد).

(١٣) في (أ) و(م): (الكفر والضلال).

(١٤) ساقطة من (أ) و(م).

(١٥) أي الاعتقاد بالأب والابن والروح القدس. والحقيقة هناك رأيان أساسيان في قضية ألوهية المسيح وطبيعته.

الرأي الأول: أن للمسيح طبيعة واحدة وهي الطبيعة الإلّهية، وقد ذهب إلى هذا الرأي الكنيسة الأرثوذكسية بفروعها الثلاثة:

١ ـ المرقسية في مصر وسائر إفريقيا.

٢ ـ السريانية في آسيا.

٣ ـ الأرمنيـة في آسيا وبعض أوروبا. وقد اعتُمد هذا الرأي وأُقر في مجمع أفسس في منتصف القرن الخامس الميلادي.

=

ولد الله وأن له طبيعتين ناسوتية ولاهوتية[1]، وهاتان الطبيعتان[2] صارتا شيئاً واحداً / فصار اللاهوت إنساناً محدثاً[3] تاماً مخلوقاً وصار الناسوت إلهاً تاماً[4] [٢١ ب]

= وقد لخّص صاحب كتاب (خلاصة تاريخ المسيحية في مصر) ذلك بالعبارة التالية: (إن كنيستنا المستقيمة الرأي ـ ترجمة لكلمة الأرثوذكس ـ ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني ـ أقنوم الابن ـ تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء مصيّراً هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة. . .).

الرأي الثاني: أن المسيح طبيعتين، طبيعة إلهية حيث إنه من الأب الإله وطبيعة ناسوتية حيث إنه ولد من مريم «الإنسان». وقد التزم بهذا الرأي أتباع الكنيسة الكاثوليكية بجميع أقسامها بعد أن أقر في مجمع خلقدونية.

وقد لخص ابن البطريق ذلك بقوله: (. . قالوا: إن مريم العذراء ولدت الإله ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن للمسيح طبيعتين وأقنوم واحد ووجه واحد. . ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس وتسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص). بتصرف عن كتاب: الأسفار المقدسة، د. علي عبدالواحد وافي ص ١١٤ وما بعدها.

وهناك خلاف آخر وقعت به الكنائس المسيحية والمتعلق بمسألة انبثاق الروح القدس وقد انقسمت الكنائس أيضاً في هذا إلى مذهبين:

الأول: أن الروح القدس منبثق من الأب وحده، وقد ذهب إلى ذلك الأرثوذكس بكافة طوائفهم.

الثاني: أن روح القدس منبثق من الأب والابن معاً، وقد ذهب إلى ذلك الكاثوليك بجميع طوائفهم. راجع: الأسفار المقدسة ص ١١٤ وما بعدها. وقد أورد المؤلف رأي الكنيسة الكاثوليكية والقائل بالطبيعتين معتبراً أن نقض ألوهية المسيح كافٍ لنقض المذهب الثاني.

(١) في (أ): (لاهوتية وناسوتية) وفي (م): (لاهوتيت وناسوتيت).

(٢) في الأصل و (ر): (تلك الطبيعتان)، والمثبت من (أ) و (م) وهو الأصح.

(٣) المحدث: (ما يكون مسبوقاً بمادة ومدة، وقيل: ما كان لوجوده ابتداء) التعريفات للجرجاني ص ١٠٩.

(٤) ساقطة من الأصل ومن (ر)، والمثبت من (م).

خالقاً غير مخلوق[1]، وبعضهم يقول: الثلاثة هم: الله تعالى وعيسى ومريم[2] ولا يشك ذو عقل سليم إن كل من آتاه مسكة من العقل[3] يجب عليه أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل[4] الفاسد الذي تتنزه عنه عقول الصبيان ويضحك منه[5] ذوو الأفهام والأذهان، فالحمد[6] لله الذي أخرجني من زمرتهم وعافاني من بليتهم.

ويلزمهم على مقتضى[7] قولهم: إن المسيح ابن الله[8]، أن تكون ذاته

---

(١) سبق الإشارة إلى أن هذا المبدأ أقر في مجمع خلكدونية عام ٤٥١ م.

(٢) الذين قالوا هذه المقالة هم من الفرقة البربرانية التي كانت(تذهب إلى القول بألوهية المسيح وأمه معاً، ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول: (ومنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلاهان من دون الله وهم البربرانية ويسمون الريميتيين).
ولعل هؤلاء هم الذين يشير إليهم القرآن الكريم فيما يخاطب به الله تعالى عيسى ابن مريم إذ يقول: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ (المائدة: الآية ١١٦). وإذ يرد عليهم في قوله: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام..﴾ (المائدة: الآية ٧٥). راجع: الأسفار المقدسة ص ١٠٧؛ ومحاضرات في النصرانية ص ١٤٩. وقد تحدث ابن حزم عن مصير هذه الفرقة وقال بأنها بادت. انظر: الفصل: ٤٨/١.

(٣) في (م) زيادة: (بحول نفسه عن اعتقاد هذا إلا ذاك القسيس البارد السخيف).

(٤) في (ر): (الزيديل بل) وهو مبهم.

(٥) في الأصل: (منهم)، والمثبت من (ر) و (م). (٦) في (م): (والحمد لله).

(٧) في (ر): (مقتنى).

(٨) يوضح الأستاذ شارل جنيبير الخطأ الذي وقع فيه النصارى باستخدامهم لعبارة «ابن الله» وإطلاقها على عيسى عليه السلام فيقول: (... والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين وهي: أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر (ولم يقل عن نفسه إنه «ابن الله» وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة لليهود - سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين.
كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير «ابن الله» على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة =

كذات الله وله علم كعلمه وقدرة كقدرته، إلى سائر الصفات الأزلية وهذا باطل[1].

وبيان بطلانه ما قال ماركوس في الفصل الحادي عشر من إنجيله: (إن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن الساعة التي هي القيامة[2]، فقال لهم: إن ذلك اليوم[3] لا يعمله الملائكة الذين في السماء ولا يعلمه إلاّ الأب وحده ـ يعني الله تعالى ـ)[4].

= التي استخدمتها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع (يوحنا) وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كافٍ بالنسبة إليهما. . .).

ويضيف معقباً (يمكن لليهودي أن يعتبر نفسه «عبداً ليهوه» لا «ابناً ليهوه» ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه «عبداً لله» وتقدم للناس بهذه الصفة والكلمة العبرية «عبد» كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني «خادماً» و «طفلاً» على حد سواء، وتطور كلمة «طفل» إلى كلمة «ابن» ليس بالأمر العسير ولكن مفهوم «ابن الله» نبع من العالم الفكري اليوناني). راجع: المسيحية: نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص ٣٩.

(١) في (أ) و (م) زيادة: (ومحال).

وقد أفرد الإمام ابن تيمية رحمه الله الحديث عن أسماء الله تعالى وصفاته وأفعال، ورد على النصارى بما يثبت الكمال لله تعالى وهو ما جاء به الرسل عليهم السلام. انظر: الجواب الصحيح، للإمام ابن تيمية ٣/١٣٩ وما بعدها.

(٢) في الأصل: (هي من القيامة)، والمثبت من (أ).

(٣) في (م) و (ر): (إن ذلك اليوم لا تعلمه).

(٤) هذا النص ورد في إنجيل مرقس كالتالي: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلاّ الأب. .) مرقس ١٣ : ٣٢.

وحول كلمة «الأب» فقد أوضح الشيخ العلمي من خلال مناظراته لأحد القسس أن هذا اللفظ له عدة استعمالات فهو يطلق على الوزير الأعظم، وعلى الرئيس الديني وعلى «أن الله» يطلق عليه: أنه أب لكل إسرائيل وأب لداود وسليمان وللمسيحيين المؤمنين، وأب لليتامى، وأب لكل عبد بار يفعل مشيئة الله، وقد استدل على كل لقب بفقرة من فقرات العهد القديم. انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، عبدالله العلمي ص ١١١ وما بعدها.

فهذا إقرار من عيسى بأنه ناقص علم حتى[1] عن الملائكة، وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة[2] وقيامها وأن عيسى[3] لا يعلم[4] إلاّ ما علمه الله تعالى.

وفي الفصل العشرين من إنجيل متى: (إن عيسى حين عزم اليهود على أخذه وقتله تغير في تلك الليلة وحزن حزناً شديداً)[5]. [٢٢ أ]

وكل من يحزن ويتغير فليس بإله ولا بابن إله عند كل[6] عقل نقي[7] صحيح سوى، وأشنع من قولهم في هذه القاعدة أن عيسى[8] له طبيعتان: لاهوتية وناسوتية وأنهما صارتا[9] شيئاً واحداً وهذا أقبح ممن[10] يقول: إن الماء والنار صارا شيئاً واحداً والنور والظلمة صارا شيئاً واحداً، لأن ادعاء هذا[11] في الماء

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن الساعة وأن الله تعالى قد اختص بعلمها دون البشر فقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾ (الأعراف: الآية ١٨٧). وقال أيضاً: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (لقمان: الآية ٣٤).
فعلم الساعة هو من الأمور التي استأثر الله تعالى بعلمه لم يطلعه على أحد من خلقه حتى على رسله، ولهذا خاطب الله نبيه بقوله: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾ (النازعات: الآية ٤٢).

(٣) في (م): (وأنه). (٤) في (أ): (وأنه لا يعلم إلاّ).

(٥) سبق للمؤلف أن أورد هذا النص من إنجيل متى وقد نوّهنا في حينه إلى أنه ورد في الإصحاح السادس والعشرين وليس في العشرين. انظر: ص **١٢٢** من هذا البحث.

(٦) في (أ) و(م): (كل ذي). (٧) ساقطة من (أ) و(م) و(ر).

(٨) في (الأصل): (أن لعيسى)، والمثبت من (أ).

(٩) في (م): (صارا).

(١٠) في (الأصل): (من)، والمثبت من بقية النسخ.

(١١) أي: إدعاء هذا القائل.

والنار والنور والظلمة، إنما كان محالاً من جهة أن كل واحد من هذه ضد[1] الآخر[2] وخالق الخلق الغني بذاته وصفاته عنهم المتقدس في عظمته وكبريائه عن شبه شيء منهم كيف يقرر في[3] عقل سليم أنه مازج.. بعض مخلوقاته حتى صار شيئاً واحداً؟ فتعالى الله[4] الملك الحق عما يشركون، وأين كان لاهوته لما مات ناسوته؟ لا سيما على قولهم إنهما اتحدا أو تمازجا[5] والتحما، فما الذي فرّق بينهما عندما ضرب جسده وناسوته بالسياط على زعمهم؟ وعصب رأسه بالشوك وصلب على خشبة وطعن بالرماح حتى مات وهو يصيح جزعاً وخوفاً؟ فأين غاب لاهوته عن ناسوته[6] في هذه الشدائد[7] مع الممازجة والالتحام[8] على قولهم؟.

[٢٢ ب] وهم لعنهم الله[9] يزعمون[10] أن لاهوته[11]/ فارقه عند الصلب[12] والقتل وهبط إلى جهنم، فأخرج منها الأنبياء وكان ناسوته[13] حينئذ في القبر مدفوناً حتى رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر ورجع إليه ثم[14] صعد به إلى

---

(١) (الضد والضدان: كل صفتين لا تشتركان في أي من أجزاء الماهية مطلقاً، أي بقطع النظر عن إضافة كل منهما إلى الآخر بحيث يكون كل منهما سلباً للثاني كالحركة والسكون). نقض أوهام المادية الجدلية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٨.

(٢) في (ر): (أخرى)، وهو خطأ.

(٣) في (م) و(ر): (يتقرر).

(٤) ساقطة من الأصل، والمثبت من (أ).

(٥) في (أ) و(م): (إنهم امتزجا واتحدا).

(٦) يقول أبو العلاء المعرّي في «اللزوميات»:

عجباً للمسيح بين النصارى ... وإلى الله والداً نسبوه.
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه.
فلئن كان ما يقولون حقاً ... فسلوهم فأين كان أبوه.

(٧) في (أ) و(م): (القادحة).

(٨) في (أ) و(م): (والالتحام على زعمهم).

(٩) ساقطة من (م).

(١٠) في (أ): (يقولون).

(١١) في (ر): (أن اللاهوت).

(١٢) في (أ) و(م): (القتل والصلب).

(١٣) ساقطة من (أ) و(م).

(١٤) في (أ): (وصعد).

السماء[1]، وهذه كلها دعاوى باطلة وهي من الكفر الركيك وفضائح[2] لا يرخصها[3] عقل سليم[4]، وكيف يزعمون أن لعيسى طبيعتين صارتا شيئاً واحداً، وفي أناجيلهم ما يشهد[5] أنه ليس له إلّا طبيعة واحدة[6] وهي الآدمية، وبرهان ذلك ما قاله متى في الفصل الثاني[7] من إنجيله[8]: (إن عيسى عليه السلام لما انتقل إلى مدينته التي ولد فيها[9] استخف[10] الناس به، فقال: لا يستخف بنبي إلّا في مدينته).

فهذا إقرار منه بأنه نبي من جملة الأنبياء وليس للأنبياء كلهم إلّا طبيعة واحدة[11] وهي الآدمية.

---

(١) هذا ما يذهب إليه الأرثوذكس حيث يقولون:
(نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر وكان لما دخل بطنها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم أصبح جنيناً كاملاً ثم خرج طفلاً اسمه عيسى ونما كما ينمو الأطفال ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه ثم دفن في القبر ثلاثة أيام ونزل إلى الجحيم وهو في القبر، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السموات ويسمى الأب قبل التجسد ويسمى الابن بعد التجسد ويسمى الروح القدس الاسم الذي كان قبل إنشاء العالم...). أقانيم النصارى ص ٦٧.

(٢) في (أ) و(م): (والفضائح التي). (٣) في (ر): (لا يقبلها).

(٤) لأن العقل السليم يثبت للخالق ما يليق بجلاله، ويثبت للمخلوق ما يليق به، ومن الثابت أن صفات الله تعالى منزهة عن النقص أما البشر فهم متصفون بالعجز والاحتياج.

(٥) في (أ) و(ر): (ما يشهد بأنه).

(٦) في الأصل: (واحدة الآدمية)، والمثبت من (أ).

(٧) كذا في الأصل وفي بقية النسخ: (في الفصل العاشر)، والأصح: أن هذا النص ورد في الفصل الثالث عشر وقد جاء كالتالي: (وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته) متى ١٣: ٥٨.

(٨) في الأصل: (من إنجيله: وإن)، والمثبت من (أ).

(٩) في (م): (بها).

(١٠) في (أ) و(م): (استخفوا به الناس) وهو خطأ والأصح ما هو ثابت في الأصل.

(١١) في الأصل: (واحدة آدمية)، والمثبت من (أ) و(م).

ويؤيد ذلك[1] أيضاً ما قاله شمعون[2] الصفا رئيس الحواريين لليهود: عندما تألبوا[3] على المسيح[4] فقال: (يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي: إن المسيح هو رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والتأييد والمعجزات التي أجراها الله[5] على يديه وأنتم كفرتم به)[6].

هكذا في كتاب قصص الحواريين، وهو عند النصارى كالإنجيل، فأي خبر أوثق من خبر وأي شاهد أعدل من شمعون الصفا الذي يتبرك[7] / النصارى بذكره ويؤمنون بكثرة[8] صلاحه وفضله وقد شهد على عيسى أنه[9] رجل من جملة الرجال الآدميين والأنبياء المرسلين الذين[10] أيدهم الله بالمعجزات، وأن كل ما جرى منها على يدي[11] عيسى إنما هو بقدرة الله ليس للمسيح فيه[12] كسب، فأين هذا الحق ونوره من ظلمة

[٢٣ أ]

---

(١) في (أ): (إلينا).

(٢) لم أعثر على ترجمته بهذا الإسم، ولكن من المرجح أن بطرس هو رئيس الحواريين ـ حسب اعتقاد النصارى ـ وقد كان يُدعى في السابق سمعان، كما جاء ذكره في إنجيل متى كالتالي: (فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا أن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات. . .) متى ١٦ : ١٧.

وشمعون: (اسم عبراني معناه سماع). قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢١. وهو قريب من لفظ سمعان فيكون بطرس هو شمعون الصفا، أما النص الذي أورده المؤلف فقد جاء كالتالي: (أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون) أعمال الرسل ٢ : ٢٢.

(٣) في (أ) و (م): (نافقوا).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في (أ): (الله تعالى).

(٦) أعمال الرسل: ٢ : ٢٢.

(٧) في (أ) و (م): (تتبرك).

(٨) في (أ) و (م): (على كثرة).

(٩) في (أ) و (م): (بأنه).

(١٠) في (أ): (الذي).

(١١) في (أ): (على يديه) وفي (م): (على يديه فإنما).

(١٢) في (أ) و (م): (فيها).

كفرهم[1] في قولهم: إن اللاهوت لما التحم بناسوت عيسى صار[2] إنساناً تاماً مخلوقاً، وصار ناسوت عيسى هو جسده إلٰهاً تاماً خالقاً[3] غير مخلوق، فيا

---

(1) في (أ) و(م) زيادة: (وضلالتهم). (2) في (ر): (وصارا).

(3) يرد الإمام ابن تيمية رحمه الله على قول النصارى بأن عيسى هو الله الخالق. بقوله: (إن في هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض أموراً كثيرة وذلك يظهر بوجوه:

الأول، إن قولهم: كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء كلام متناقض فإن الخالق هو الإلٰه الخالق وهو خلق الأشياء بكلامه وهو قوله: كن، فالخالق لم يخلق به الأشياء بل هو خلقها، والكلام الذي به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها بل به خلق الخالق الأشياء.

والفرق بين الخالق والمخلوق وبين ما به خلق الخالق معقول، وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذي به خلقت المخلوقات فجعلوا الكلمة هي الخالق وجعلوا المخلوقات خلقت بها.

وإيضاح هذا أن الكلمة إن كانت مجرد الصفة فإن الصفة ليست خالقة وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق ليس هذا هو المخلوق..

والثاني، قولهم: تجسدها بإنسان مخلوق وقولهم: تجسم كلمة الله. فإن قولهم: تجسمت وتجسدت يقتضي إن الكلمة صارت جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضي انقلابها جسداً وجسماً وهذا يقتضي استحالتها وتغيرها، وهم قالوا: اتحاداً بريئاً من تغير واستحالة.

والثالث، قولهم: اتحدت الكلمة به اتحاداً بريئاً من اختلاط أو تغير، أو إستحالة كلام متناقض أيضاً، فإن الاتحاد يصير الإثنان واحداً فيقال قبل الإتحاد كان اللاهوت جوهراً والناسوت جوهراً آخر. وإن شئت قلت: كان هذا شيئاً وهذا شيئاً، أو هذا عيناً قائمة بنفسها وهذا عيناً قائمة بنفسها، فبعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا أو صار الاثنان واحداً، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد بل هما متعددان كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم وهذا عدم لأحدهما لا اتحاده، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحدهما فلا بد من تغييرهما واستحالتهما، وإلّا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإن قيل: اتحد اتحاداً بريئاً من اختلاط أو تغير أو استحالة كان هذا كلاماً متناقضاً ينقض بعضه بعضاً، فإن هذا إنما يكون مع التعدد والمباينة لا مع الاتحاد، يوضح ذلك أنه إذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما.شيئاً ثالثاً ليس ماء محضاً بل هو نوع ثالث، وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول). وهكذا يرد الإمام ابن تيمية بهذه الحجج والبراهين القاطعة على قول النصارى بألوهية عيسى. راجع: الجواب الصحيح ٢/٢٦٦.

عباد الله تأملوا كيف استحوذ[1] الشيطان بظلمة الكفر على بصائر[2] هؤلاء حتى آمنوا بهذا المحال في العقل والعادة وقلدوا فيه أول[3] الشياطين الذين اختلقوا لهم هذه العقيدة الشنيعة المرذولة نعوذ بالله من حالهم ومآلهم.

وقال لوقا في آخر إنجيله: (إن عيسى بعدما[4] قام من قبره لقيه[5] رجلان من تلاميذه وهما كليوباس[6] ولوقا، فقال لهما: ما لكما حزينان فقالا له: وأنت[7] كأنك غريب وحدك في مدينة بيت المقدس، لم تعرف[8] ما جرى في[9] هذه الأيام من أمر المسيح الذي كان رجلاً مصدقاً[10] من الله[11] في مقاله وأفعاله[12] عند الله وعند الناس)[13].

---

(١) في (أ) و (م): (استحوذ عليهم). (٢) في (أ) و (م): (بصائرهم).

(٣) (أ) و (م): (أخبث). ومعلوم أن بولس هو الذي بدل العقيدة الصحيحة، وهو المقصود من قول المؤلف.

(٤) في (أ): (بعد أن). (٥) في (م): (لقياه)، وهو خطأ.

(٦) في الأصل: (لقيلوقاس) وفي (ر): (اقيلوقاس) وفي (أ): (لقلوبانس).
وقد جاءت ترجمته عندهم كالتالي: اسم يوناني يرجح أنه اختصار (كليوباتروس ومعناه (من أب مشهور) وهو أحد التلميذين اللذين لاقاهما المسيح على الطريق بين أورشليم وعمواس - حسب زعمهم - يوم القيامة) لوقا: ٢٤: ١٨. راجع قاموس الكتاب المقدس /٧٨٦.

(٧) ساقطة من (أ). (٨) في (أ): (ولم تعلم).

(٩) في (م): (ما جرى فيها). (١٠) في (أ) و (م): (صادقاً).

(١١) في (أ): (من الله تعالى). (١٢) في(الأصل): (وفعاله)، والمثبت من (أ).

(١٣) هذا النص ورد في إنجيل لوقا كالتالي: (وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث، وفيماهما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان وأنتما ماشيان عابسين؟ فأجاب أحدهما الذي اسمه كليوباس وقال له: هل أنت مغترب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها هذه الأيام) لوقا: ١٤: ١٣ - ١٩.

فهذه شهادة تلميذيه[1] أنه رجل[2] مصدق من الله ليس بخالق ولا بإله ولا بابن إله تعالى[3] الله / عما يقول[4] الكافرون علواً كبيراً[5]. [٢٣ ب]

القاعدة الثالثة:

وهي اعتقادهم لعنهم الله أن أقنوم الابن التحم بعيسى في بطن مريم، وسبب ذلك:

اعلموا رحمكم الله أن النصارى يعتقدون أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئة آدم[6] في الأكل من الشجرة، ثم إنه تعالى حنّ عليهم فمنّ عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى[7] (فصار إنساناً وآلهاً: إنساناً[8] من جوهر أمه وإلهاً من جوهر أبيه ثم ما أمكنه[9] من خروج آدم وذريته من النار إلا بموته[10] وبه

---

(١) في الأصل: (تلميذه)، والمثبت من البقية. (٢) في (م): (آدمي).

(٣) في (م): فتعالى.

(٤) في (أ): (عما يقولون).

(٥) هناك عدد كبير من النصوص التي وردت في إنجيل يوحنا وهي تصدح ببشرية عيسى عليه السلام، وأنه نبي وليس بإله فمن ذلك:
(فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي) يوحنا ٧: ٤٠، يوحنا ٦: ١٤.

(٦) أشرنا في السابق إلى أن النصارى يعتقدون أن المسيح جاء لتخليص البشر من خطيئة أبيهم آدم الأولى، وقد شرحنا موقف الإسلام من هذا الموضوع. انظر: ص ١٢٧ من هذا البحث. هامش رقم ٦.

(٧) لقد شرح المؤلف في الباب الرابع من هذا المخطوط قانون الإيمان ورد على النصارى فيما يعتقدونه من أباطيل. انظر ص ١٧٤ من هذا البحث. ومعلوم أن هذا القانون ينص على الالتحام في بطن مريم.

(٨) في (أ) و(م): (فصار إنساناً وإلهاً من جوهر أمه).

(٩) في (أ) و (م): (ما مكنه). (١٠) في (أ) و (م): (إلا بقتله).

يفدي جميع الخلق من الشيطان، وأنه مات بالقتل بل[1] عاش بعد ثلاثة أيام ونزل لجهنم[2] وأخرج منها آدم وذريته[3] وجميع الأنبياء[4]، . . .

فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث، كما مهد[5] لهم أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل ولا نقل عن نبي ولا رسول[6]. وحاشا أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس المضحكة والفضائح المهلكة

---

(١) في (أ) و (ر): (ثم). (٢) في (أ): (إلى جهنم).

(٣) في الأصل وبقية النسخ (من جميع الأنبياء) المثبت هو ما اقتضاه السياق.

(٤) كما أوضحنا في السابق أنه لا يوجد في الأناجيل أي نص يثبت نزول المسيح إلى الجحيم بعد دفنه، وأن النصارى قد اعتنقوا هذا المبدأ استناداً إلى ما يسمى بقانون إيمان الرسل.
أما عن إخراج الأنبياء من جهنم فقد جاء في إنجيل نيقوديموس: (أن آدم وإبراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء حيث قابلوا ثلاثة من بني آدم لم يذوقوا الجحيم وهم (أخنوخ وإيليا واللص الذي قيل إنه صلى مع المسيح وكان كريماً معه).
ويقول في هذا الإنجيل: (جاء ملك المجد (المسيح) ووطأ الموت بقدميه وأمسك بأمير الجحيم وحرمه من كل قوته وأخذ أبانا الأرضي آدم إلى مجده . .) ١٧ : ٢٣) كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣٠٧.
ونيقوديموس كما يقول د. وافي: (هو القديس نيكوديم أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح وقد لقي المسيح وجرت له معه مناقشات في الشؤون الدينية، فآمن برسالته وقد أغفلت الكنيسة هذا الإنجيل ومعه عدد آخر من الأناجيل). الأسفار المقدسة ص ٩٣.
وهكذا نرى التخبط الذي تقع فيه الكنيسة في إقرار عقائدها، فمن إنجيل يحرم تداوله بين الناس اتخذت الكنيسة عقيدة نزول المسيح إلى جهنم وإخراج الأنبياء منها، مع العلم أن هذا التحريم لم يأت إلا من قِبل الكنيسة نفسها.

(٥) في (م): (مهد لهم ذلك).

(٦) يؤكد الإمام القرطبي ما قاله المؤلف ويأتي بأدلة كثيرة على أن عقائد النصارى إنما أخذت من إنجيل غير منزل (من عند الله حقيقة وأن نقله ليس متواتراً فإنه راجع إلى الأربعة، . . . والعادة تجوّز عليهم الغلط والسهو والكذب. . .) ثم يرد على ادعاء النصارى لقولهم بعصمة هؤلاء الأربعة ويأتي بأدلة دامغة تثبت صحة ما يقول. الإعلام بما في دين النصارى من أوهام للإمام القرطبي ٢ / ٢٠٣ وما بعدها.

والتناقض الواضح، فمن المحال أن يكون الخالق الأزلي استحال لحماً ودماً، أو يكون له ولد في الأرض أو في السماء[1] أو يكون قدمه[2] وبقاؤه[3] اللذان[4] لا نهاية لهما محدودين أو متحيزين[5] أو متنقلين، كلا بل هو الله الذي لا شبيه له/ ولا نظير، فتقدس[6] جلاله وتعالى كماله[7] من أن يحل في بشر يموت، كيف؟ وهو الحي الذي لا يموت أو يصير بذاته العلية القدسية[8] في بطن امرأة وهو الذي وسع كرسيه السموات والأرض[9]. . . .

[٢٤ أ]

ويقال لهم: أنتم[10] تعتقدون أن عيسى هو الله، ومن لم يعتقد هذا فليس بنصراني عندكم[11]، فلا يجدون بداً[12] من أن يقولوا: نعم.

---

(١) يرد القرآن الكريم على النصارى والمشركين في كثير من الآيات فينفي اتخاذ الولد والشريك: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ (مريم: الآية ٣٥)، ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾ (المؤمنون: ٩١).

(٢) معناه عدم وجود أول له سبحانه وتعالى (وينقسم إلى قسمين: القدم الذاتي: هو كون الشيء غير محتاج إلى الغير، والقدم الزماني: وهو كون الشيء غير مسبوق بالعدم) التعريفات للجرجاني ص ١٨٠.
وهذا رأي المتكلمين، وقد أطلق الفلاسفة على الله تعالى اسم القديم بذاته فقالوا: (هو الله سبحانه وتعالى وحده وهو واجب الوجود بذاته). الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق، د. بركات عبدالفتاح دويدار ص٣٤١.

(٣) معناه: (امتناع لحوق العدم بذاته تعالى). كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ١١٩.

(٤) في الأصل و (م): اللذين وفي (أ): (الذين)، وما أثبتناه أصح.

(٥) في (أ): (أو متحيرين).

(٦) في (م): (تقدس).

(٧) في (م): (على).

(٨) ساقطة من (ر).

(٩) في (أ) و (م) زيادة: (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

(١٠) في (أ): (سؤال يقال لهم إنكم).

(١١) نقل المرحوم الشيخ أبو زهرة عن كتاب «تاريخ الأمة القبطية» ما نصه: (إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير =

فيقال لهم[1] لقد قدمتم على بهتان عظيم ومحال بين[2]، حيث صيّرتم إنساناً من الناس خالقاً أزلياً[3]، وهو حادث مخلوق ولا يخلو أمركم في عيسى من خمسة أوجه:

١ ـ إما أن تكونوا جعلتموه إلهاً أزلياً أو مسكناً للإلّه الأزلي.

٢ ـ والوجه الثاني، هل قال هذا عيسى[4] عن نفسه أو قاله عنه تلاميذه الذين نقلوا لكم دينه.

٣ ـ الوجه الثالث، أن تكونوا جعلتموه إلّهاً لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه.

٤ ـ الوجه الرابع، أن تكونوا جعلتموه إلّهاً لصعوده إلى السماء[5].

٥ ـ الوجه الخامس، أن تكونوا جعلتموه إلهاً[6] لعَجب مولده في كونه من غير أب.

فإن قلتم لعجب مولده وكونه[7] من غير أب فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق[8] من غير أب ولا أم[9]، ولا أعجب من كون[10] الملائكة[11]

= جوهر الله الأب، وكل من يؤمن أنه خلق أو من يقول أنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران). محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٥١.

(١٢) ساقطة من الأصل، والمثبت من (م). (١) في (م): (قد).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) الأزلي: ما لا يكون مسبوقاً بالعدم يقول الشريف الجرجاني: (اعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها: فإنه إما أزلي وأبدي وهو الله سبحانه وتعالى، أو لا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، أو أبدي غير أزلي وهو الآخرة، وعكسه محال فإن ما ثبت قدمه امتنع عدمه). التعريفات للجرجاني ص ١١.

(٤) في (أ) و (م): (عيسى هذا).

(٥) في (أ): قوله جملة (لصعوده إلى السماء) ساقطة من (أ).

(٦) من قوله: (جعلتموه إلهاً) إلى قوله (أن تكونوا جعلتموه إلّهاً) ساقطة من (م). وسقط من (أ) قوله: (الوجه الخامس).

(٧) في (أ) و (م): (لكونه). (٨) ساقطة من (ر).

(٩) خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين، ويختلف خلقه عن بقية البشر قال تعالى: ﴿وإذ =

خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة[1]، ولا يسمى شيء[2] (من الملائكة وآدم آلهة)[3] وأنتم تمنعون[4] من ذلك. فأخبرونا بالفرق[5] بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإيجاد أعجب منه؟. [٢٤ ب]

وإن قلتم: إن عيسى إله[6] لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع[7] النبي عليه السلام[8] أحيى ميتاً في حياته وميتاً

= قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ (الحجر: الآية ٢٨ ـ ٣٠).

وقدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد بالنسبة لآدم أو عيسى أو غيرهما سواء، ولهذا قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩).

وفي التوراة التي يؤمن بها المسيحيون ويؤكدون على قدسيتها هناك نصوص تشير إلى خلق آدم عليه السلام ولو تمعنوا فيها لظهر لهم أن عملية خلق آدم من غير أب ولا أم هي أعجب من خلق عيسى عليه السلام من مريم.

يقول سفر التكوين: (وجبل الرب الإله آدم ترباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حيوة فصار آدم نفساً حية..) التكوين ٢: ٧.

وقد نوّه الإمام ابن القيم بهذه الناحية فانظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ٦٢٢.

(١٠) في (أ) و(م): (ساقطة). (١١) في (م): (كون الملائكة فإنهم).

(١) الملائكة: هم عباد الله المكرمون، وهم يفعلون ما يؤمرون، ولهم وظائف متعددة (والملائكة جمع ملاك: وهو جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة) التعريفات للجرجاني ص ٣٤٧. والعقل يقطع بأن خلق الملائكة أعجب من خلق آدم وعيسى عليهما السلام، فالله تعالى لا يعجزه شيء.

(٢) (أ) و(م): (أحد من). (٣) في (أ) و(م): ولا آدم إلهاً وفي (ر): (باله).

(٤) في (ر): (تمتنعون في). (٥) في (أ): (عن الفرق) وفي (ر): (ساقطة).

(٦) في (أ): (إلهاً)، وما في الأصل أصح.

(٧) قال تعالى في حق النبي اليسع عليه السلام: ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾ (الأنعام: الآية ٨٦).

ويطلق أهل الكتاب عليه اسم (اليشع) ويقولون: اسم عبراني معناه (الله خلاص) وهو =

بعد وفاته (والتصرف بمعجزة الأحياء)[1] في البرزخ[2] بعد الموت أعجب منها قبل الموت.

وإلياس[3] النبي[4] عليه السلام[5] أحيى[6] أيضاً ميتاً[7] وبارك في دقيق العجوز ودهنها فلم يفرغ ما في جرابها من الدقيق ولا[8] ما في قارورتها من

= خليفة إيليا - أي: إلياس عليه السلام - في العمل النبوي في المملكة الشمالية. . .ويسجل لنا العهد القديم معجزات قام بها اليشع أكثر من أي نبي آخر. . . وبصلاته عادت الحياة إلى ابن المرأة الشونمية (٢ ملو ٤: ٨ - ٣٧). . . (وأخيراً وبعد أن مات اليشع أوتي بميت ووضع في نفس القبر مع أليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حالما مس جثمانة عظام النبي. (٢ ملو ١٣: ٢٠ - ٢١). انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١ - ١١٢.

وقد أورد الإمام الطبري في تاريخه بعضاً من هذه الروايات نقلاً عن أهل الكتاب، إلا أن غالبية العلماء المسلمين لم يذكروا شيئاً عن المعجزات التي قام بها كل من إلياس واليسع عليهما السلام، إنما توقفوا في النقل عن أهل الكتاب. راجع: تاريخ الطبري ٢/٣٢٥ - ٣٢٧.

(٨) في (ر): (أحيا)، وهو خطأ. (١) في(أ)و(م):(وتصرف المعجزة في الأحياء).

(٢) البرزخ: الحاجز بين شيئين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ). مختار الصحاح ص ٤٨؛ وراجع التعريفات للجرجاني ص ٢٥.

(٣) في (م): (وأن الياس). (٤) ساقطة من (أ).

(٥) يطلق أهل الكتاب على النبي إلياس عليه السلام اسم: إيليا ويقولون: هو اسم عبري معناه (إلهي يهوه) والصيغة اليونانية لهذا الاسم إلياس وتستعمل حالياً في العربية، وهو (عندهم) نبي عظيم في المملكة الشمالية. . . وبما أن أزابيل ساقت زوجها وشعب بني إسرائيل إلى عبادة البعل فقد تنبأ إيليا بأن الله سيمنع المطر عن بني إسرائيل واعتزل النبي إلى نهر كريت وكانت الغربان تعوله وتأتي إليه بالطعام وبعد أن جف النهر ذهب إلى صرفة وبقي في بيت امرأة أرملة، ووفقاً لوعد إيليا لها لم يفرغ من بيتها الدقيق والزيت طوال مدة الجفاف ولما مات ابن الأرملة صلى إيليا فأعاد الله الحياة إلى الصبي (١ مل ص ١٧). . . راجع: قاموس الكتاب ص ١٤٤.

(٦) في (ر): (أحيا)، وهو خطأ. (٧) ساقطة من (أ) و (م).

(٨) في الأصل: (وما في)، والمثبت من (أ).

الدهن سبعة أعوام. وسأل الله[1] أن يمسك المطر سبعة أعوام فأجاب الله دعاءه[2]، وإن قلتم: إن عيسى أطعم خمسة آلاف نسمة[3] فإن موسى كليم الله سأل الله العظيم لقومه فأطعمهم الله[4] المن[5] والسلوى[6] أربعين سنة وعددهم أزيد من ستمائة ألف نسمة[7] وإن كان عيسى مشى على البحر ولم يغرق فيه[8] فإن موسى[9] ضرب البحر بعصاه فانفلق وصارت[10] فيه طرق

---

(١) ساقطة من (م). (٢) في (م): (دعاه).

(٣) وردت هذه القصة في إنجيل يوحنا:
(وكان الفصح عيد اليهود قريباً فرفع يسوع عينية ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل إليه فقال لفليس: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ وإنما هذا ليمتحنه لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل. أجابه فليبس: لا يكفيهم خبز بمئتي دينار، ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً. قال له واحد من تلاميذه ـ وهو اندراوس أخو سمعان بطرس ـ: هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان ولكن ما هذا لمثل هؤلاء، فقال يسوع: اجعلوا الناس يتكئون. وكان في المكان عشب كثير فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ). يوحنا ٦: ١ ـ ١١.
وغير خافٍ أن كتب الصحاح والسيرة قد حفلت بأخبار الرسول ﷺ ومعجزاته التي قام بها وسوف يأتي ذلك إن شاء الله تعالى في الباب التاسع.

(٤) ساقطة من (أ) و(م).

(٥) المن: كل طلٍّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ كالشيرخشت...).
انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي، ٤/٢٧٤.

(٦) السلوى: طائر السماني (كان) يأتي (إلى بني إسرائيل) أسراباً متلاحقة فيكاد يغطي الأرض بكثرته). مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص (٢٤٣).

(٧) ورد هذا العدد في رواية أوردها القرطبي، حيث قال: (حدثنا حميد قال: حدثنا يحيى بن واضح... اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستماية ألف) انظر جامع البيان للإمام الطبري مجلد ٧ جـ ١١ ص ١١٢.

(٨) هذه القصة التي أوردها المؤلف وردت في إنجيل متى كالتالي (.. وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال ومن الخوف صرخوا..) متى ١٤: ٢٥ ـ ٢٦. وقد أورده المؤلف بالمعنى. =

عبر منه جميع[1] قومه[2] واتبعهم فرعون بجنوده[3] فغرقوا كلهم[4] ثم فجر[5] من صخرة اثنتي عشرة[6] عيناً لكل سبط من بني أسرائيل عين[7] وضرب أهل مصر بعشر[8].

آيات من عجائب العذاب:

الآية الأولى: عصاه التي ألقاها من يده فصارت ثعباناً هائلاً[9] وابتلعت[10] عصى جميع السحرة. وحبالهم الآية[11].

= (٩) في (م): (فإن موسى قد ضرب).

(١٠) في (أ) و (م): (فصار فيه طرق)، قال تعالى ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (الشعراء: الآية ٦٣).

(١) ساقطة من (ر).

(٢) في (أ): (عبرتها جميع قومه).

(٣) في (أ) و(م): (وجنوده).

(٤) قال تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ (طه: الآية ٧٧ ـ ٧٨).

(٥) في (أ): (ثم إن) وفي (م): (ثم إنه).

(٦) في (أ): (اثنتا عشر)، وما في الأصل أصح. انظر باب العدد من: التبصرة والتذكرة، لعبدالله بن علي الصميري ص ٤٨٣ جـ ١.

(٧) قال تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة: الآية ٦٠).

(٨) في الأصل: (بعشرة)، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) في (أ) و(م): بزيادة: (فتح فكه الأعلى فبلغ السماء والأسفل الأرض ومات من خوفها خمسين ألفاً من قوم فرعون). وقد أورد الإمام الطبري هذه الرواية عن وهب بن منبه. انظر: تفسير الطبري ٦/٩/١٠ ـ ١١.

(١٠) في الأصل: (عصى جميع حبال السحرة)، والمثبت من (أ) و (م).

(١١) قال تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ (الشعراء: ٤٢ ـ ٤٥).

[٢٥ أ]

الآيـة الثانيـة: نتن مياههم[١]، وموت ما فيها من الحيوان.

الآية[٢] الثالثة: إرسال الضفادع عليهم حتى امتلأت بها منازلهم.

الآية[٣] الرابعة: تسليط القمل على أجسادهم.

الآية الخامسة: إرسال أنواع من الذباب عليهم.

الآية السادسة: إهلاك بهائمهم كلها.

الآية السابعة: خروج القروح من أجسادهم.

الآية الثامنة: نزول البرد عليهم حتى فسدت أشجارهم.

الآية التاسعة: إرسال الجراد على جميع بلادهم.

الآية العاشرة: ما غشاهم[٤] من الظلمات[٥] ثلاثة أيام بلياليها[٦].

---

(١) في (أ) و(م): (يبس بساتينهم). (٢) ساقطة من (أ).

(٣) ساقطة من (م). (٤) في (أ) و (م): (ما غشيهم).

(٥) في (م): (من الظلمة).

(٦) قال تعالى مخبراً عن هذه الحوادث: ﴿ولقد أخـذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون، فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم، آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ (الأعراف: الآية ١٣٠ ـ ١٣٢).

وتفصيل آيات العذاب جاء كالتالي:

أ ـ الجدب: بأن قل عنهم النيل وقصر عن إرواء أرضهم. وسنـو الجدب يؤرخ بها، فيقال لعام الجدب سنة...

ب ـ النقص من الثمرات: بسبب ما يأتي عليهـا من الجوائح والعاهات.

جـ ـ الطوفان: ولم يقطع المفسرون بأن هذا الطوفان كان على أي وجـه: فهل كـان بطغيان النيل على الأرض وامتداد زمن بقائه على وجه الأرض حتى عاقهم عن الزرع في الوقت المناسب؟ أو كان بتتابع المطر على أرض مصر في وقت كان فيه الزرع نامياً حتى أغرقه وأضربه؟ كلٌّ محتمل، وقد مال البيضاوي إلى هذا في تفسيره.

د ـ الجراد: بأن أرسل الله على بلاد مصر الجراد فأكل الزرع واجتاح الثمار.

هـ ـ القمّل: الذي أقضّ مضـاجعهم وأتعبهم أيما تعب وفي التـوراة (البعوض) بـدل القمّل.

وإن قلتم أن عيسى كان إلهاً بنفسه لأنه صعد إلى السماء فلذلك جعلتموه إلهاً فيلزمكم في إلياس وإدريس عليهما السلام أن تجعلوهما إلهين لأنهما صعدا إلى السماء[1] بلا خلاف[2] عندكم في ذلك (وأيونا[3] الإنجيلي)

و ـ الضفادع: قيل إنها كثرت عندهم حتى نغصت عليهم عيشتهم لسقوطها في طعامهم وفراشهم وبين ملابسهم.

ز ـ الدم: بأن استحال الماء لأهل مصر دماً وقيل: الله سلط عليهم الرعاف.

حـ ـ الطمس على أموالهم وهو: محقها وإهلاكها.

ط ـ اليد: إذ كان يضع يده في جيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء).

انظر: قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار ص ١٩٨.

ويُلاحظ أن المؤلف ذكر عشراً من آيات العذاب وربما أورد هذه الحوادث استناداً إلى العهد القديم. كما يلاحظ أنه زاد على هذه الحوادث: إرسال الذباب، والبرد والظلمة، كما أنه لم يذكر الطوفان، كما جاء في القرآن الكريم. وقد أكد ابن كثير رحمه الله ورود ذكر اليد والعصا فيما نقّله عن ابن عباس رضي الله عنه. راجع تفسير ابن كثير من سورة الإسراء: الآية ١٠١.

(١) وردت قصة صعود إلياس عليه السلام إلى السماء في العهد القديم في سفر الملوك الثاني، وقد أشرنا في السابق إلى أن أهل الكتاب يطلقون عليه اسم إيليا (وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء أن إيليا... (ثم يذكر قصته مع يوشع، ويتابع قائلاً: وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء) الملوك الثاني ٢: ١ ـ ١٢.

كما وردت قصة صعود إدريس عليه السلام إلى السماء في سفر التكوين، ومعلوم أنه يسمى عند أهل الكتاب بـ (أخنوخ...) وقد ذكر هذا أيضاً كتاب «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» لجمال الدين القفطي الوزير. انظر: ص ٢ من نفس الكتاب، وانظر: ص ٣٢ من قاموس الكتاب المقدس.

وعن صعوده يقول سفر التكوين: (فكانت كل أيام أخنوخ ثلاثة مئة وخمساً وستين سنة وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) تك: ٥: ٢٢ ـ ٢٤.

كما ورد ذكره في الرسالة إلى العبرانيين (بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله) عب ١١: ٥.

وقد نقل الإمام ابن القيم في كتابه الروح نصاً يفيد أن ملك الموت أمر أن يقبض روحه في السماء الرابعة) انظر: كتاب الروح، للإمام ابن قيم الجوزية ص ١٨١.

(٢) في (م): (ولا خلاف). وجملة (بلا خلاف إلى قوله: إلى السماء) ساقطة من (ر). =

صعد إلى السماء بنص التوارة وإجماع علمائكم، فاجعلوه[1] إلهاً...

وإن قلتم إن عيسى ادعى الألوهية[2] لنفسه فلذلك جعلتموه إلهاً فقد[3] جاهرتم بالكذب الفظيع[4] والبهتان الشنيع وفي أناجيلكم ما يرد[5] عليكم، لأن الإنجيل الذي بأيديكم[6] أنه حين صلب قال: (إلهي لم خذلتني)[7] وتقدم[8] له من نص الإنجيل[9] أنه قال: (إن الله أرسلني إليكم[10]) فأقر بأنه بشر[11] من الأنبياء المرسلين.

= (٣) في (أ): (أبونا الإنجيلي)، وهب ساقطة من (ر)، ولا يعرف ما هو مقصود المؤلف من هذه العبارة، ولم أجد ترجمة بهذا الإسم.

(١) في (أ) و (م): (فجعلتموه إلهاً).

(٢) في (ر): (إلهية).

(٣) في (ر): (وقد).

(٤) في (أ) و (ر): (القطيع).

(٥) في (م): (ماير).

(٦) في (ر): (في أيديكم).

(٧) انظر ص **٢١٤** من هذا البحث.

(٨) في (أ) و (م): (وقد تقدم).

(٩) ساقطة من (ر).

(١٠) انظر ص **١٣٩** من هذا البحث.

(١١) من المعلوم أن إنجيل يوحنا هو الوحيد الذي صرح بألوهية المسيح دون غيره، ومع ذلك فقد رأينا ـ في السابق ـ كيف أن هذا الإنجيل فيه من النصوص ما يؤكد تناقضه مع نفسه. انظر: ص **٩٨** من هذا البحث.

كما أن إنجيل برنابا يورد كثيراً من النصوص الدالة على بشرية عيسى عليه السلام ونفي ألوهيته وتبرئته من أقوال الكفرة فمن ذلك: (أجاب يسوع: وما قولكم أنتم في؟ أجاب بطرس إنك المسيح ابن الله فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلاً: اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان، وتحاول أن تسيء إلي، ثم هدد الأحد عشر قائلاً: ويل لكم إذا صدقتم هذا لأني ظفرت بنعمة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا) أنظر: إنجيل برنابا، ترجمة سيف الله أحمد فاضل ص ١٢٨، الفصل ٧: ٤ ـ ٨.

وفي نص آخر يقول: (فاقترب منه رئيس الكهنة قائلاً: قل لي يا يسوع أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به من إنك لست الله ولا ابن الله ولا مسيا أجاب يسوع: لا، البتة لم أنس لأن هذا هو الاعتراف الذي أشهد به أمام كرسي دينونة الله في يوم الدينونة) فصل ٢٠٦: ٢ ـ ٥.

وقد استشهدنا بأقوال برنابا لأنه من الثابت أنه أحد تلاميذ المسيح دون خلاف وقد ورد ذكره في العهد الجديد كالتالي: (ويوسف الذي دعي من الرسل (برنابا) الذي يترجم ابن

[٢٥ ب] ونصوص أناجيلكم في هذا عديدة على[1] أن في مفتعل كذبكم من[2] أنه صلب وصاح ونادى: (إلهي[3] إلهي[4]) وليس[5] من نصوص[6] الإنجيل الحق[7] بل هو من بهتان[8] كتاب أناجيلكم وافترائهم على الله.

وإنما احتججنا به عليكم ليظهر تناقضكم وافتضاحكم لبصائر العقلاء[9] وبالله التوفيق[10].

= الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنس إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل). أعمال الرسل ٤ : ٣٧.
ومع إقرارهم بأنه أحد تلاميذ المسيح إلا أن النصارى قد حرموا إنجيله، لأنه جاء بالحق.

(١) في (ر) و (م): (على أنه). (٢) ساقطة من (أ) و (ر).

(٣) ساقطة من (أ) و (ر). (٤) سبق الإشارة إلى هذا النص.

(٥) الواو ساقطة من (م). (٦) في (ر): (خصوص).

(٧) تحدثنا في السابق عن الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام وقلنا إنه غير الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم وإنه جاء مقراً بوحدانية الله تعالى وبشرية عيسى عليه السلام وإنه نبي ورسول، وإنجيل برنابا كما أوضحنا في العديد من المواضع محرم تداوله بين النصارى لأنه يشير إلى تلك الحقائق فمن ذلك ما جاء فيه: (. . ولما قال يسوع هذا عاد فقال: إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام) إنجيل برنابا، الفصل ٩٤ : ١ - ٣.

(٨) في (أ) و (م): (من بهتان عظيم من كذب). (٩) في (أ) و (م) بزيادة: (والمجانين).

(١٠) وتجدر الإشارة في نهاية هذه القاعدة إلى أن الإمام ابن قيم الجوزية سبق «الترجمان» في استدلاله ورده على النصارى وخاصة فيما يتعلق بخلق آدم عليه السلام ومعجزات موسى وصعود إدريس وإلياس عليهما السلام إلى السماء حسب ما جاء في كتبهم، ولعل مرد هذا التوافق: إلى أن المؤلف قد اطلع على كتب علماء المسلمين الذين بحثوا هذه المواضيع وناقشوها بدقة متناهية وردوا ادعاءات النصارى. وللمزيد انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٦٢٣ - ٦٢٥.

القاعدة الرابعة: وهي الإيمان بالقربان[1].

وصفته: اعلموا[2] رحمكم[3] الله أن دين النصارى في قربانهم كفر وهو[4] أن يعتقدوا[5] أن[6] فطيرة من خبز إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات[7] فإنها ترجع في تلك[8] الساعة جسد عيسى عليه السلام، وإذا قرأ

---

(١) يقصد المؤلف بهذا ما تعارف عليه النصارى اليوم (بالعشاء الرباني) كما يطلق عليه «التناول» وهي أيضاً عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية، ويرمز بالعشاء الرباني إلى عشاء عيسى عليه السلام ـ الأخير ـ مع تلاميذه. انظر: المسيحية. د. شلبي ص ١٦٩. وقد تقرر هذا المبدأ في المجمع الثاني عشر من مجامع القسطنطينية سنة ١٢١٥ م).
انظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٧٧.
وقد علق الأستاذ شار جينبير على هذا المبدأ قائلاً: (والظاهرة المؤكدة لدينا على أي حال هي أن القربان كان يعتبر مذ ذلك الحين بداية الدعوة سراً ويمكن الأتباع من المشاركة في «السيد» وفقاً للمفهوم الذي سبقت له الغلبة في عقيدة بولس فأصناف القربان من خبز وخمر ينظر إليها على أنها طعام معجز، يجب إعداد النفس قبل تناوله إعداداً دينياً خاصاً، وإلا كان المآل إلى التهلكة). المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير ص ١٦٠.
وقد أشار د. محسن العابد إلى أن هذه العقيدة مستقاة من (ديانة الألغاز المعروفة عند الإغريق بطقوس الديونيسية السرية وطقوس الآرمنية). راجع: مدخل في تاريخ الأديان، د. محسن العابد ص ٣٥ ـ ٣٦، دار الكتاب بسوسة ١٩٧٣ م.
كما تعقب ولز هذه العقيدة ونقل آراء فريزر حولها وما وصل إليه من نتائج مفادها أن الأصل في العشاء الرباني هو القرابين السحرية المرتبطة بفكرة الأشخاص المخصصين للقربان الذين يقتلون في أوان البذار، وفكرة طبقة من الناس مطهرة تطهيراً خاصاً يؤهلها لقتل هؤلاء الضحايا وهي طبقة الكهنة وفكرة عشاء مقدس أو وليمة طقوسية، تأكل فيها القبيلة أجزاء من جسم الضحية لكي تأخذ نصيباً مما للقربان عن مزايا وتتقمص تلك المزايا أوثق تقمص. من هذه البدايات تطورت الديانات ذات القرابين الموسمية التي لا تزال بين ظهرانينا). راجع بتوسع: معالم تاريخ الإنسانية، ولز ١/١٢٣.

(٢) ساقطة من (م) والمثبت من بقية النسخ. (٣) في (أ): (يرحمكم).

(٤) ساقطة من الأصل. (٥) (أ) و(م): (يعتقدوا على).

(٦) (الفطير: ضد الخمير وهو العجين الذي لم يختمر). مختار الصحاح ص ٥٠٧.

(٧) في (أ): (الكليمات) وفي (ر): (بعض كلمات).

(٨) في (أ) و (م) ساقطة.

بعض[١] الكلمات على كأس [٢] شراب [٣] خمر فإنه يصير في تلك الساعة دم عيسى عليه السلام، والذي تقرر من سنتهم في ذلك أن كل كنيسة لها قسيس يقوم بها فيجيء قسيس كل كنيسة[٤] في كل يوم بفطيرة صغيرة وزجاجة خمر ويقرأ[٥] عليها عند صلاته فيعتقد[٦] النصارى أن الفطيرة صارت جسد عيسى والخمر صار دمه ويأخذون ذلك من قول متى في الفصل العشرين من إنجيله: (إن عيسى جمع الحواريين يوماً قبل موته وتناول خبزة[٧] وكسرها وناولهم[٨] كسرة[٩] لكل إنسان وقال لهم: كلوا هذا جسمي[١٠] ثم ناولهم كأس[١١] خمر وقال لهم اشربوا هذا دمي)[١٢]. فهذا/ قول متى في [٢٦ أ] إنجيله[١٣]... ويوحنا الذي كان حاضراً لعيسى[١٤] حين رفع لم يذكر شيئاً[١٥]

(١) في (أ): (الكليمات).

(٢) ساقطة من (ر).

(٣) ساقطة من (أ) و (م).

(٤) في الأصل: (فيجيء كل قسيس كنيسة)، والمثبت من (أ) و (م).

(٥) في (أ) و (م): (عليها).

(٦) في (أ) و (م): (فتعتقد).

(٧) خبزته في الأصل والمثبت من (أ).

(٨) في (أ) و (م): (ناول).

(٩) في (ر): (كسرة كسرة).

(١٠) في (أ) و (م): (جسدي).

(١١) في (ر): (كأساً خمراً) وفي (أ) و (م): (خمراً).

(١٢) ورد هذا النص في الإصحاح ٢٦ وليس في ٢٠ من متى: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا وكلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا كلكم لأن هذا هو دمي). متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٨.

(١٣) ساقطة من (م).

(١٤) في الأصل: (عيسى حتى رفع) وفي (م): (حينئذ رفع)، والمثبت من (ر).

(١٥) الناظر في إنجيل يوحنا (الإصحاح الثالث عشر) يرى صحة ما ذهب إليه المؤلف وهو عدم ذكر يوحنا لحادثة تقسيم الخبز والخمر من قبل عيسى على تلاميذه... وهذه نقطة مهمة لتعلقها بأمر اعتقادي، فهي تسمى اليوم «الاستحالة» وعدم ذكر يوحنا لتفاصيل هذه الحادثة أو حتى الإشارة إليها لدليل على تأرجح هذه العقيدة وعدم ثبوتها، وبالتالي فإن هذا يؤكد أن كتّاب الأناجيل يتفاوتون في نقل أخبارهم في حين أنه ينبغي الصدق في هذه الأقوال لصدورها عن «الرسل» كما يزعم النصارى وليس هذا بصحيح، مع الملاحظة أن المؤلف لا يعتقد بصحة إنجيل يوحنا مطلقاً إلا أنه يجاري النصارى بحسب اعتقادهم ليقيم الحجة على تناقضهم وتفاوت أخبارهم.

من خبر الخبز والخمر في إنجيله وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متى ونقله للمحال والبهتان.

والنصارى لعنهم الله يعتقدون أن كل جزء من أجزاء فطيرة[١] كل قسيس[٢] هو عيسى عليه السلام بجميع[٣] جسده في[٤] طوله وعرضه وعمقه[٥] ولو بلغت أجزاء الفطيرة[٦] مائة ألف جزء لكان[٧] كل جزء منها عيسى، فيقال لهم: جسد[٨] عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلاً وعرضه[٩] شبران، وعمقه شبر والفطيرة التي يقرأ عليها القسيس لا [١٠] يمكن أن تكون ثلاثة أشبار[١١] فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار وعرضه شبران[١٢] وعمقة شبر في شيء طوله ثلث شبر هذا[١٣] محال في كل عقل سليم[١٤].

وهم يجيبون عن هذا: بأن[١٥] المرآة[١٦] تكون قدر الدينار[١٧] والإنسان يرى فيها أكبر (الأبراج[١٨] والمباني) العالية إذا قابلها بذلك وهي أكبر منها بأزيد من ألف مرة فيقال لهم:

---

(١) في (ر): (فطير).

(٢) في (أ): (جسدعيسى) وفي(م): (هي جسد).

(٣) في (أ) و (م): (بجميعه).

(٤) في(ر): (وفي جميع).

(٥) في (أ) و (م): (وعمقه هو).

(٦) ساقطة من (أ) و (ر).

(٧) في (أ) و (م): (وكان).

(٨) في (أ): (إن جسد).

(٩) في (أ) و(م): (شبرين)، وما في الأصل أصح.

(١٠) في الأصل: (ما يمكن) وفي (م) مطموسة.

(١١) في الأصل: (ثلث أشبار)، والمثبت من: (ر) و (أ).

(١٢) في الأصل: (شبراً)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٣) قوله: (فكيف يكون جسد) إلى قوله: (ثلث شبر هذا) ساقطة من (أ) و (م).

(١٤) إن العقل السليم ليجزم أن ما يقوم به النصارى من طقوس في الكنائس خاصة ما يتعلق منها بالعشاء الرباني أو «الشركة المقدسة» ـ كما يسمونها اليوم ـ لا يمكن أن يكون منزلاً من عند الله ولا يمكن أن يأتي به رسول، وسوف يتضح لنا فيما بعد أن هذه الطقوس أخذت عن أصول وثنية، لا تمت إلى الدين القويم بصلة.

(١٥) في (أ): (هذا أن).

(١٦) في (أ) و (م): (المرآة قد).

(١٧) في (أ) و (م): (الدرهم).

(١٨) في (أ) و (م): (الأميال والأبراج العالية).

إن[1] الذي يُرى في المرآة عرض [2] لا جوهر[3] وأنتم تعتقدون[4]: جوهر عيسى وعرضه جميعاً في تلك الفطيرة وهذا محال[5] في العقل (ثم إن عيسى أجمعتم على أنه[6]) صعد إلى السماء وهو جالس فيها عن[7] يمين الله[8] ـ تعالى الله[9] عن قولكم ـ فما الذي أنزل[10] جسده إلى تلك الفطيرة ثم إن عيسى[11] هو رجل واحد وأنتم تعتقدون (أن في كل جزء من أجزاء الفطيرة جميع جسد عيسى) ولو انقسمت[12] مائة ألف جزء. فلزمكم (أن يكون في كل جزء فطيرة[13]) مائة ألف عيسى[14] ثم يتضاعف ذلك بمضاعفة[15] عدد الفطائر وتعدد الكنائس عندكم فيصير عيسى له[16]أعداد لا

[٢٦ ب]

---

(١) ساقطة من (ر).

(٢) العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحمله ويقوم هو به، والأعراض على نوعين: قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد وغير قار الذات: وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون. التعريفات، للجرجاني ص ٧٩.

(٣) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو منحصر في خمسة: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد. انظر بتوسع: التعريفات، للجرجاني ص ٤٣.

(٤) في (م): (تعتقدون أنه). (٥) في (أ) و (م): (العقل السليم).

(٦) في (م): (ثم إنكم أجمعتم على أن عيسى عليه السلام).

(٧) في الأصل و (ر): (على)، والمثبت من (أ). (٨) في (أ) و (م): (أبيه).

(٩) ساقطة من (أ). (١٠) في (م): (انزل لكم).

(١١) ساقطة من (م).

(١٢) وردت هذه الجملة في (أ) كالتالي: (إن جسد عيسى جميعه في كل جزء من أجزاء الفطيرة) وفي م غير واضحة.

(١٣) في الأصل و (ر): (على مائة)، والمثبت من (أ).

(١٤) في الأصل: (جزء عيسى)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٥) في (أ) و (م): (بتضاعف الفطائر).

(١٦) ساقطة من (أ).

تكـاد تتناهى، وكل من رأى[1] هذا واعتقـده فقد[2] جعله الله أضحـوكة[3] للعالمين، ومسخرة للشياطين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[4].

وصفة قربانهم بالفطيرة[5] المذكورة وصـلاتهم لعنهم الله وذلك[6] أن القسيس يأمر خادمه أن يعجن[7] له فطيرة من سميد صافٍ ويخبزها ثم يحملها القسيس مع زجاجة خمر إلى الكنيسة ويأمر بضرب الناقوس (فإذا اجتمع النصارى للصلاة ووقفوا صفوفاً في الكنيسة)[8]، يصب القسيس (من خمر الزجاجة شيئاً)[9] في كأس من فضة ويجعل تلك الفطيرة في منديل نظيف

---

(١) في (أ): (كل من قال).

(٢) ساقطة من (ر). (٣) في (ر): (ضحكة).

(٤) يعلق «شارل جنيبير» على هذه الطقوس فيقول: (. . . وفي هذه الطقوس نرى ذكرى موت الإله والإيقان بفاعلية الموت في إنقاذ المؤمن ملازمان للفكرة الأساسية القديمة التي تقول بالمشاركة في الذات الإلهية بتشرب الإله، لذلك كان لا بد لفكرة التضحية بدورها من أن ترتبط بها وأن تتداخل في مراسمها. وكان لا بد لها من هذا لأن جميع ديانات البيئة التي تكونت فيها المسيحية تأخذ بمبدأ التضحية، ومن العسير القضاء على مفهوم بلغ مثل هذا المبلغ من الانتشار بين الناس. .).
ثم يخلص إلى القول: (ولقد قيل إن هذا التصوير للقربان إنما يعني إدخال «قطعة من الوثنية في الدين المسيحي» وعلينا أن نفهم من ذلك بطبيعة الحال أنها قطعة من «وثنية الأسرار»). انظر: المسيحية نشأتها وتطرها، لشار جنيبير ص ١٦١.

(٥) في (أ): (زاد الله في خزيهم وخذلانهم)، وفي (م): (زاد الله في خزيهم وضلالتهم).

(٦) ساقطة من (أ).

(٧) يتحدث المؤلف هنا عما كان يدور في زمنه ومجتمعه من هذه الطقوس وهناك خلاف ـ اليوم ـ بين الكنائس في شكلية العشاء الرباني فـ (لقد خالفت في بعض شأنه الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس، فالكنيسة الشرقية ترى أن العشاء الرباني لا يكون بالفطير بينما تراه الكنيسة اللاتينية، ووجد من أحرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة ويعتقدون أنها غير ممكنة في العقل ولا سائغة في الفكر). انظر: محاضرات في النصرانية، ص ٢٠٥.

(٨) في (أ): (فإذا اجتمعت النصارى ووقفوا صفوفاً في الكنيسة للصلاة يصب).

(٩) في (ر): (شيئاً من خمر الزجاجة).

ثم[1] يتقدم قدام الصفوف كلها ويستقبل المشرق ويأخذ الفطيرة في يد ويقرأ عليها ما نصه:

إلهنا[2] عيسى المسيح[3] ليلة أخذته اليهود أخذ الخبز[4] بيده المباركة ورفع عينيه إلى السماء إلى القادر على كل شيء بعد[5] التمجيد[6] الواجب فكسرها[7] وأطعم الحواريين كسرة كسرة وقال لهم: كلوا هذا جسدي. وحين يتم القسيس هذا الكلام يسجد بذاته لتلك الفطيرة محققاً أنها جسد عيسى وأن عيسى هو ابن الله ويقول/ في سجوده مخاطباً[8] الفطيرة: (أنت عيسى إلّه[9] السموات والأرض، أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلها، أنت[10] من أجل أنك تخلصنا من يد[11] الشيطان فسجدت[12] في بطن مريم، أنت الذي فتحت للذين آمنوا أبواب الجنة بعدما[13] غلبت [٢٧ أ]

---

(١) في (م): (ثم يتقد).

(٢) ساقطة من (أ) و (م).

(٣) من المفارقات الغريبة التي شغل بها الباحثون التوقيت الذي حصل فيه عشاء عيسى عليه السلام مع حواريين. يقول موريس بوكاي حول هذا الأمر: (.. ويلاحظ الأب روجي نفسه، أن عيد الفصح معين بشكل مختلف زمنياً بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير مع الحواريين في الأناجيل الثلاثة المتوافقة وفي الإنجيل الرابع يقول بوقوع هذا العشاء: (قبل عيد الفصح)، أما الأناجيل الأخرى فتقول: إنه حدث في أثناء عيد الفصح نفسه ويؤدي هذا التضارب فضلاً عن ذلك إلى أمور واضحة في عدم معقوليتها). دراسة الكتب المقدسة لبوكاي، ص ١١٧.

(٤) في (أ) و (م): (الفطيرة).

(٥) في (أ) و (م): (وبعد).

(٦) في (أ) و (م): (التحميد).

(٧) في (أ) و (م): (كسرها).

(٨) في الأصل: (للفطيرة)، وكذلك في بقية النسخ، والمثبت أصح.

(٩) في (أ): (أنت إلّه السموات).

(١٠) في (أ) و (م) ساقطة.

(١١) في (ر): (أيدي).

(١٢) في (أ) و (م): (بسجدة). وفي (ر): (تجسدت).

(١٣) في (أ) و (م): (غلبنا).

الشياطين، أنت هو الجالس على يمين أبيك في السماء أسألك[1] أن تغفر لي ولأمتك التي[2] خلصتها بدمك[3]).

ثم يظهر تلك الفطيرة لصفوف النصاري فيقع[4] جميعهم لها ساجدين ثم بعد ذلك يأخذ[5] كأس الخمر ويقول[6]: إلهنا المسيح قبل موته أخذ كأساً

---

(١) في الأصل: (نسألك)، والمثبت من (أ). (٢) في (أ) و(ر): (خلطتها).

(٣) هذا النص من النصوص المستحدثة في النصرانية، ولم يرد ذكره في أي من الأناجيل الأربعة بل هو مما اخترعته الكنيسة في أوقات متأخرة، وقد فرضت الكنيسة الاعتقاد بنظرية «التحول» أو «العشاء الرباني» فرضاً على الناس.
يقول الشيخ أبو زهرة: (... ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته وإلا عرّضوا للطرد والحرمان)... ثم يتساءل قائلاً: (وهل ورد هذا الأمر في الكتب المقدسة حتى يجب الأخذ به من غير تفسير أو تأويل؟ إنه أمر استقلت به الكنيسة وأعلنته وأيدته في أحد مجامعها غير معتمدة في ذلك على نص صريح من الكتب المقدسة عندهم). محاضرات في النصرانية، ص ٢٠٥.
وقد تقرر هذا المبدأ في المجمع الثاني عشر من المجامع القسطنطينية سنة ١٢١٥ كما ذكره نفس المصدر السابق ص ١٧٧.
وهكذا نرى أن هذه العبادة قد انتقلت إلى النصرانية نتيجة لاحتكاكها بالبيئة المحيطة بها (... وأدى الأمر إلى نتائج عملية وعقائدية تبلغ الدرجة الأولى من الأهمية ففي العبادات الشرقية الخاصة بالآلهة الذين يموتون ثم يبعثون نجد أن التركيز في الطقوس يتجه حيناً إلى الاحتفال بموت المنقذ ويذهب حيناً آخر إلى تمجيد بعثه ولكن الاهتمام على حد علمنا قلما كان يوزع بالتساوي بين المرحلتين من تاريخ الإله... وفي المسيحية الأولى مسيحية الاثنا عشر كان البعث يحتل المكانة الأولى لأنه بدأ ضماناً للأمل الأكبر، الأمل في عودة المسيح وفي إنشاء مملكة الله، فلما تأخر الظهور وأصبح تحقيق الأمل غير وشيك في تفكير الأتباع تطورت فكرة بعث السيد في الإيمان من ضمان لقرب حلول المملكة الموعودة إلى ضمان لبعث المؤمنين يوم القيامة وكان بولس السابق إلى ذلك في عقيدته).
انظر: رسالة إلى أهل كورنيثيا ١٥ : ١٢. راجع: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٦١.
وعيد الفصح من أهم الأعياد عند النصارى. راجع: قاموس الكتاب ص ٦٧٨ - ٦٨٠.

(٤) في (م) و(أ): (فيعقون).

(٥) ساقطة من (م). (٦) في (أ): (يقول لهم).

بالشراب[1] وأعطاه للحواريين وقال لهم[2]: اشربوا هذا دمي[3]، ثم يسجد[4] للكأس ويريه للنصارى فيسجدون له ثم يأكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر ويقرأ بعد ذلك ما تيسر[5] له من الإنجيل[6] ثم يعطي الدعاء ويتفرقون[7]).

فهذه هي[8] صلاتهم وقربانهم لعنهم الله يتلاعب[9] بهم الشيطان فنعوذ بالله من الخذلان[10].

---

(١) في (ر) و (م): (من شراب). (٢) ساقطة من (م).

(٣) لم يذكر إنجيل يوحنا حادثة العشاء الأخير مع التلاميذ إنما ذكره متى في ٢٦ :٢٦ ـ ٢٩ ومرقس ١٤ : ٢٢ ـ ٢٥ ولوقا ٢٢ : ١٩ ـ ٢٠، وكورنثوس الأولى ١١ : ٢٣ ـ ٢٥.
وبالمناسبة فقد (انتهى البروتستنت بالنسبة للعشاء الرباني إلى أنه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم وتحملت الخليقة من بعد وزرها وتذكار لمجيئه ليدين الناس، فهو تذكار للماضي والمستقبل كما جاء في بعض الرسائل وهم ينكرون أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه). راجع: محاضرات في النصرانية ص ٢٢٤.

(٤) في (أ) و (م): (ثم يسجد القسيس الملعون). (٥) ساقطة من (أ) و (م).

(٦) في (أ) و (م): (من إنجيله).

(٧) الجدير بالاعتبار أن الكنائس لا تعطي الشركة في العشاء الرباني إلا لأتباعها فقط، وإن كان الشخص من كنيسة أخرى فإنه يحرم منها.
يقول القس عبدالله صايغ: (وهذا ذكرني بقصة روتها لي مراسلة أمريكية تقية ربما تكون القصة حدثت معها هي وربما مع غيرها لا أعلم، والقصة هي: أن امرأة مؤمنة بالرب، وكان قد مضى عليها وقت لم تأخذ الشركة المقدسة، وحينما دخلت يوماً رأت المائدة معدة للشركة ففرحت في أعماق قلبها وازدادت الشهية الروحية في نفسها لأخذ شركة الرب ولكن لتعاسة حظها أن الموزعين للخبز والكأس على المجتمعين حادوا عنها ولم يعطوها لها، عندئذ سألتهم لماذا لم يعطوها؟ قالوا لها: لأنك لست من كنيستنا. فأجابت: معكم كل الحق بمنع الشركة عني لأن المائدة مائدتكم والشركة شركتكم أنتم وليست مائدة وشركة الرب ولو كانت مائدة الرب وشركته هو لما منعت أنا من الاشتراك فيها لأني ابنة الله). راجع: الوحدة أو الاتحاد المسيحي، القس عبدالله صايغ ص ٧٣.

(٨) في (أ) و (م) ساقطة. (٩) (أ) و (م): (فقد تلاعب).

(١٠) في (أ) و (م) بزيادة: (والطغيان).

القاعدة الخامسة: وهي الإقرار بجميع الذنوب للقسيس.

وصفة ذلك: اعلموا رحمكم الله أن[1] النصاري يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس وأن كل من يخفي[2] عنه ذنباً واحداً[3] فلا ينفعه إقراره، فهم في كل سنة عند صيامهم[4] يمشون إلى الكنيسة[5] ويقرون[6] بجميع ذنوبهم للقسيس الذي يقوم[7] بكل كنيسة وفي سائر أوقاتهم[8] لا يقر أحد بذنب[9] إلا إذا مرض وخاف الموت فإنه يبعث إلى [٢٧ ب] القسيس فيصل إليه ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له وهم لعنهم الله يعتقدون أن كل ذنب يغفره [10] القسيس فإنه مغفور[11] عند الله تعالى.

---

(١) ساقطة من (م).
(٢) في الأصل: (منه)، والمثبت من (م).
(٣) ساقطة من (أ) و (م).
(٤) ساقطة من (م)، ويرى كثير من المسيحيين أن الانتظام في الصوم والصلاة توجيه اختياري لا إجباري ومعنى الصوم عندهم الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خالٍ من الدسم.
ويشمل الصوم عند المسيحيين صوم يوم الأربعاء وهو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على عيسى ـ حسب زعمهم ـ ويوم الجمعة لأن المسيح صلى يوم الجمعة ـ كما يدعون ـ وصوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهي بعيد الميلاد والصوم المقدس وعدد أيامه ٥٥ يوماً وهي عبارة عن الأربعين يوماً التي صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعان: الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس والأسبوع الثاني أسبوع الآلام، ويأتي بعد الأربعين وينتهي بأحد القيامة، ويمتنع في هذا الصوم أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ويقتصر على أكل البقول ولا يعقد في أثنائه سر الزواج. وصيام الرسل وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف وتتراوح مدته بين ١٥ و ٤٩ يوماً وصوم العذراء ومدته ١٥ يوماً. المسيحية، د. شلبي ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٥) في (أ) و (م): (إلى الكنائس).
(٦) في (أ): (يقرؤن).
(٧) ساقطة من (ر).
(٨) في (أ) و (م): (وفي كل وقت).
(٩) في (م): (بذنبه).
(١٠) في (أ) و (م): (غفره).
(١١) في (ر): (مغفور له).

فمن أجل ذلك صار البابا[1] الذي يكون بمدينة رومة[2] وهو خليفة عيسى في الأرض بزعمهم يعطي[3] لمن شاء براءة[4] بغفران الذنوب والتسريح[5] من النار ودخول الجنة[6] ويأخذ على ذلك الأموال الجليلة

---

(١) في (م): (الباب)، والأصح البابا كما هو مثبت، وهو لقب أطلق على نائب المسيح ـ على حد تعبيرهم ـ الذي يرجع إليه في الأمور الدينية.
(يقول الأب بولس إلياس: لقد خول السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه: كما أرسلني الأب هكذا أنا أرسلكم وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعليم).. وعصمة الكنيسة هذه امتياز تنعم به هي والبابا رأسها نائب المسيح المنظور..
ويقول عبدالأحد: (إن المسيحيين عندما أثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة إلى إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام إلى حبر رومية الأعظم الجالس على كرسي الخلافة وأصبح حكمه قطعياً). انظر: المسيحية، د. أحمد شلبي ص ٢٣٣.

(٢) في (أ) و(م): (فهو). (٣) في (أ) و(م): (فيعطي).

(٤) في (أ): البراءة وفي (م): (البراءات).
والبراءة كما هو معروف في النصرانية تعني صك الغفران، ونص هذا الصك جاء كما يلي:
(ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك باستحقاقات الأمة الكلية القداسة وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك في شركة القديسين أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس). انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة. ص ٢٠٦.

(٥) في (ر): (التزحزح).

(٦) ولقد تطور هذا المبدأ الذي فرضته الكنيسة وأصبح ألعوبة في يد رجالها، يقول د. شلبي: (وأما غفران الذنوب فقد أصبح بدعة عجيبة فإذا أراد البابا أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما طبع صكوك الغفران ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس كالذين =

وكذا[1] يفعل في[2] كل من ينوب عنه في جميع أرض النصارى من القسيسين يعطون البراءات[3] بالمغفرة وإيجاب الجنة والنجاة من النار ويأخذ[4] النصارى[5] هذه البراءات بعد أن يعطوا عليها لمن يكتبها لهم المال الجزيل[6] فيخبؤنها[7] عندهم حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة[8] معه في كفنه واعتقادهم يقيناً أنهم يدخلون الجنة بتلك البراءات[9] وهذا من حيل القسيسين[10] على أخذ[11] الأموال من النصارى فيقال لهم: لأي شيء تصنعون هذا؟ ولم يأمركم به عيسى ولا هو منصوص في شيء من أناجيلكم ولا تجدون في كتبكم أن مريم أم عيسى[12] أو الحواريين وتلاميذ عيسى أقروا بذنب قط لعيسى الذي زعمتم أنه الله[13] وابن الله وهو أقرب على قولكم لمغفرة الذنوب من جميع القسيسين. ثم إن القسيس لا شك عندكم في أنه بشر مثلكم وربما

= يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب وبالصك فراغ ترك ليكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه، والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ما تقدم من الذنوب وما تأخر فهو بعبارة أخرى إذن بارتكاب كل الجرائر بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ. انظر: المسيحية، د. شلبي ص ٢٥٤.
وهذا من الأسباب التي دعت مارتن لوثر إلى إعلان ثورته على الكنيسة عام ١٥٢١ م والتي عرفت بثورة الإصلاح البروتستانتية ضد الكنيسة الكاثوليكية.

(١) في (ر) و (م): (كذلك).
(٢) ساقطة من (أ).
(٣) في (أ) و (م): (البراءة).
(٤) في (أ) و (م): (وتأخذ).
(٥) في (أ) و (م): (تلك).
(٦) في (أ) و (م): (الجليل).
(٧) في (أ) و (م): (فيحفظونها).
(٨) ساقطة من بقية النسخ.
(٩) في (أ) (م): (البراءة).
(١٠) في الأصل: (القسيس)، والمثبت من بقية النسخ.
(١١) في (أ) و (م): (أموال النصارى).
(١٢) في (م): (والحواريين).
(١٣) في (م): (إنه إله).

[٢٨ أ] تكون له ذنوب أكثر من ذنوبكم[١] لا سيما تكفيركم[٢] برأيه وإضلالكم فمن هو الذي يغفر له ذنوبه؟ ولكنكم أنتم قوم عمي وقسيسكم أشد عمي منكم، والأعمى إذا قاد أعمى وقعا (معاً في المهالك)[٣]، وكذلك تقعون مع قسيسكم في نار جهنم خالدين أبداً[٤]، لأن المغفرة لذنوبكم مع كفركم

---

(١) إن إعطاء الكنيسة الحرية للقساوسة والبابوات في ممارسة السلطة على الناس جعلت من هؤلاء أمثلة ونماذج لبؤر الفساد، وقد كتب الكثير من العلماء حول ممارسات القساوسة وأعمالهم المرذولة، ومنها ما جاء في الكتاب القيم «تاريخ الفحشاء» الذي أفرد صاحبه فصولاً كثيرة للحديث عن فحش البابوات وفسوقهم، ومما قاله في هذا الصدد: (إن كل نقيصة ورذيلة يمكن للعقل أن يتصورها قد انتهكها الذين زعموا أنهم نواب المسيح، أو كما يعتقد النصارى نواب الله على هذه الأرض.. فالسرقة والاضطهاد والقتل والزناء والفحش والزناء بالأقارب المحارم وما يخجل منه القلم ويحمر منه الجبين كل ذلك قد ارتكبه هؤلاء الحكام المتعالون بالنصرانية الذين جلسوا على مركز العصمة وادعوا القوة الشرعية وما تسلطهم على عقول الشعوب النصرانية إلا مكر منهم ومن البابوات القدماء لجلب الدنيا إلى هؤلاء الرؤساء).
وقد أورد كثيراً من قصصهم مع ذكر الشواهد عليها، راجع تاريخ الفحشاء، عبدالكريم التنير، ص ١٦٥.
كما قام الأستاذ الطهطاوي بسرد قصص الرهبان والراهبات والعلاقات فيما بينهم، والتي نحجم عن ذكرها لبشاعتها وفسادها، راجع: النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، ص ١٨٢.
ومثل هذه الذنوب التي يرتكبها بعض رجال الدين المسيحي كفيل بانتشار الفساد في المجتمع، ويرجع السبب في ذلك إلى تحريم الزواج على القسس والرهبان، ويضاف إليه مبدأ غفران الذنوب، الذي يمنح القسس فرصة للتعرف على خطايا الناس وهذا بدوره يشكل وسيلة ضغط على المجتمع، ومن ثَم يصبح تنفيذ مأرب القسس سهلاً.
كما أشار د. شلبي في كتابه المسيحية ص ٢٤٦ - ٢٥١ إلى هذه المواضيع ونقل نصوصاً من كتب النصارى تشير إلى تلك المخازي التي ترتكب من قبل القسس والرهبان.

(٢) في (ر): (بذلك). وفي (م): (لرأيه). (٣) في (م): (جميعاً في الهلاك).

(٤) كما قلنا في السابق فإن «الإنجيليين» من المسيحيين لا يعتقدون بجدوى مبدأ غفران الذنوب، ولهذا وجه القس عبدالله صايغ نقداً للذين يعتنقونه حيث قال: (والأمر الغريب بموضوع المغفرة للخاطىء هو أنه بواسطة تلاوة آيات كنسية مرات معينة يمكنه =

وإشراككم قد (قطع الله رجاءكم)[1] منها بقوله الصادق في كتابه العزيز[2]: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾[3]. فإذا كانت مغفرته لكم محالاً بخبره[4] الصادق فمغفرة القسيس[5] أشد[6] من المحال وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده منكم واستهزائه[7] بكم ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾[8].

= أن يحصل على مغفرة محدودة لأيام أو لأشهر أو لسنين أو لمدى الحياة وذلك على قياس عدد التلاوات للآيات. والحقيقة أن اعتقاداً كهذا هو استخفاف بالخطيئة وجرمها، وكراهة الله لها، لأن نوال الإنسان الخاطىء للخلاص من الخطيئة بسهولة... بواسطة إنسان نظيره يخالف قول «الرسول» بطرس عن المسيح: (وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص) أعمال ٤: ١٢. (وهكذا نرى أن هذا المبدأ منتقد من قبل النصارى أنفسهم) راجع: الوحدة أو الاتحاد، ص ٣٥ وما بعدها.

(١) في (أ) و (م): (وصلكم منها).

(٢) في الأصل: (الصادق)، والمثبت من (أ) و (م).

(٣) ساقطة من الأصل و(ر)، والمثبت من (أ) و (م): وتمام الآية: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾. (النساء: الآية ٤٨).

(٤) في (ر): (بخبر).

(٥) في (أ): (القسيس لكم) وفي (م): (القسيسين لكم).

(٦) في الأصل وبقية النسخ: (في المحال)، والمثبت من (أ).

(٧) في (أ) و(م): (استهزائه).

(٨) تمام الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (آل عمران: الآية ١٣٥).
وفي (أ) و(م): (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).
والآية المتقدمة من سورة آل عمران تظهر طبيعة التوبة في الإسلام، فهي في مفهومها تختلف عن الاعتراف في النصرانية، والذي يؤدى أمام القسيس تمهيداً للمغفرة فإن هذا المفهوم غير موجود في الإسلام.
فلقد (أمر الله تعالى المؤمنين أن يتوبوا إليه من ذنوبهم ومخالفاتهم قبل أن يأتي عليهم (يوم الحساب) ليمروا على الصراط آمنين سالمين فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا =

الباب الرابع:

في عقيدة شريعتهم[١]

وجميع النصارى متمسكون بها إلى اليوم[٢] ولا يتركها إلا القليل[٣] منهم وهي كلها[٤] كفر[٥] ومحال (ينقض بعضها بعضاً)[٦] وكان الذي ألفها لهم رجل من قدماء كفرتهم[٧] يقال له بيطر [٨] الصفا من أهل مدينة[٩]

= إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. . .﴾.

أي: ليتب كل مؤمن منكم من ذنوبه التي صدرت منه وذلك بأن يقلع عن ذنوبه ويندم من قبله على فعلها أيضاً ويعزم على أن لا يعود إليها، وإن كان ذلك الذنب مما يتعلق بحقوق المخلوقات فليفهم حقهم أو يسمحوا عنه وبذلك تكون توبة نصوحاً). انظر: الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، لعبدالله سراج الدين، ص ٤٠٢.

وهكذا نرى الفرق جلياً بين الإسلام والنصرانية، فالله تعالى لم يجعل وسيطاً بينه وبين خلقه بل جعل ذلك علاقة خاصة بين الله والعباد.

(١) في (أ) و(م) بزيادة: (لعنهم الله). وقول المؤلف: (في عقيدة شريعتهم) أي الآراء والمذاهب التي يدينون بها، وليس من مقصود المؤلف أن يتكلم عن شريعتهم من حيث احكام الفرائض بل ما يؤمنون به من آراء عقدية.

(٢) في (أ) و(م): (إلى يوم القيامة).

(٣) في الأصل و(ر): (إلا قليل)، والمثبت من (أ).

(٤) ساقطة من (أ).

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) في الأصل: (ينقض بعضه بعضاً)، والمثبت من (أ).

(٧) في (أ) و(م): (كفارهم).

(٨) وردت ترجمته في ص ١٢٢.

(٩) في (م): (رومية)، وربما قصد المؤلف من قوله: إن بطرس الصفا كان من أهل رومية أي أنه مكث فيها مدة طويلة حتى اتخذها مركزاً لإقامته الدائمة لنشر تعاليمه وكتبه. . ونقول هذا حتى نجمع بين ما تذكره المصادر من أن «بطرس» كان تلميذاً للمسيح وكان صياداً وهو من بيت صيدا، وبين ما ذكره المؤلف من أنه من مدينة رومة. . .

رومة، وهذا نصها: (نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع (ما يُرى وما لا يُرى)[1] ونؤمن بالرب[2] المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها ولد من أبيه قبل العوالم[3] (ليس بمصنوع، إلّه حق من إلّه حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها)[4]، وهو خالق كل شيء، الذي من أجلنا[5] معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل / من السماء وتجسد من الروح [٢٨ ب] القدس وصار إنساناً، وحمل[6] به وولد من مريم البتول[7]، فأوجع وأولم، وصلب في أيام بيلاطوس[8] الملك، ودفن[9] وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب[10] بذلك الأنبياء..).

وكذب الكافر على الأنبياء[11] وحاشاهم أن يقولوا مثل هـذا الكفر المحال.

---

(١) في الأصل: (ما يرا وما لا يرا)، وهو خطأ والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في (أ) و (م): (بالرب الواحد).

(٣) في (أ) و(م): (قبل العوالم كلها). (٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) و (م).

(٥) في (ر): (جعلنا). (٦) ساقطة من (أ) و (م).

(٧) (البتول: من النساء المنقطعة عن الأزواج وقيل: هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا). مختار الصحاح، ص ٤٠.

(٨) في (أ) و(م): (بالاطوس)، ويعتقد النصارى أن بيلاطس هو الذي تمت على يديه محاكمة المسيح كما يزعمون، وقد ترجموا له كالتالي: بيلاطوس: ويلقب بالبنطي باللاتينية (نيطيوس) وهو والٍ أقامته الحكومة الرومانية نائباً أو حاكماً على اليهودية في سنة ٢٩ مسيحية، واستمر حكمه إلى بضع سنين بعد المسيح،.. وأيام حكومته لم تكن مرضية لأنه كان قاسياً جداً غير مهتم إلا بمنافعه الشخصية، وفضلاً عن ذلك فهو الذي سلم السيد المسيح لليهود ـ بحسب اعتقادهم ـ مع أنه اعترف ببراءته وعدم اقترافه جرماً يوجب تسليمه لهم، وما ذلك إلا لعدم اكتراثه بصالح المسكين والغريب.
ويرجح أن إجابة بيلاطس طلب اليهود كان لغاية المحافظة على مركزه وقد أقيل من وظيفته لقسوته وقد نفي إلى فرنسا ومات هناك ويقول البعض إنه مات منتحراً). انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٨.

(٩) في (م): (مات).

(١٠) في (أ) و(م): (أخبرت بذلك كتب الأنبياء).

(١١) في (أ) و (م): (وكذب الملعون على الأنبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين).

(ثم صعد إلى السماء وجلس عن[1] يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات[2] والأحياء ونؤمن بالروح[3] القدس الذي يخرج من الأب والابن وبه[4] كان يتكلم الأنبياء وأن التغطيس هو غفران الذنوب ونؤمن بقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين)[5].

وهذا الكلام رحمكم الله ينقض[6] بعضه بعضاً. فأوله: نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى ونؤمن بالرب الواحد المسيح إله[7] حق من إله حق من جوهر أبيه. (ففي أول الكلام)[8] الشهادة لله بأنه

---

(١) في الأصل: (على)، والمثبت من بقية النسخ. (٢) في (ر): (بين الموتى).

(٣) في (أ) و(م): (بروح). (٤) في (أ) و(م): (كانت تتكلم).

(٥) نقل الإمام الشهرستاني نصاً قريباً مما أورده المؤلف حيث قال: ولما قال آريوس: القديم هو الله والمسيح مخلوق، اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً واتفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودعوة وذلك قولهم: (نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين). الملل والنحل للشهرستاني ٣/٣٥ - ٣٦.

وقد شرح الإمام ابن تيمية بعضاً من نصوص هذا القانون والذي يسمى اليوم بقانون إيمان الرسل والذي سبق الإشارة إليه. انظر: الجواب الصحيح ٢/١١٧، وكذلك الإمام ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ص ٦١٨/٦١٩ وقد أسنده إلى مجمع نيقية. انظر ص ٦٤٩ نفس المصدر السابق. وهناك نصوص كثيرة لهذا القانون وردت بألفاظ مختلفة عما نقله المؤلف. انظر: كتاب أقانيم النصارى ص ٥٩؛ وكتاب «يا أهل الكتاب» ص ٢٢٥ - ٢٢٦. (٦) في (ر): (يناقض).

(٧) ساقطة من (أ) و(م). (٨) في (أ) و(م): (ففي أول كلامه).

واحد وفيما يليه الشهادة عليه تعالى[1] بأن له ولداً[2] وهو إله[3] مثله وأنه من[4] جوهره، وهذا[5] غاية الكفر والشرك وفي غاية الضد والتناقض لوحدانية الله الواحد الأحد الصمد[6] تبارك الله وتقدس عن كفرهم، وقد قال في أول كلامه: إن الله خالق كل شيء، ثم قال: فيما بعده ونؤمن[7] بأن المسيح خالق الأشياء [٢٩ أ] كلها الذي بيده أتقنت[8] العوالم، وأثبت[9] أن مع الله خالقاً[10] لكل شيء

---

(١) ساقطة من (ر).

(٢) في الأصل: (ولد)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ر): (وأنه مثله).

(٤) يرد الإمام ابن تيمية على مزاعم النصارى فيقول: (. . . وهذا تصريح بالإيمان بإلهين أحدهما من الآخر، وعلم الله القائم به الذي سميتموه ابناً ولم يسم أحد من الرسل لصفة الله ابناً ليس هو إله حق من إله حق، بل إله واحد، وهذا صفة الإله وصفة الإله ليست بإله كما أن قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بآلهة، ولأن الإله واحد وصفاته متعددة والإله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها، والصفة قائمة بالموصوف ولأنكم سميتم الإله جوهراً وقلتم: هو القائم بنفسه، والصفة ليست جوهراً قائماً بنفسه.

وهم في هذه الأمانة ـ أي: قانون الإيمان ـ قد جعلوا لله والداً وهو الأب ومولوداً وهو الابن وجعلوه مساوياً له في الجوهر، وقد نزه الله نفسه عن الأنواع الثلاثة فقالوا: مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر فصرحوا بأنه مساوٍ له في الجوهر والمساوي ليس هو المساوى، ولا يساوي الأب في الجوهر إلا جوهر، فوجب أن يكون الأب جوهراً ثانياً وروح القدس جوهراً ثالثاً. . . وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر وثلاثة آلهة.

ويقولون مع ذلك إنما نثبت جوهراً واحداً وإلهاً واحداً، وهذا جمع بين النقيضين، فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً وإثبات ثلاثة آلهة وبين إثبات جوهر واحد، وبين إثبات ثلاثة جواهر، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ (الأخلاص). راجع: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/١١٧.

(٥) في (أ): (في غاية).

(٦) في (أ) و(م): (الفرد الصمد).

(٧) في (أ): (أن).

(٨) ساقطة من الأصل و(م).

(٩) في (م): (فأثبت).

(١٠) في (م): (إلهاً خالقاً).

وهذا من أفضح التناقض[1] وكذلك قوله: إن الله صانـع ما يـرى وما لا يرى،[2] فدخل فيه المسيح لأنه بالضرورة (مما يرى أو مما لا يرى)[3] ثم عقب على[4] ذلك بقوله: (إن المسيح خالق كل شيء وإنه غير مصنوع)[5] وهذا تناقض ورعونة[6] لو ميزتها[7] البهائم لأنكرتها على النصارى فنعوذ بالله من الخذلان (واستحواذ الشيطان فإنه تلاعب بهم كيف أراد وقادهم إلى جهنم وبئس المهاد)[8].

وقد قال هذا اللعين إن المسيح خالق كل شيء، ثم قال ولد من أبيه قبل العوالم وهو بكر[9] الخلائق كلها فمتى خلق كل شيء؟ قبل[10] ميلاده وهو

---

(١) وقع النصارى في التناقض نتيجة اختلاف آرائهم وتعدد مذاهبهم كما أن هذا القانون صيغ على فترات ومراحل متعددة، فمجمـع نيقية كـان مرحلة من مـراحله ثم مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م، ثم مجمع أفسس سنة ٤٣١ م، وفي كل مرحلة يزاد على النص ما يتفقون عليه من آراء كانت تأخذ منهم جدلاً طويلاً. راجع: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) في (أ): (دخل).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (م).

(٤) جميع النسخ: (عقب ذلك)، وما أثبتناه أصح.

(٥) رد الإمام ابن تيمية على النصارى لقولهم إن المسيح خالق كل شيء بقوله: (والنصارى يقولون: إن المسيح رب العالمين خالق كل شيء وهو خالق آدم ومريم وإن كان ابن آدم ومريم فإنه خالق ذلك بلاهوته ، وهو ابن آدم ومريم بناسوته، فلو قدر أن المسيح هو صفة الرب لم تكن الصفة هي الخالق فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها بل هو مخلوق بكلمة الله، وسمي كلمة الله لأن الله كونه (بكن) وقال تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (مريم: الآية ٣٤). انظر: الجواب الصحيح ١٧٥/٢.

(٦) الـرعونـة: الحمق والاسترخاء، ورجل «أرعن» وامرأة «رعناء» بينـا الرعـونة. مختـار الصحاح، ص ٢٤٨.

(٧) في (ر): في الهامش يوجد التعليق التالي: (تأمل هذه العبارة وراجعها).

(٨) ساقطة من (ر).

(٩) من الملاحظ أن النصارى مرة يعترفون بالله الواحد ومرة يشركون معه آلهة أخرى، وهم في تنقلهم من التوحيد إلى التثليث إنما يتخبطون في عقائدهم ولا يحصدون شيئاً . . . =

عدم؟ أم بعد ميلاده[1] وهو صبي[2] رضيع؟ ومن كان يدبر السموات والأرض ومن فيهما[3] وما بينهما قبل ميلاده وإيجاده؟[4] وكيف يكون بكر الخلائق (وهو الخالق لجميعها[5] بزعم هذا الكافر[6] لأن معنى قوله: بكر الخلائق أي)[7] أول ما وجد منها.

وشريعة النصارى مبنية[8] على هذا التناقض والمحال لأنهم مجمعون على أن المسيح أزلي[9] خالق قديم ولد[10] من بطن مريم بعد حملها به،

= وقد أشار الشيخ أبو زهرة إلى هذا فقال: إنهم يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ولكن عند هذه المحاولة تستغلق فكرة التثليث وتصير بعيدة عن التصور كما هي في ذاتها مستحيلة التصديق.

وإن كتّابهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور عند هذه المحاولة، لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث فنرى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث يقول: (في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية) ويعلق الشيخ قائلاً: أي أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة وذلك حق فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يحاسبهم الله عليها)، اهـ. محاضرات في النصرانية، ص ١٢٢.

هذا الانغلاق الفكري والتعسف في فهم الحقيقة يجعل الناس في حيرة. يقول المرحوم د. عبدالحليم محمود: (. . . ولقد سمعت مرة ـ وكدت لا أصدق أذني ـ بطريك أقباط مصر عند تتويجه يقول عن السيد المسيح عليه السلام ـ يجلس عن يمين أبيه على العرش وهما واحد) أهذا قول عاقل؟ وسمعته في حفلة تتويجه يقول على السيد المسيح أيضاً (مولود غير مخلوق) أهذا قول عاقل، ويقول القديس أوغسطين مبرراً كل هذا اللامفهوم بلا مفهوم جديد أؤمن بالمسيحية لأنها دين غير معقول)، وإنه لحقيقة دين غير معقول.

انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شار جنيبير ص ٩

(١٠) في (أ): (أقبل). (١) في (م): (أم بعده).

(٢) ساقطة من (ر). (٣) في الأصل: (أو ما)، والمثبت من (أ).

(٤) الواو ساقطة من (أ).

(٥) في (أ) و(م): (لجميعهما). (٦) في (أ) و(م): (الكافر الملعون).

(٧) الجملة ما بين القوسين ساقطة من (ر). (٨) في (م): (بنيت).

(٩) في (ر): (خالق أزلي). (١٠) في (أ): (مولود) وفي(ر): (وأنه مولود).

وبهذا[١] كله قد جعلهم الله تعالى[٢] أضحوكة لجميع العقلاء[٣] العارفين وقرة لعيون الشياطين.

[٢٩ ب] وانظروا قول[٤] هذا الخبيث/ إن المسيح إلّه حق من جوهر أبيه ثم قال: إنه نزل من السماء فتجسد[٥] في بطن مريم[٦] وهذا صريح في أن[٧] المسيح كان جسداً[٨] من جوهر في السماء ثم نزل منها فتجسد[٩] وليس في تجسد الأجسام والجواهر عجب وإنما العجب أن يتجسد[١٠] من ليس بجسد ولا جوهر[١١]، ويتعالى[١٢] ربنا خالق الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكون منه المسيح، وأن يتجزأ أجزاء[١٣] يستقر منها جزء في بطن مريم مختلطاً بدمها وبولها وروثها[١٤]، فما أعظم[١٥] جرأة هؤلاء الكفرة على الله[١٦] وما

(١) في الأصل: (وهذا)، والمثبت من (ر). (٢) ساقطة من (أ).
(٣) ساقطة من (ر).
(٤) في (م): (إلى قول هذا الخبيث الملعون). وفي (أ): (قول الخبيث الملعون).
(٥) في (م): (فتجد). (٦) في (م): (مريم أمه).
(٧) في الأصل: (بأن)، والمثبت من بقية النسخ.
(٨) في (ر): (جسماً). (٩) في (أ) و (م): (فتجسد هذا).
(١٠) في (ر): (تجسد).
(١١) في (أ) و (م): (بجوهر ولا جسد) وفي (ر): (بجسم ولا عرض).
(١٢) في (أ) و (م): (تعالى).
(١٣) وحول هذا الموضوع يقول الإمام الجويني: (لو اتحدت الكلمة بالناسوت العام الجامع ـ والناسوت العام شامل للجزئيات ـ فيجب من ذلك أن يكون كل جزئي مسيحاً أو لا يكون كل جزئي مسيحاً، إذ الإنسان الكلي لا يختص بجزء ولا يستقل الإنسان الكلي بنفسه دون الجزئيات فيلزم من طرد ذلك أحد أمرين، أحدهما: أن كل ما له كل جزء من حيث تعلق ذكر الكلي به، إذ لا يثبت الثابت إلا لكل الجزئيات معاً فبطل ما قالوه من كل وجه ولم يبق لتمويهاتهم معنى). انظر: الشامل في أصول الدين للإمام الجويني، ت: علي سامي النشار، ص ٦٠٤.
(١٤) ساقطة من (م).
(١٥) في (أ): (جراءة)، وفي الأصل: (جرءة)، والمثبت من (ر).
(١٦) في (م): (الله تعالى).

أعظم حلم الله عليهم. والحمد[1] لله الذي عافانا[2] مما ابتلاهم[3].

واعلموا أن في نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة وجميع عقائد كفرهم في المسيح وهو ما قال[4] لوقا في الفصل الرابع عشر من قصص الحواريين قال[5]: (إن الله هو خالق العوالم بجميع ما فيها وهو رب السموات والأرض لا يسكن الهياكم التي طينتها[6] الأيدي ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء لأنه هو الذي أعطى للناس[7] الهياكل والنفوس وجميع ما هم فيه[8]، فوجودنا[9] به وحياتنا منه)[10] وهذا الذي قاله لوقا هو[11] الذي نزلت به كتب[12] الله ونطقت به أنبياؤه[13] عليهم السلام[14]، فقد تبين أن

---

(١) في (أ) و (م): (فالحمد لله).

(٢) بقية النسخ: (عافاني).

(٣) في (أ): (مما ابتلاهم به).

(٤) في (أ) و (م) و (ر): (فإنه قال).

(٥) في (م): (فإنه قال).

(٦) بقية النسخ: (طبعتها).

(٧) في (ر): (الناس).

(٨) في (أ): (ما هم فيه موجود).

(٩) في (م): (موجود بإذنه).

(١٠) هذا النص موجود في أعمال الرسل كالتالي: (لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي كما يقول النبي: السماء كرسي لي والأرض موطىء لقدمي أي بيت تبنون لي يقول الرب وأي مكان راحتي أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها) أعمال ٧: ٤٨ - ٥٠.

(١١) في (ر): (وهو).

(١٢) في الأصل: (كتاب الله)، والمثبت من (أ) و (ر).
الكتب التي تلقاها النصارى وصلت إليهم صحيحة إلا أن الأيدي حرفتها وزورتها، ولم يبق منها ما يمكن الاعتماد عليه وقول المؤلف: (وهو الذي قاله لوقا هو الذي نزلت به كتب الله..) مبني على أن مما يناقض قول النصارى في زعمهم بألوهية المسيح ما جاء في إنجيل لوقا الذي يؤمن النصارى به والذي صرح بوحدانية الله تعالى التي جاءت بها كتب الله ونطق بها أنبياؤه عليهم السلام، وأن كتبهم رغم تحريفها وتزييفها لا تستطيع أن تخفي الحق، كما أن العهد القديم الذي يؤمن بقدسيته النصارى ويحترمونه فيه من النصوص ما يدل على التوحيد وليس هناك ما يشير إلى التثليث.
ومهما حاول النصارى التوفيق بين التوحيد والتثليث فإن النصوص التوراتية لا تساعدهم كما أن محاولاتهم دائماً تبوء بالفشل لأن العبارات الواردة في تلك النصوص لا يمكن أن تحتمل أي تفسير يخرجها عن المعنى الحقيقي. =

= فمن ذلك ما جاء في سفر الخروج : (ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى، أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً، أذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه، أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك) سفر الخروج ٢٠ : ١ - ١٦.

هذه الوصايا مع ما فيها من صفات لا تليق بذات الخالق ومع ما فيها من تعطيل إلا أن في بدايتها ما يدل على التوحيد وعدم اتخاذ الشريك مع الله، ومع ذلك فقد أبت عقول النصارى إلا أن تجعل مع الله آلهة أخرى عكس ما قررته الوصايا العشر آنفة الذكر والتي يتمسك بها النصارى. وقد أطلق اليهود عليها هذا الاسم لأنه جاء في سفر الخروج ٣٤ : ٢٧ (أن موسى عليه السلام كتب على اللوحين كلمات العهد العشر، واللوحان المشار إليها هما لوحا العهد اللذان كتبت عليهما الوصايا، وقد حملهما موسى ونزل بهما ولكنه حينما رأى اليهود يرقصون حول العجل الذهبي ألقى بهما فتحطما فمكث عند ربه أربعين نهاراً وأربعين ليلة. . عاد بعدها بلوحين جديدين وقد وضع هذان اللوحان فيما بعد في تابوت العهد ولا يعرف ماذا حدث لهما) حسبما جاء في التقاليد الدينية اليهودية. . . وعدد الوصايا أكثر من عشر وهي توجد في أكثر من صيغة. انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. عبدالوهاب محمد المسيري، ص ٤٣١.

(١٣) دعوة الرسل عليهم السلام واحدة لأنها أوحيت إليهم من مصدر واحد هو الله تعالى، وكانت الوحدانية هي مضمون رسالتهم جميعاً، وبها جاء الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وموسى وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان =

[٣٠ أ]

عقائد النصارى كلها كفر[١] ومحال ركيك وتناقض / قبيح لم يأخذوها عن[٢] كتب الله[٣] ولا عن أنبيائه وإنما قلدوا[٤] فيها دعاوى باطلة وأهواء كاذبة مهدها لهم كل كافر[٥] أثيم، ويقال لهم: إن هذه العقيدة[٦] التي لا اختلاف فيها بين جماهيركم[٧] وإن لم تكونوا نسبتموها لكتاب ولا لنبي[٨] فأخبرونا[٩] عنها، هل هي كلها حق[١٠] أو كلها باطل؟ وإن قالوا: بعضها حق وبعضها باطل، فقد أبطلوا بعضها وكفروا به. لأن الباطل (لا يدان الله به)[١١]. وإن قالوا: كلها حق، فقد اعترفوا فيها[١٢] بأن المسيح مخلوق مولود وأن الله تعالى خالقه وخالق جميع ما يرى وما لا يرى ثم قالوا: إن المسيح إله خالق لكل[١٣] شيء وما ظهر (فيه هذا)[١٤] التناقض الفاضح[١٥] الشنيع لا يكون حقاً أبداً.

= وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: الآية ١٦٣ - ١٦٥).

(١٤) في (ر): (عليهم الصلاة والسلام).

(١) في (ر) و (م): (كفر مفتعل). (٢) في (م): (من كتب).

(٣) في الأصل: (كتاب الله)، والمثبت من (أ) و (ر).

(٤) في الأصل: (قيدوا)، والأصح ما أثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ر) و (م): (كل كفار أثيم). (٦) في (ر): (هذه العقائد).

(٧) في (أ) و (م): (جماهيركم فيها). (٨) في الأصل: (ولا نبي)، والمثبت من (أ).

(٩) في (أ) و(م): (أخبرونا).

(١٠) بيّن الإمام ابن حزم بطلان ادعاءت النصارى وفساد عقائدهم وأشار إلى الاختلافات الكثيرة والتناقضات الحاصلة في أناجيلهم، وأثبت أنها ليست على حق وشدد على أن نقل الأخبار الصحيحة لا بد من تواترها، كما أنها لا تصح إلا بنقل كافة عن مثلها ممن شاهد ذلك ظاهراً، وقد توسع في رده على النصارى خاصة فيما يتعلق بهذه النقطة. انظر: الفصل لابن حزم ٢/٧٦.

(١١) في (م): (لا يدان به). (١٢) في (أ) ساقطة.

(١٣) في (أ) و (م): (كل). (١٤) ساقطة من (م).

(١٥) في (أ) و(م): (الشنيع الفاضح).

(وقولهم في المسيح إنه[1] من جوهر أبيه وإله[2] مثله)[3] يقتضي المماثلة ولا بد، فما الذي صيّر أحدهما أباً والآخر ابناً[4]؟ وما الذي خصص[5] هذا بالأبوة وهذا بالبنوة دون تعاكس[6].

فنسأل الله ربنا العظيم[7] كمال العافية من حالهم ومآلهم. . .

---

(١) في (م): (إله). (٢) في (أ): (وإله دون مثله).

(٣) الجملة ما بين القوسين جاءت في (ر) كالتالي: (وقولهم المسح إله من جوهر أبيه وإنه مثله).

(٤) ساقطة من (أ). (٥) في (م): (خص).

(٦) الله تعالى المتصف بصفات الكمال دون غيره والمنزه عن كل نقص هو الذي يخصص بإرادته جميع الأشياء الممكنة وليس لأحد من خلقه أن يتصف بهذه الصفة، وعيسى عليه السلام بشر لا يضر ولا ينفع وليست له أي صفة تجعله فوق البشر إلا ما أيده الله تعالى به من المعجزات تصديقاً لنبوته وتأييداً له، وذلك أيضاً كبقية الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

ولهذا رد المؤلف على النصارى بقوله: (وقولهم في المسيح إله من جوهر أبيه يقتضي المماثلة ولا بد، فما الذي صيّر أحدهما «أباً» والآخر «ابناً»؟ وما الذي خص هذا بالأبوة وهذا بالبنوة؟ . .) إلخ.

ومعلوم لدينا أنه لا يمكن أن يخصص هذا «الأب» وهذا «الابن» إلا إرادة واحدة وقوة واحدة أوجدتهما وعند ذلك يصبح «الأب» و«الابن» من الممكنات، وهذا محال.

وإن رد النصارى بأنهما منذ الأزل إلهين يمكن الرد عليهم بما قاله الإمام الرازي في لباب الإشارات حيث يقول (. . إن حصل شيئان واجبا الوجود فلا بد أن يشتركا في الوجوب ويتباينا بالتعيين، وما به المشاركة غير ما به الممايزة، فيتركب كل واحد منهما عن الوجوب الذي به يشارك الآخر والتعيين الذي به يباين الآخر. . فكل واحد منهما مركب وكل مركب فإنه يفتقر إلى جزئه وجزؤه غيره «فكلٍّ مركب» فإنه مفتقر إلى غيره وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته، فكل مركب فهو ممكن لذاته، فإذا لا شيء واجب بذاته بمركب، فإذاً ليس في الوجود إلا واجب واحد). انظر: لباب الإشارات، للإمام الرازي ص ٨٩؛ ويراجع كتاب الوحدانية، د. بركات عبدالفتاح دويدار ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٧) ساقطة من (م).

الباب الخامس

في بيان أن عيسى ليس بإله وإنما هو بشر آدمي مخلوق[1] ونبي مرسل عليه السلام[2]

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كل[3] ما ذكرنا[4] من عقيدة[5] النصارى وكفرهم في قولهم: إن المسيح هو الله وابن الله، وإنه خالق المخلوقات، [٣٠ ب] يرده[6] ويبطله ما قاله الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، فقال[7] متى في الفصل الأول من إنجيله: (هذا[8] كتاب نسب المسيح: هو ابن داود بن إبراهيم[9]) وهذا إقرار بأن عيسى مولود تناسل من ذرية داود النبي عليه

---

(١) الواو ساقطة من (م).

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) في الأصل: (كلما)، والمثبت من (أ).

(٤) في (ر): (ذكرناه).

(٥) في (أ) و (م): (من عقائد).

(٦) ساقطة من (ر).

(٧) في (أ): (فقد قال).

(٨) في (م) و (أ): (هذه نسبة).

(٩) ورد هذا النص كالتالي: (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم، إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا، ويهوذا ولد فارص، وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحضرون ولد آرام، وآرام ولد عمينا داب، وعمينا داب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسى، ويسى ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا، وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيا، وأبيا ولد آسا، وآسا ولد يهوشافاط، ويهوشافاط ولد يورام، ويورام ولد عزيا، وعزيا ولد يوثام، ويوثام ولد آحاز، وآحاز ولد حزقيا، وحزقيا، ولد منسى، ومنسى ولد آمون، وآمون ولد يوشيا، ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل وبعد سبي بابل، يكنيا ولد شالتئيل، وشالتئيل ولد زربابل، =

= وزربابل ولد أبيهود، وأبيهود ولد الياقيم، والياقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد أخيم، وأخيم ولد اليود، واليود ولد اليعازر واليعازر ولد متان، ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً). انظر: متى ١: ١ - ١٨.

أما نص لوقا الذي يختلف عنه فقد جاء كالتالي: (ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما يُظن ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجاي بن ماث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شالتيئيل بن نيرى بن ملكي بن أدي بن قصم بن المودام بن عير بن يوسى بن اليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله). لوقا ٣: ٢٣ - ٣٨.

ويعذرنا القارىء لهذا النقل الطويل من الإنجيلين والسبب يرجع إلى أن العلماء قديماً وحديثاً نقدوا ما جاء فيهما، فالإمام ابن حزم قد نقد ما فيهما من تباين واختلاف وذلك في كتابه الفصل ٢/٢٨ - ٢٩، وكذلك الإمام ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ص ٥٨٨.

وقد لخص الشيخ رحمة الله الهندي الانتقادات الموجهة إلى النصين كالتالي:

١ - يعلم من متى أنه (ابن) يوسف بن يعقوب ومن لوقا أنه ابن هالي.

٢ - يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣ - يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤ - يعلم من متى أن شلتائيل بن يوخانيا (يكنيا) ويعلم من لوقا أنه ابن نيري.

٥ - يعلم من متى أن اسم ابن زوربابل ابيهود ومن لوقا أن اسما ريسا. والعجب أن أسماء بني زوربابل مكتوبة في الباب الثالث من السفر من أخبار الأيام وليس فيها أبيهود ولا ريسا فالحق أن كلاً منهما غلط. =

السلام، وداود من سبط يهوذا[1] بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم

= ٦ ـ من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً على ما بين متى وواحد وأربعون جيلاً على ما بين لوقا. ولما كان بين داود والمسيح مدة ألف سنة فعلى الأول يكون في مقابلة كل جيل أربعون سنة وعلى الثاني خمسة وعشرون. ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهراً بادي التأمل تحير العلماء «المسيحيين» من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلى اليوم). انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي ٩٦/١.

وصدق الشيخ ـ رحمه الله ـ الهندي فها هو «موريس بوكاي» يقول:

تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوي عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية وبالاتفاق مع المعطيات العلمية، ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة، هي مشاكل تحرج جداً المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني، ولقد ألهم الخيال الإنساني كتّاب سفر التكوين الكهنوتيين في القرن السادس قبل الميلاد في موضوع أنسال البشر الأول، وهو أيضاً الذي ألهم متى ولوقا بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكاتبان من العهد القديم...

ويضيف قائلاً: (وبادىء ذي بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسباً وهو وحيد مريم (أمه) وليس له أب بيولوجي فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط).

انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي ص ١٠٤ ـ ١٠٧.

ونرى نفس المصدر يشدد لهجته على كلا الإنجيلين فيقول: (لا شك أن نسب المسيح في الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى). انظر: ص ١١٦ نفس المصدر السابق.

(١) يهوذا: يترجم المسيحيون له كالتالي: (اسم عبري معناه «حمد» وهو رابع من أبناء يعقوب من ليئة... ولا يذكر العهد القديم كثيراً عنه ولكنه يذكر بعض حقائق هامة تتعلق به (... وبعد رجوعه إلى كنعان انحدر إلى مصر مع بنيه الثلاثة... وعندما أخطأ بنيامين اختار الله يهوذا لرئاسة الأسباط وتأديبها (قض ٢٠ : ١٨) وقد حل بنو يهوذا في أرضهم بعد السبي وبعد موته ملكوا داود عليهم في حبرون (٢ صم ٢ : ٤) ومن سبط يهوذا خرج بوعز ويس وداود ومن داود خرج المسيح (لوقا ٣ : ٣٣). راجع: قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٧.

السلام[1] وكل من ثبت تناسله (من[2] الآدميين[3] فهو بلا)[4] شك[5] آدمي لأن الله القديم الأزلي لم يلد ولم يولد وكل ما سواه حادث.

وقال ـ أيضاً ـ متى في الفصل الرابع من إنجيله: إن رجلاً قال للمسيح يا أيها الخير، فقال عيسى[6]: لأي شيء سميتني[7] خيراً، إن الخير هو الله تعالى)[8] وهذا غاية التواضع منه عليه السلام[9] والتأدب مع ربه وخالقه، فكيف يدعي له شريك[10] في الألوهية[11]؟.

وقال يوحنا في الفصل السادس عشر من إنجيله: إن المسيح رفع عينيه[12] إلى السماء وتضرع[13] (إلى الله الواحد الخالق)[14] وقال: يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله[15] الواحد الخالق وأنك أنت[16] أرسلتني)[17].

---

(١) في (ر): (عليهم الصلاة والسلام).

(٢) في الأصل و(ر): (عن) والمثبت من بقية النسخ.

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (م).

(٥) في (أ): (فلا شك آدمي).

(٦) في (أ) و (م): (فقال عيسى له)، وهي ساقطة من (ر).

(٧) في (م): (خير)، وما في الأصل أصح.

(٨) ورد هذا النص في الإصحاح التاسع عشر من إنجيل متى وليس في الرابع كما ذكر المؤلف وقد جاء كالتالي: (وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحيوة الأبدية فقال له: لماذا تدعوني صالحاً ليس صالحاً إلا واحد وهو الله). متى ١٩: ١٦ ـ ١٧. مع الملاحظة أن المؤلف قد نقل هذا النص بالمعنى وواضح أنه ترجم معنى صالح إلى خير وهي الترجمة الحرفية.

(٩) في (م): (عليه الصلاة والسلام).

(١٠) في (م): (شريكه).

(١١) في الأصل: (الإلهية)، والمثبت من (أ) و (ر).

(١٢) في (م): (عينه).

(١٣) في (أ) و (م): (يتضرع).

(١٤) في (أ) و (م): (إلى الله الأحد الخالق).

(١٥) ساقطة من (أ).

(١٦) ساقطة من (أ) و (ر).

(١٧) ورد هذا النص في الإصحاح السابع عشر وليس السادس عشر وجاء كالتالي: (تكلم يسوع بها ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك =

فهذا اعتراف[1] بـأنه نبي مبعـوث من الله مع مـا[2]/ أوجبه من[3] [٣١ أ]
توحيده وأنه سبحانه[4] هو الواحد الخالق لا خالق للخلق غيره، وبهذا جاء عيسى وجميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله[5] عليهم أجمعين.

(فإن قال قائل)[6] من النصارى: إن كان عيسى قد اعترف في هذا الموضع بأنه نبي مبعوث فقد اعترف في موضع آخر أنه[7] الأزلي الخالق. . .
قلنا في[8] جوابه: إن هذا افتراء عليه وهو بريء من ذلك ومن كل ما نسبوه إليه. وأنتم غفلتم عن شنيع التناقض الذي بين النصين في الموضعين، لأن[9] عيسى عليه السلام أقر بأنه بشر مبعوث من الله تعالى وهذا صحيح[10] فكيف تجوز عليه مناقضته بادعاء ما هو محال في حقه[11] من كونه أزلياً خالقاً بل هذا

= ابنك أيضاً إذا أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حيوة أبدية لكل من أعطيته وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته).
يوحنا ١٧: ١ ـ ٣.
وقد أورده المؤلف بالمعنى.

(١) في (م): (اعتراف منه).
(٢) في (أ) و (م): (بما).
(٣) في (ر): (ذكر توحيده).
(٤) في (م): (سبحانه وتعالى).
(٥) في (ر): (وسلامه).
(٦) في (م): (فإن قيل).
(٧) في (أ): (بأنه).
(٨) ساقطة من (م).
(٩) في الأصل و (ر): (من كل نسبه) وفي (م): (نسبه)، والمثبت من (أ).
(١٠) في (ر) و (م): (لأنه عليه السلام).
(١١) في (أ) و (م): (فكيف يجوز).
ومعلوم أن للأنبياء عليهم السلام صفات تجب في حقهم منها: الأمانة والعصمة وكمال العقل والذكورة.
وهذه الصفات تبعد عنهم كل ما لا يليق بحقهم، وذلك لأنهم يبلغون رسالات الله إلى الناس فيجب أن يكونوا قدوة لهم يهدونهم سبيل الرشاد. فالأمانة تتضمن الصدق في الأقوال والأفعال، وعيسى عليه السلام واحد من الرسل ومن المحال أن يصـدر عنه ما لا يليق به.
وكذلك فإن الأنبياء معصومون عن الوقوع في الذنوب، سواء كانت صغيرة أو كبيرة.
وما يورده النصارى من أقوال ونصوص ينسبونها لعيسى عليه السلام وفيهـا من الكفر والإشراك بالله تعالى إنما هو محض افتراء يتبرأ المسيح عليه السلام منها.

من اختلاق أوائل كفاركم ثم قبله[1] جميع طوائفكم[2] على ما فيه من

(١) في (أ) و(م): (قبلته).

(٢) ما قاله المؤلف من أن جميع طوائف النصارى قبلت هذا الاختلاق كلام عام فيه تفصيل: فليست جميع طوائف النصارى قبلت الافتراءات والدعاوى الكاذبة، بل منها ما بقي على الحق ينادي بالتوحيد ويؤمن بأن عيسى عليه السلام ليس بإله بل هو رسول من عند الله، وقد تحدثنا في الباب الثاني ص ١٢١ عن الفرق التي بقيت على توحيدها.
فآريوس وكان (قسيساً في كنيسة الإسكندرية وكان داعياً قوي التأثير واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للأب، فقام يقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله إنما هو بشر مخلوق. . . وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح. وكذلك فرقة أبيون وفرقة بولس الشمشاطي، رفضتا أيضاً التثليث. انظر: الأسفار المقدسة، ص ١٠٨ - ١٠٩.
ورغم اضمحلال أتباع هذه الفرق كما أشار إلى ذلك المصدر السابق إلا أنه قد ظهر اليوم ما يشير إلى وجود من يؤمن بما ذهب إليه آريوس من اعتقاد بحق المسيح عليه السلام «فالشاعر القروي» رشيد سليم الخُوري، وهو لبناني الأصل وقد عاش معظم حياته في المهجر يقول في وصيته التي أعلنها:
(تذكر المراجع التاريخية المتعددة أن الكنيسة المسيحية ظلت حتى القرن الرابع الميلادي تعبد الله على أنه الواحد الأحد وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان فأدخلوا عليها بدعة التثليث وجعلوا لله سبحانه وتعالى أنداداً شاركوه منذ الأزل في خلق السموات والأرض وتدبير الأكوان، ومالأهم الأسقف الإنطاكي مكاريوس الذي لقب نفسه أرثوذكسي (مستقيم الرأي) فثار زميله الأسقف آريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى إلى الاقتتال فانعقدت المجامع للحوار وفاز آريوس بالحجة القاطعة فوزاً مبيناً.
بيد أن السلطة التي هي أصل البلاء وضعت ثقلها في الميزان فأسكتت صوت الحق ونفذت الباطل واستمر المسيحيون يعمهون في ضلالتهم والحق يتململ في قيده منتظراً (آريوساً جديداً) يعيده إلى نصابه، ولكم أتمنى وأنا الأرثوذكسي المولد أن يكون هذا الآريوس بطريركاً أرثوذكسياً بطلاً ليصلح ما أفسده سلفه القديم ويمحو عنا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيون، ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدراً لمعظم عللنا في السياسة وفي الدين على السواء. =

الكفر. . . الفظيع[١] والتناقض الشنيع[٢].

وقال متى في إنجيله: (إن الشيطان دعا المسيح إلى أن يسجد له وأراه ممالك الدنيا وزخرفها وقال[٣]: اسجد لي واجعل[٤] لك هذا كله. فقال له[٥] المسيح إنه[٦] مكتوب على كل بشر ألا يعبد[٧] إلا الله الرب إلهك[٨] ولا تسجد[٩] لشيء سواه)[١٠].

(فهذا منه إقرار بأنه بريء)[١١] من الألوهية[١٢] ولو كان إلهاً لما اجترأ عليه الشيطان[١٣] بمثل ذلك[١٤] القول. وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو

= لقد كان في نيتي إعجاباً مني بمعجزة القرآن الكريم وإيماناً بصدق نبيناالعربي الذي أنزل على روعه وبوضوح سيرته منذ ولادته حتى وفاته أن أكون قدوة لإخواني أدباء النصرانية فأدخل في دين الله، ولكن بدا لي أن الدعوة إلى تصحيحنا خطأ طارىء على ديننا تكون أكثر قبولاً وشمولاً من الدعوة إلى عدولنا عنه إلى سواه فقررت أن تكون الخطوة الأولى في سبيل إيقاظ الآريوسية الموحدة من رقادها الطويل وتزول العقبة الوحيدة المفتعلة الفاصلة بين الدينين ونغدوا بزوالها إخواناً على سرر متقابلين، أما خطوتي المبتكرة المشار إليها فهي أني أذيع على الملأ عزوفي عن أرثوذكسيتي المكاريوسية إلى الأرثوذكسية الآريوسية). انظر: صفحات مضيئة من تراث الإسلام، لأنور الجندي، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(١) في (أ) و(م): (شنيع). (٢) في (أ) و(م): (القطيع).

(٣) في (م): (وقال له). (٤) في (م): (وأنا أجعل).

(٥) ساقطة من (أ) و(م). (٦) في (م): (أنْ).

(٧) في الأصل: (ألا تعبدوا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) في (أ) و(م): (إلهاً) وفي (ر): (الأحد).

(٩) في (أ) و (م): (ولا سجود لشيء سواه) وفي (ر): (يسجد).

(١٠) هذه القصة وردت في إنجيل متى وبشكل مطول وقد أوردها المؤلف باختصار. انظر: متى ٤: ١ - ١١. ومما يؤكد المعنى الذي ذهب إليه المؤلف أن القرآن الكريم صرح بتوحيد عيسى عليه السلام لله في جميع مراحل دعوته إلى بني إسرائيل ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (آل عمران: الآية ٥١).

(١١) في (أ): (فهذا إقرار منه أنه بشر).

(١٢) في الأصل و (ر): (إلهية)، والمثبت من (أ) و(م).

(١٣) في (أ) و (م): (الشيطان عليه). (١٤) في (م): (هذا).

[٣١ب] الإله[١] لا يسجد أحد / إلا له تبارك وتعالى وهذا[٢] تنزل مع النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام معصومون[٣] من الشياطين[٤] في الوسوسة الباطنية الخفية فكيف يدعوهم[٥] للكفر الصريح بالسجود له من دون الله وهذه مجاهرة جلية، ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ورعونتهم في تجويز مثل هذا على المسيح عليه السلام.

وقال يوحنا في آخر إنجيله: (إن عيسى قال للحواريين: إني أذهب[٦] إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[٧] ويعني «بأبي وأبيكم»[٨] المالك لي ولكم.

---

(١) في (أ) و(م): (الإله الحق).

(٢) يستشهد المؤلف بنصوص الأناجيل وذلك للدلالة على كذب المسيحيين في ادعائهم ألوهية المسيح وذلك على سبيل التنزل.

(٣) سبق أن ذكرنا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون، وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أنه ليس للشيطان سلطان على عباده الصالحين فقال تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (النحل: الآية ٩٩ ـ ١٠٠).

يقول الإمام ابن القيم في هذا الشأن: (فتضمن ذلك أمرين، أحدهما: نفي سلطانه على أهل التوحيد والإخلاص، والثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه ولما علم عدو الله أن الله تعالى لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص قال ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ (ص: ٨٢ ـ ٨٣).

فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله عز وجل وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله فهؤلاء رعيته فهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم). انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم. ١/٩٨ ـ ٩٩.

(٤) في الأصل وبقية النسخ: (الشيطان)، والمثبت من (ر).

(٥) في (ر): (يدعونهم).

(٦) ساقطة من (أ) و(م).

(٧) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا كالتالي: (وقالت له ربوني الذي تفسيره يا معلم قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني =

وهو اصطلاح أهل[1] ذلك الزمان، فإن قالوا: هو أبوه من هذا[2] الباب قلنا[3]: يلزم (منه أن يكون أباكم أيضاً)[4] لأنه قال أبي وأبيكم، ثم[5] صرح بعده بما ينفي كل شبهة بقوله: (وإلهي وإلهكم)، فلم يبق لنفسه في دعوى الألوهية شيئاً[6].

= أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم...). يوحنا ٢٠: ١٦ ـ ١٨ وحسب ما هو ثابت في هذا النص فقد اعترف المسيح بأنه أخ لمن أرسل إليهم ولو لم يكن من جنسهم لم يصرح بهذا فضلاً عما قاله فيما بعد من اعترافه بألوهيته تعالى وحده دون شريك له فقال «إلهي وإلهكم».

(٨) هذا ما فسره المؤلف رحمه الله، ولفظ الأبوة والبنوة التي تطلقها الأناجيل في نصوصها لم تكن مستعملة أو متداولة في ذلك الزمن إلا لمعنى مغاير لمعنى الأبوة والبنوة من حيث الصلة والنسب.
وبولس هو الذي سار بهذا اللفظ واستعمله ومنه جاء التحريف إلى اللغات الأخرى كما ذكر شارل جنيبير حيث يقول: (وهذه العقيدة تنتهي إذا سمح لنا باستخدام هذا التعبير إلى ثمرة تبعث كثيراً على الاستغراب تلك هي: أن السيد عيسى يصور لنا ابناً لله ولكن فكرة الله بالنسبة إلى بولس تتدخل ضمن ميراثه من العقيدة اليهودية وقد نتج عن هذا أن التوحيد اليهودي يفرض نفسه على عقله فرضاً مطلقاً سابقاً لكل الأمور الأخرى والإله عنده هو الأعلى المتميز تماماً من الطبيعة والذي لا ينتشر فيها على أية صورة من صورة وحدة الوجود، فكيف إذا يتأتى تصور أن يكون له ابن؟ أو بعبارة أخرى كيف تفهم علاقة البنوة التي يراها بولس بين السيد والله؟.
وقد يميل بادىء ذي بدء إلى الاعتقاد بأن الأمر لا يتعدى أسلوب حديث معين أو صورة بلاغية، فاليهود كانوا يطلقون عبارة خادم يهوه على كل إنسان يظنون لديه إلهاماً منه، والتوراة السبعينية كثيراً ما تترجم هذه العبارة إلى اليونانية بالكلمات التالية (παιs τοῦ θεου) وكلمة (παιs) تعني في نفس الوقت خادم أو طفل تماماً كالكلمة اللاتينية (Puer) وعلى هذا يكون التطور في اللغة اليونانية من (παιs) أي طفل إلى (υἱοs) أي ابن. أمراً في غاية من البساطة..). المسيحية، شارل جنيبير، ص ١٠٦.

(١) في الأصل وبقية النسخ: (اصطلاح ذلك)، والمثبت من (م).
(٢) في (أ) و(م): (من هذه اللفظة). وفي (ر): (من هذا اللفظ).
(٣) في (أ) و (م): (قلنا لهم) وفي (ر): (قلناه).
(٤) في (أ) و(م): (إنه أبوكم أنتم أيضاً). (٥) في (أ) و (م): (وصرح بعده).
(٦) في الأصل: (شيء البتة)، والمثبت من بقية النسخ.

وقال متى في الفصل السابع من إنجيله: إن عيسى عليه السلام[1] قال للحواريين: (كل من قبلكم وأواكم فقد قبلني وآواني، ومن قبلني[2] فإنما قبل من أرسلني[3]) وقال يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله: إن المسيح قال: (إني ما جئت لأعمل بمشيئتي بل[4] بمشيئة الذي أرسلني)[5].

[٣٢ أ] وقال ماركوس في آخر إنجيله: إن عيسى قال - وهو (على خشبة الصلب)[6] بزعمهم - (إلهي إلهي[7] لم خذلتني)[8] وذلك[9] آخر ما تكلم به في الدنيا[10]. وهذا وإن كان كذباً[11] على عيسى، وحاشا[12] أن يكون الله

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) في (أ): (ومن قبلني وآواني).

(٣) ورد هذا النص في إنجيل متى الإصحاح العاشر وليس في السابع، وقد جاء كالتالي: (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني). متى ١٠ : ٤٠.

(٤) في (أ) و (م): (وإنما أعمل).

(٥) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا كالتالي: (كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني). يوحنا ٥ : ٣٠.

(٦) يعتقد المسيحيون أن عيسى عليه السلام صلب على خشبة وقد رد عليهم القرآن الكريم بما يكذبهم فقال تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ وقد قدّس المسيحيون الصليب وجعلوه شعاراً لهم وقد أفرد الإمام ابن القيم حديثاً مفصلاً عن كيفية نشوء هذه البدع وتاريخ تقديسهم له ورد على أباطيلهم وما افتروه بحق عيسى عليه السلام، وله أبيات يقول فيها:

أعباد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه

إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه فما هذا الإله؟

ويقول أيضاً:

وكيف أطاقت الخشبات حمل الإلـ ... ـه الحق شد على قفاه

وكيف دنا الحديد إليه حتى ... يخالطه ويلحقه أذاه

راجع: إغاثة اللهفان لابن القيم، ٢/ ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٧) ساقطة من (أ).

(٨) جاء هذا النص كالتالي: (وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: الوى الوى لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لما تركتني). مرقس ١٥ : ٣٤.

(٩) في الأصل: (وإلى آخر)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في (ر): (من الدنيا). =

خذله أو تمكن اليهود من صلبه وإنما[1] احتججنا على النصارى به لأنهم رضوه من نصوص إنجيلهم وهم مصدقون به وفيه[2] التصريح بأن عيسى قال: (إلهي، إلهي)[3] فأقر بأن له إلهاً يدعى في الشدائد وتبرأ من الألوهية لنفسه[4] فلزم منه[5] تكذيب عقائد[6] النصارى ضرورة لا محيد لهم[7] عنها، ولكنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

وقال لوقا في آخر إنجيله: إن المسيح بعدما قام من قبره دخل على الحواريين وهم مجتمعون في غرفة قد أغلقوا بابها فلما دخل عليهم ارتاعوا منه وظنوه[8] من أرواح الملائكة أو الجن، فلما علم المسيح ذلك منهم قال: (يا هؤلاء جسوني[9] واعلموا أن الأرواح[10] الروحانية ليس لهم لحم ولا عظم مثل ما تجدون[11] في جسدي)[12].

فأقر بأنه مركب من لحم وعظم ومادة حيوانية[13] وتبرأ[14] من

= (١١) في (أ) و (م): (وإن كان كاذباً). (١٢) في (ر): (حاشاه).

(١) في (أ) و (م): (فإنما). (٢) في (أ) و(م): (وفي).

(٣) في بقية النسخ: (يا إلهي يا إلهي).

(٤) في الأصل: تبرأ من الدعاء لإلهه بنفسه وفي (ر) مطموسة، والمثبت من (أ) و (م).

(٥) ساقطة من (أ) و(م). (٦) في (أ) و (م): (النصارى في عقائدهم).

(٧) ساقطة من (أ). (٨) في (أ) و (م): (وظنوا).

(٩) في (ر): (حستوني).

(١٠) في (ر): (أن أرواح الروحانيين) وفي (م): (الأرواح الوحانيين).

(١١) في (م): (تجدوني).

(١٢) جاء هذا النص كالتالي: (وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم أنظروا يدي ورجلي إني أنا هو جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي). لوقا ٢٤: ٣٦ - ٣٩.

(١٣) قال تعالى في سياق الرد على دعوى المسيحيين بألوهية عيسى ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون﴾ (المائدة: الآية ٧٥).

الألوهية[1] وهذا النص[2] كالذي قبله (وإن كانا باطلين)[3] فإنا نكذبهم في كون عيسى قتل ودفن وقام من قبره بعد الدفن. وإنما[4] هو من اختلاق أوائل النصارى ودعاويهم الباطلة الغارقة[5] في المحال والكفر والضلال. ولكن[6] أبطلنا[7] حجتهم في ادعائهم[8] أن عيسى هو الله وابن[9] الله تعالى الله وتقدس[10] لا إله إلا هو / فمن[11] قال إن المسيح[12] هو مربوب[13] لله تعالى وكان صبياً ينمو طولاً وعرضاً ثم بلغ أشده وبعثه الله رسولاً فقد وافق قول المسيح وتلاميذه[14] ومن خالف[15] هذا[16] فقد خالف الحق واعتقد صريح [٣٢ ب]

= فبيّن أنه بشر كبقية البشر محتاج إلى طعام وشراب، ومن كان كذلك فإن جسده محتاج للإفرازات وهذا ما اعتبره المفسرون من التفسير الإشاري فيي القرآن الكريم. وقد أفاض الخزرجي في الرد على النصارى خاصة فيما يتعلق بهذا الأمر. انظر: بين المسيحية والإسلام، ترجمة محمد شامة ص ١٥٨.

(١٤) في (أ): (تبراء). (١) في الأصل (إلهية)، والمثبت من (م).

(٢) في (أ): (وهذا النفي والذي قبله)وفي (م): (وهذا النص والذي قبله).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل و(ر)، والمثبت من (أ) و(م).

(٤) ساقطة من (م). (٥) في (أ) و(م) و(ر): (الغريقة).

(٦) في (ر): (ولكنا) وفي (م): (لكنما).

(٧) في (ر): (أبطلنا حجة) وفي (م):(بطلا حجتهم).

(٨) في (ر) و(م): (ادعاء). (٩) في (ر) و(م): (أو ابن).

(١٠) في (أ) و(م): (وتقدس عن ذلك). (١١) ساقطة من (ر).

(١٢) في (أ) و(م): (المسيح). (١٣) ساقطة من (ر).

(١٤) تردد ذكر تلاميذ المسيح عليه السلام كثيراً، وقد أطلق المسيحيون عليهم اسم الرسل، أما القرآن الكريم فقد أطلق عليهم لفظ (الحواريين) وقد قص القرآن الكريم حوارهم مع عيسى عليه السلام: ﴿.. قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله..﴾ (الصف: الآية ١٤)، إلا أن القرآن الكريم لم يحدد أسماءهم، وهذا ما يجعلنا نتوقف في أسمائهم.

وقد نفى الإمام ابن حزم أن يكون أصحاب الأناجيل الأربعة من الحواريين، وقد وصفهم بأشنع الأوصاف وعبارته كانت كالتالي: (قال أبو محمد: ليعلم كل مسلم أن =

الكفر نعوذ بالله من ذلك، ويلزمهم أشنع ما يكون عند جميع العقلاء، وهو إن كان المسيح خالقاً أزلياً كما يعتقدون مع كونه لحماً ودماً فقد[1] جعلوا بعض الرب المعبود أزلياً خالقاً وبعضه محدثاً[2] مخلوقاً لأن[3] المسيح أقر أنه[4] دم

= هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام كبطرس ومتى الشرطي ويوحنا ويعقوب ويهوذا الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين فكيف حواريين؟ بل كانوا كذابين مستخفين بالله تعالى). انظر: الفصل لابن حزم ٢/٣٨.
ومن الوجهة المسيحية فإنهم يعتقدون أن هناك اثني عشر تلميذاً للمسيح وقد ورد ذكرهم في إنجيل متى على النحو التالي: (ثم دعا تلاميذه الإثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف، وأما أسماء الإثني عشر رسولاً فهي هذه: الأول سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه. فيلبس وبرثولماوس. توما ومتى العشّار. يعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تداوس سمعان القانوني ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه). متى ١٠: ١ - ٤.
وقد لاحظ المهندس أحمد عبدالوهاب ما يلي: (ويتفق هذا مع أسماء التلاميذ التي ذكرها مرقس في (٣: ١٦ - ١٩)، لكن لوقا يقول: (لما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً: سمعان الذي سماه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه، يعقوب ويوحنا فليبس وبرثولماوس، متى وتوما، يعقوب بن حلفي وسمعان الذي يدعى الغيور، يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطي) لوقا ٦: ١٣ - ١٦. ويذكر يوحنا أسماء بعض التلاميذ من بينهم يهوذا آخر غير الخائن وهو الذي يقول عنه: (يهوذا ليس الإسخريوطي) يوحنا ١٤: ٢٢.
ومن الواضح أن هناك اختلافاً بين ما ذكره متى ومرقس من جانب وبين لوقا ويوحنا من جانب آخر، يقول جون كيرد: عندما كتب الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ، إن يهوذا بن يعقوب لا يظهر في القائمة المذكورة في إنجيل كل من مرقص ومتى بينما شغل مكانه لباوس الملقب تداوس، وأكثر من هذا فإن (يهوذا غير الخائن) يذكر في التراجم المعتمدة - إنجيل لوقا - مرة باسم يهوذا أخا يعقوب ومرة أخرى باسم يهوذا ابن يعقوب). انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لأحمد عبدالوهاب ص ٨٣ - ٨٤.

(١٥) في (أ) و (م): (ومن خالفه).
(١٦) ساقطة من (م).

(١) في (ر): (وقد).
(٢) في (أ) و (م): (حادثاً).
(٣) في (م): (لأنه).
(٤) في (ر): (بأنه).

ولحم[1] بنص أناجيلهم فاللحم[2] والدم يتولدان[3] عن الأغذية والأشربة وهي من أجزاء الدنيا، فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها هو جزء من أجزائها وذلك[4] الجزء هو خالق نفسه[5] أيضاً لأن جزء من[6] الدنيا التي هي مخلوقة له وهذا[7] أشنع ما يكون من دعاوى البهتان وأبعد ما يتصور في معقولية الإنسان. فمن[8] اعتقده ودان به فقد لزمه ما بيناه واستحق الغضب والسخط من الله، واتضح أنه من أهل الخذلان ويلزمهم أيضاً من شناعة المحال أن يكون (بعض الدنيا هو خالق جميع الدنيا)[9]، وبعض الشيء لا يوجد (إلا بعد وجود كله)[10] وما ليس بموجود ولا معقول فليس بشيء[11]، فخالق الدنيا على قولهم معدوم وغير موجود ومجهول[12] وغير معقول[13] وأنا أظن أن صاحب هذه العقيدة الذي مهدها لهم[14] قصد هذا التعطيل[15] بعينه لأنه كان [٣٣ أ]

---

(١) في بقية النسخ: (لحم ودم).

(٢) في بقية النسخ: (واللحم).

(٣) في (م): (من).

(٤) في (أ) و(م): (وأنه هو).

(٥) في الأصل: (بنفسه) وفي (أ): (لنفسه)، والمثبت من (ر).

(٦) في (أ) و(م): (من أجزاء الدنيا).

(٧) في (أ) و(م): (وهو).

(٨) في (أ) و(م): (ومن).

(٩) يقصد: بعض الدنيا، أي: عيسى.

(١٠) في (أ): (إلا بعد وجود بعضه بل كله) وفي (م): (إلا بعض وجود بعضه بل كله).

(١١) أي: إن كان عيسى ليس بموجود على الدوام ولم يكن «أزلياً» فهو بالضرورة زائل «ليس بشيء».

(١٢) الواو ساقطة من (ر).

(١٣) لقد تعهد المصنف بأنه سيبطل آراء المسيحيين بالنقل وبالعقل فبعد أن أبطل آراءهم في ألوهية المسيح بنصوص أناجيلهم على سبيل التنزل شرع في إبطال آرائهم بالحجج العقلية الدامغة.

(١٤) كما أشرنا في السابق أن الشخصية التي كانت سبباً مهماً في تغيير العقيدة النصرانية الصحيحة هو بولس والذي أطلق المسيحيون عليه اسم (الرسول) أو القديس، كما أوضحنا أنه كان تلميذاً لمدرسة الإسكندرية التي نادت بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وعن طريق هذه الأفكار والآراء التي أدخلها بولس تحولت العقيدة من التوحيد إلى =

من متزندقة[١] أهل التعطيل فسخر من النصارى[٢]، وألف لهم أنواعاً من الكفر والضلال، مبنية على أشنع المحال، لأجل[٣] ما تحقق من غفلتهم وقبولهم لترهات[٤] المذاهب والأقوال ويقال لهم[٥]: قد نطق الإنجيل[٦] الأول بأن المسيح قلم أظفاره وقص شعره ونما جسده طولاً وعرضاً فإن كان على قولهم خالقاً أزلياً وقد بانت منه هذه الأجزاء من الشعر والأظفار وانفصلت عن كله وصارت رميماً وتلاشت حتى لم يبق لها (وجود فالخالق الأزلي على هذا)[٧] قد فسد بعضه وتلاشى[٨] وبقي بعضه على حاله ومن فسد بعضه فالفساد واصل إلى كله، ومن كان له بعض وكل فهو محدود ومحتاج[٩] إلى ما يحمله ويحده[١٠] ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغني[١١]، والإله الخالق الأزلي تبارك وتعالى

= التثليث، ولعل المؤلف قصد من قوله: (وأنا أظن أن صاحب هذه العقيدة الذي مهدها لهم) يعني «بولس» المذكور، والله أعلم.

(١٥) التعطيل ناتج عن إلحاق صفات النقص بالله تعالى واتخاذ الأرباب من دونه وعدم وصفه بصفات الكمال التي لا تليق إلا به.

(١) في (أ) و(م): (زنادقة)، (والزنديق: من الثنوية وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة وقد تزندق والإسم «الزندقة»). مختار الصحاح، ص ٢٧٦.
وقد أراد المؤلف من قوله (من متزندقة) أي: من المنحرفين في العقيدة، والله أعلم.

(٢) في بقية النسخ: (بالنصارى). (٣) في (م): (لما).

(٤) في (م): (ترهة)، (وترهات: الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة ترهة: فارسي معرب ثم استعير في الباطل). مختار الصحاح، ص ٧٧.

(٥) في (ر) و(م): (فيقال لهم). (٦) ربما قصد منه: إنجيل متى.

(٧) في (أ) و(م): (فيلزم عل هذا أن الخالق الأزلي).

(٨) في الأصل و(ر): (وتلاشا)، والمثبت من (أ)، وهو الأصح.

(٩) الواو ساقطة من (م) و(ر).

(١٠) في الأصل وبقية النسخ: (ويمده)، والمثبت من (أ).

(١١) استغناء الله تعالى صفة واجبة له، فقد وصف الله تعالى نفسه في كتابه العزيز بأنه: ﴿الغني الحميد﴾ فمما يتضمنه معنى الألـوهية (استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه (فـ) لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر إليه كـل ما عـداه إلا الله تعالى). متن السنوسية محمد يوسف الحسني، ص ٦.

شهدت براهين العقول[1] ونصوص[2] النقول بأنه (عز وجل لا يكـون)[3] جسماً ولا جوهراً[4] ولا عرضاً[5] وليس له كل يتجزأ ولا تتبعض ذاته القديمـة[6] ولا يلحقها نقص ولا تغير ولا تحول وأنه الغني[7] على الإطلاق[8] وجميع

---

(١) يلاحظ القارىء أيضاً استعمال المؤلف للطرق المنطقية في إثبات ردوده على المسيحيين.

(٢) ساقطة من (ر) و (م). (٣) ساقطة من (م).

(٤) نفي المصنف للجوهرية والعرضية والجسمية هو اتباع لرأي المتكلمين وقد شرح الشريف الجرجاني هذا المذهب كالتالي: (إنه تعالى ليس جوهراً ولا عرضاً، أما الجوهر: فنقول إنه مسلوب عنه تعالى أما عند المتكلم فلأنه المتحيز بالذات وقد أبطلناه، وأما عند الحكيم فلأنه ماهية إذا وجدت في الأعْيان كانت لا في موضوع، وذلك إنما يتصور فيما وجوده غير ماهيته، ووجود الواجب نفس ماهيته، فلا يكون جوهراً. . . وأما العرض فلاحتياجه في وجوده إلى محله والواجب تعالى مستغنٍ عن جميع ما عداه): انظر: شرح المواقف في علم الكلام، للشريف علي الجرجاني، ص ٤٤.

وقد ذم السلف طريقة المتكلمين، فقال صاحب شرح الطحاوية: ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً، عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل يقولون: ليس بجسم ولا شبـح ولا جهة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض. .) إلخ. . . إلى آخر ما نقله أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن المعتزلة، وفي هذه الجملة حق وباطل ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال. . . لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا جملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك. والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلٓهية هو سبيل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها. . . والمقصود أن غالب عقائدهم السلوب ـ ليس كذا، ليس بكذا. وأما الإثبات فهو قليل وهي: وأنه عالم قادر حي. . . وأكثر النفي المذكور ليس متلقى عن الكتاب والسنة ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات فإن الله تعالى قال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: الآية ١١).

انظر: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص ٤٦ وما بعدها.

(٥) في (أ) و (م): (لا عرضاً ولا جوهراً). (٦) في (أ) و (م): (ذاته العلية القديمة).

(٧) في (أ) و (م): (وهو).

(٨) في الأصل: (عن الإطلاق)، والمثبت من (أ). وفي (ر): (عن الأوصاف).

الخلق إليه فقراء في جميع أطوارهم وكافة أحوالهم، وهو كما وصف نفسه الكريمة [1] : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [2] ويقال لهم - أيضاً: [٣٣ب] / هذا المسيح الذي تعتقدون [3] أنه الله الخالق الأزلي هل كان في بلد أو في [4] زمان أم لا؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك لأن (إنجيلي [5] .متى ولوقا صرحا) بأنه ولد في بلد «بيت لحم» [6] الذي كان ينسب إلى يهوذا [7] في زمن رودس [8] الملك، (وأنه قتل وصلب في أيام بيلاطوس الملك) [9]، وكل من كان في زمان [10] وفي مكان [11] (فـ) [12] الزمان لا بد وأن يكون قبله والأمكنة محيطة به، ومن كان كذلك فهو مخلوق، وإذا ثبت أنه مخلوق بطلت عقيدتكم التي فيها أنه إله حق وأنه خلق كل شيء. ومعلوم بالقطع أن الزمان هو من الأشياء المخلوقة والزمان كان قبل (أن يوجد المسيح) [13] بلا شك في ذلك ولا امتراء [14]، فكيف يجوز أن يكون الزمان وجد قبل خالق الزمان؟ ويكون المكان محيطاً [15] بالذي خلق المكان [16]؟ هذا من [17] أشنع ما يتخيل في الأذهان، ومن [18] أقبح ما يكون (من المحال [19] والبهتان) فكل من ولد في

---

(١) في (ر): (الكريمة العزيزة).
(٢) الشورى: ١١. وفي(م): (السميع العليم).
(٣) في الأصل: (يعتقدون)، والمثبت من بقية النسخ.
(٤) في (م): (في بلد وفي).
(٥) في الأصل: (أناجيل) وفي (أ) و (م): (إنجيل)، والأصح ما اقتضاه السياق.
(٦) سبق الترجمة لها، انظر ص ١١٥ من هذا البحث.
(٧) في الأصل: (يوذا) وفي (ر): (يودي) وفي (أ): (لودا) وفي (م): (لوه)، وما أثبتناه أصح وقد مر في نسب المسيح.
(٨) انظر ترجمته ص ١١٣ من هذا البحث.
(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(م).
(١٠) في (أ) و (م): (زمن).
(١١) في (أ) و(م): (ومكان).
(١٢) ساقطة من جميع النسخ.
(١٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و (م).
(١٤) (الامتراء: في الشيء الشك فيه وكذا التماري). مختار الصحاح، ص ٦٢٢.
(١٥) في (أ) و (م): (محيط)، وهو خطأ.
(١٦) في (أ) و (م): (الأماكن كلها).
(١٧) ساقطة من (أ) و(م).
(١٨) ساقطة من (أ) و(م).

زمان وأحاط به الزمان والمكان فهو حيوان ابن حيوان والمسيح عليه السلام كان من أشرف أنواع الحيوان لأنه إنسان بن إنسان[1] . وتعالى[2] الله عما يقول[3] (الكافرون فيه)[4]علواً كبيراً (وفي كل ما)[5]أوضحته[6]هنا بحول الله وقوته يقتضي[7] فساد شريعة النصارى وإبطال عقيدتهم وبيان العز لي فيما اخترته لنفسي[8] من دين الحق المبين واتباع ملة أفضل النبيين محمد[9] صلى الله عليه وسلم[10]/ (ومن الله أسأل كمال التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل)[11]. [٣٤ أ]

= (١٩) في (أ) و(م): (من الزور والبهتان).

(١) أطلق المصنف تسمية «الحيوان» على الإنسان استناداً إلى تعريف المناطقة له فالإنسان عندهم: (هو الحيوان الناطق). التعريفات للجرجاني ص ٢١. وقول المصنف عن المسيح عليه السلام إنه «إنسان ابن إنسان» يقصد إنه ابن مريم، قال في مختار الصحاح: (ويقال للمرأة أيضاً إنسان ولا يقال إنسانة)، ص ٢٨.

(٢) في (ر): (فتعالى).

(٣) في (أ): (يقولون)، وهو خطأ.

(٤) ساقطة من (أ) و (م)، وفي (ر): (فيه الكافرون).

(٥) في (أ) و (م): (وكلما أوضحته). (٦) ساقطة من (م).

(٧) في الأصل: (وقوته تقتضي شريعة النصارى)، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) هناك الكثير من المسيحيين وغيرهم من الذين فتح الله على قلوبهم فأبصروا الحق واتبعوه وتركوا الباطل وأهله ونبذوه ولا يمر علينا يوم إلا ونسمع فيه أن هذا العالم قد اعتنق الإسلام بعد البحث والدراسة، أو هذا الطبيب قد اهتدى إلى الإسلام، أو هذا الفيلسوف قد أعجب بمبادىء الإسلام ونظمه فآمن وأسلم، وقد قام العديد من الباحثين المسلمين بالكتابة عن المؤمنين الجدد وأفردوا الصفحات الطوال للحديث عن قصة إسلامهم وكيفية اعتناقهم للإسلام، ومن بين تلك الكتب: سلسلة «رجال ونساء أسلموا»، للأستاذ عرفات العشي؛ وكتاب «صفحات مضيئة من تراث الإسلام»، للأستاذ الجندي؛ وكتاب «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء» للأستاذ رؤوف شلبي، وغيرها.

(٩) ساقطة من الأصل (م) و (أ)، والمثبت من (ر).

(١٠) في (أ): صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

(١١) في (ر): (ومن الله نسأل كمال التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير). في (أ) و (م): (ومن الله تعالى نسأل كمال البر والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل).

الباب السادس

في[1] اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، وبيان كذبهم[2]

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الذين كتبوا الأناجيل اختلفوا في أشياء كثيرة، وذلك دليل[3] على كذبهم، فلو[4] كانوا على الحق ما اختلفوا في شيء.

---

(1) في (أ) و (م): (في بيان). (2) في (أ) و (م) بزيادة: (لعنهم الله).

(3) الرسل والأنبياء عليهم السلام يستحيل عليهم الكذب لأنهم يبلغون عن الله، وما كان من عند الله لا يمكن أن يتناقض، ولذلك نرى أن دعوة الأنبياء كلها متفقة في الأصول لا اختلاف فيها، وما اتفق عليه المسيحيون من أن كتّاب الأناجيل ـ هم ـ رسل لا يمكن أن ينطبق عليهم هذا الوصف ولا ينطبق أيضاً على كتاب الكتاب المقدس بشكل عام لما فيه من التناقض والأغاليط وقد حشدت فيه نصوص ترمي الأنبياء بأوصاف لا تليق بهم وتنفي عنهم صفة العصمة.

وقد وضح الشيخ رحمة الله الهندي هذا الأمر فقال: (اعلم أرشدك الله تعالى في الدارين، أن المسيحيين يدعون أن الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط تقريراً كان أو تحريراً، وأما في غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوة ولا بعدها فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً فضلاً عن الخطأ والنسيان، فيصدر عنهم الزنا بالمحارم، فضلاً عن الأجنبيات ويصدر عنهم عبادة الأوثان وبناء المعابد لها ولا يخرج عندهم نبي من إبراهيم إلى يحيى عليهما السلام لا يكون زانياً أو من أولاد الزنا). انظر: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي ٢/٢٩٩ وما بعدها.

وقد عدد الأمثلة التي وردت في التوراة فمن ذلك:

١ ـ قصة آدم وعدم استغفاره من ذنبه (تك ٣: ١ ـ ٢٤).

٢ ـ شرب نوح للخمر (تك ١٨/٩ ـ ٢٥).

٣ ـ كذب إبراهيم وتسليم زوجته سارة دون مقاتلة (تك ١٢: ١١ ـ ١٣). =

قال الله[1] عز وجل (في[2] كتابه العزيز الذي) أنـزل على صفيـه[3] محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ولـو كان من عنـد غير الله لـوجدوا فيـه اختلافـاً كثيراً[4]﴾ فجعل الاختلاف دليل[5] الكذب على الله[6] لأن كل ما هو من عنـد الله تعالى لا تختلف معـانيه ولا تضـطرب مبانيـه وكـل مـا كـذبـه[7] الكاذبون[8] عليه لا بد وأن يفضحهم لوجود الاختلاف والاضطراب فيـما كذبوه ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب[9]﴾ وهو الحكيم العليم.

= ٤ ـ زنى لوط بابنتيه (تك ١٩: ٣٠ ـ ٣٨).
٥ ـ كذب إسحٰق (تك ٢٦: ٦ ـ ٧).
٦ ـ كذب يعقوب (تك: ٢٧: ١ ـ ٣٠).
٧ ـ زنى داود عليه السلام (صموئيل ٢ ـ ٣: ٢١).
٨ ـ ارتداد سليمان، (سفر الملوك الأول: ١١: ٢ ـ ٢١).
وهكذا يستمر كتاب الكتاب المقدس في وصفهم للأنبياء دون خجل أو وجل.
(٤) في (ر): (ولو).
(١) في (أ) و (م): (الله تعالى). (٢) ساقطة من (م).
(٣) في (ر): (على نبيه وحبيبه).
(٤) تمام الآية: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: الآية ٨٢). ﴿قل لو كان..﴾ وهو خطأ.
(٥) في (أ): (دليل على) وفي (م): (دليلاً على الكذب).
(٦) في (م): (الله تعالى). (٧) في (م): (كذب).
(٨) في (أ) و(م): (وكلما كذب الكاذبون عليه فيه).
(٩) تمام الآية: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ (الأنفال: الآية ٣٧).
والكذب على الله تعالى هو أشد أنواع الكفر والعياذ بالله، فهؤلاء ادعوا الإلهام والوحي وهو منهم براء وقالوا على الله ما لا يعلمون فحبط عملهم، وقد أخذت دعوى إلهـام تسري بين المسيحيين حتى تأصل هذا المفهوم.
وقد فند الشيخ أبو زهرة هذه الدعوى بقوله: (... فادعاء الإلهام على فرض اتفاقهم عليه ليس له من البينات ما يثبته ولا من الأدلة ما يقيم دعائمه ونحن نطالبهم بالدليل..
وكان يصح لنا أن نقف موقف المانع مجرداً نطالبهم بالدليل حتى يقيموه ولكن تتميـاً للبحث وتعريفاً للحقائق نثبت أن دعوى الإلهام باطلة من أساسها، ليس لعدم إقامة الدليل عليها بل لأن البينات قائمة ضدها، ذلك لأنها لو كانت بإلهام من الله كما يقولون =

فمن نصوص[1] كذب هؤلاء[2] الذين كتبوا الأناجيل، ما قاله يوحنا في الفصل الثالث عشر من إنجيله أن عيسى عليه السلام قال للحواريين (وهو[3] يتعشى) معهم في الليلة التي أخذه فيها اليهود: الحق[4] أقول لكم إن واحداً منكم يخونني، فقال له يوحنا: يا سيدي[5] من يكون ذلك؟ فقال له عيسى: الذي نعطيه الخبز مصبغاً في المرقة[6] ثم أعطاه ليهوذا اشكريوط[7]

= لكانت صادقة في كل ما أخبرت به وما وجد الباطل منفذاً ينفذ منه إليها، ولم يكن ثمة محل لتكذيبها ولكانت متفقة غير مختلفة ولم تكن متضاربة بأي نوع من أنواع التضارب وذلك لوحدة من صدرت عنه لأنها جميعاً صادرة عن واحد وإن اختلف الناطقون بهاولكنا وجدنا بينها اختلافات من أوجه عدة ووجدنا أخباراً تناقض ما علم في التاريخ وكان مشهوراً فيه...). محاضرات في النصرانية ص ٩٩.

(١) ساقطة من (أ) و(م).
(٢) في (أ) و(م): (الملاعين).
(٣) في (ر): (حين تعشى).
(٤) في (أ): (والحق).
(٥) ساقطة من (أ) و(م).
(٦) في (أ): (المرق).
(٧) كذا في الأصل وفي (أ): (يهودا اشكريوط) وفي (ر) و(م): (يهودا شكريوط)، والأصح يهوذا الإسخريوطي، وقد ترجم له كالتالي (يهوذا الإسخريوطي بن سمعان الإسخريوطي... والتلميذ الذي خان سيده ولقب بالإسخريوطي تمييزاً له عن يهوذا الأخر، أحد الإثني عشر. (لوقا: ٦: ١٦ ويوحنا ١٤: ٢٢).
وقد يشتق لقبه من ايش كريوت أي: رجل قريوت.. والإسخريوطي هو التلميذ الذي لم يكن جليلياً ولا نعرف عن حياته الباكرة أكثر مما يعرف عن بقية الرسل والبشائر لا تروي لنا شيئاً عن دعوته وقد أصبح اسمه تعبيراً للخيانة). قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩٠.
وحيث المسيحيين يعتقدون أن يهوذا هو الذي أسلم سيده للصلب وساعد على ذلك فإن المسلمين لا يقرون عملية القتل أو الصلب كما أشرنا في السابق مع اعترافهم بأن المؤامرة حيكت بالفعل ولكن الصلب حصل لرجل آخر غير المسيح وقد تحدث المسلمون الأوائل عن هذا الموضوع فقد ورد في بعض الآثار ما يفيد أن الذي: صلب وقتل واحد من تلاميذ المسيح عليه السلام ومن ذلك ما رواه ابن جرير في تفسيره قال: (حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء. قال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشر مرة بعد أن آمن بي، =

[٣٤ب] وهو الذي / خانه ودل[1] اليهود عليه)[2]. وقال ماركوس في الفصل الرابع

= قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، قال فقام شاب من أحدثهم سناً قال: فقال أنا. فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا. قال: نعم أنت ذاك، قال فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء. قال وجاء الطلب من اليهود وأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به...) راجع: جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٨/٦٠؛ وكذلك تفسير ابن كثير ٤/٣٦٢.

وحديثاً قام الأستاذ منصور عبدالعزيز بمحاولة أثبت فيها عملية إلقاء الشبه على يهوذا وتخليص الله تعالى لنبيه، وقد حشد نصوصاً عديدة من العهدين القديم والجديد وركّز في بحثه على سفر المزامير الذي يوضح هذه الحادثة ومما قاله:

(وهكذا ومن جماع ما تقدم لا نخلص إلا بأن المزامير تنبأت بحق بأن الله مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه، يرفعه من أبواب الموت، يرفعه فوق القائمين عليه، يرسل من العلا فيأخذه، أما يهوذا الإسخريوطي الذي حفر له هذه الحفرة وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام ليقبضوا عليه ـ على المسيح سيده ـ فإنه في الحفرة نفسها يقع، .. أما هذه الحقيقة فإنما هي تلك التي نطق بها القرآن الكريم واعتقدها المسلمون أن الله مخلص مسيحه ورافعه إليه... ولمن يريد أن يزيد يقيناً فها هي المزامير كلها في الكتاب المقدس الذي يؤمن به المسيحيون ويتداولونه وإليها فليرجع... (ثم يعقب قائلاً): ذلك أن كثيرين ومن عجب منهم مسيحيين ناقشوني شخصياً لم يصدقوا أن تكون في المزامير مثل هذه الآيات..). انظر: كتاب دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، لمنصور عبدالعزيز.

وهكذا يتبين لنا اختلاف وجهة نظر المسلمين مع المسيحيين في شخصية المصلوب.

(١) تجمع المصادر على أن اليهود حاكوا المكائد للمسيح عليه السلام ووشوا به لدى الحاكم الروماني، لأسباب عديدة اختلفت الآراء حولها. ولكن من المعروف أنهم كانوا ينتظرون مسيحاً بالفعل ليخلصهم من الحكم الروماني المسيطر عليهم، مسيحاً يأتي وفق أهوائهم وتطلعاتهم المادية. وحيث إن المسيح عليه السلام قد جاءهم بما لا تشتهي أنفسهم كادوا له ورفضوا دعوته إلى الحق، فالأناجيل التي بأيدي المسيحيين ذكرت أن المسيح عليه السلام كان يقول: (ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله، فتحير التلاميذ من كلامه فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم: يا بني ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله، مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله..). =

عشر من إنجيله أن عيسى قال لهم: (إن الذي يصبغ خبزه معي[1] في[2] القصعة[3] هو الذي يخونني)[4].

= مرقس. ١٠: ٢٣ ـ ٢٥. وقال أيضاً (اذهب بع كل مالك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء). مرقس ١٠: ٢٠.
لكن نزعة حب المال وجمعه من أي مصدر كانت هي السمة الغالبة على النفسية اليهودية إضافة إلى الكراهية الشديدة للتعاليم الأخلاقية والمبادىء الرفيعة التي نادى بها المسيح، ومع اعتراف المسيحيين بهذا كله وعلمهم بأن اليهود رفضوا دعوة عيسى ودسوا له الدسائس إلا أنهم يوالونهم ويتقربون منهم، والأدهى من ذلك أنهم يقولون بأن المسيح حوكم وصلب وقتل وقد رد الله تعالى عليهم حيث قال في كتابه العزيز: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ (النساء: الآية ١٥٧)، وقوله: ﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه﴾ (النساء: الآية ١٥٨).
فألقى الشبه على شخص آخر ورفع المسيح إليه وهذا ما شهد به إنجيل برنابا حيث قال: (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد) إنجيل برنابا ٢١٥: ١ ـ ٨.
والجدير بالذكر أنا تعرضنا لرفع عيسى عليه السلام في ص ١٠١ من هذا البحث.

(٢) جاء هذا النص كالتالي: (.. وقال: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني، فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون في من قال عنه وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل: من عسى أن يكون الذي قال عنه؟ فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: يا سيدي من هو؟ أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي...). يوحنا ١٣: ٢١ ـ ٢٦.

(١) في (ر): (معه). (٢) ساقطة من (م).

(٣) وعاء الأكل.

(٤) ورد هذا النص في إنجيل مرقس كما يلي: (وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع: الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني الآكل معي، فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً: أهل أنا وآخر هل أنا فأجاب وقال لهم: هو واحد من الإثني عشر الذي يغمس معي في الصحفة) ١٤: ١٨ ـ ١٩.

وقال متى[1] في الفصل الثالث والعشرين من إنجيله: (إن عيسى قال لهم: إن الذي يخونني هو[2] معي في التلاميذ[3])[4].

وهذا اختلاف[5] بيّن لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول في مجالس[6] حتى (يزعموا أنه اختلفت عبارته فيها[7])، وليس معنى قوله متحداً فيكون كل واحد من الأربعة عبر[8] عن قوله بعبارة من عنده بل تخصيصه[9] ليهوذا اشكريوط بمناولته له الخبز مصبغاً في المرقة[10] يقتضي تعيينه وكشف أمره وبقية ما نقلوه يدل على أنه (أبهم عليهم شأنه)[11] وهذا تناقض[12] دل[13] على الكذب من (جميع[14] الأربعة[15]) الذين كتبوا الأناجيل لعنهم الله، وبالله التوفيق.

ومن ذلك أيضاً ما قال متى في الفصل العشرين من إنجيله: (إن عيسى

---

(١) في (ر): (متا)، وهو خطأ. (٢) في (أ): (فهو معي).

(٣) كذا في الأصل، أما بقية النسخ: (في تلاميذي).

(٤) ورد هذا النص في إنجيل متى كالتالي: (وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم أن واحداً منكم يسلمني فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يا رب فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني) متى ٢٦: ٢٠ - ٢٤، وليس في الثالث والعشرين كما ذكر المؤلف، وربما هذا من النساخ.

(٥) في (أ) و(م): (الاختلاف). (٦) ساقطة من (أ).

(٧) في (أ): (حتى تختلف عبارته فيه)، وفي (م): (حتى يختلق عبارته فيه).

(٨) في (أ): (عشر)، وهو خطأ. (٩) في (أ) و(م): (وتخصيصه).

(١٠) في (أ) و(م): (المرق).

(١١) في (أ) و(م): (لم يعينه). وفي (ر): (على اختلافهم في شأنه).

(١٢) أورد الشيخ رحمه الله الهندي الخلاف الحاصل بين إنجيل متى وإنجيل مرقس في هذه القضية وذلك ضمن الباب الذي خصصه للحديث عن الاختلافات الواقعة بين الأناجيل، راجع: إظهار الحق ١/١٠٨ - ١٠٩. تحقيق عمر الدسوقي.

(١٣) في (ر): (دال). (١٤) من الجميع.

(١٥) ساقط من (أ).

عليه السلام لما خرج من بلاد (أريحا)[1] ناداه مكفوفان اثنان وقالا له: يا ابن داود ارحمنا. وإنه فتح أعينهما هنالك فصارا[2] يبصران)[3].

وقال ماركوس في العاشر من إنجيله إن عيسى لما (خرج من البلد المذكور ناداه مكفوف / واحد وأن عيسى فتح[4] عينيه)[5] ومعلوم في الإنجيل أن عيسى[6] لم يمر بتلك[7] البلدة إلا مرة واحدة، فقد كذب متى في كونهما مكفوفين اثنين وكذب ماركوس في كونه مكفوفاً واحداً لأن القصة واحدة وفي إقرارهما (بأن المكفوف نادى عيسى فقال[8] يا ابن داود ونسبه[9] إلى نسل[10])البشر[11] من الناس ما يكذب عقائدهم فيه[12]، فإن المكفوف[13]

[٣٥ أ]

---

(١) في الأصل: (خبازرد)، وكذا في (ر) وفي (أ) و(م): (خبازر)، وما أثبتناه أصح، وذلك بالرجوع إلى النص في إنجيل متى، وسيأتي.
ولعل المؤلف قد وضع هذا الإسم حسبما هو معروف في لغته، والله أعلم.

(٢) في (م): (فصارى مبصري)، وهو خطأ.

(٣) ورد هذا النص كالتالي: (وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير وإذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا سيدنا ابن داود، فانتهرهما الجميع ليسكتا فكانا يصرخان قائلين ارحمنا يا سيدنا ابن داود، فوقف يسوع وناداهما وقال: ماذا تريدان أن أفعل بكما؟ قالا: يا سيد أن تفتح أعيننا فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه) متى ٢٠ : ٣٠ - ٣٤.

(٤) في (أ) و(م): (فتح عينه).

(٥) النص من مرقس كالتالي (فأجاب يسوع وقال له: ماذا تريد أن أفعل بك، فقال له الأعمى: يا سيدي أن أبصر، فقال له يسوع: اذهب إيمانك قد شفاك، فللوقت أبصر واتبع يسوع في الطريق) مرقس. ١٠ : ٥١ - ٥٢.

(٦) ما بين القوسين غير واضح في (ر).

(٧) في (أ): (في تلك).

(٨) في (ر): (وقال).

(٩) في (م): (ونسباه).

(١٠) نسل: ساقطة من (م).

(١١) ما بين القوسين ورد في (أ) كالتالي: (المكفوفان نادا عيسى فقالا له: يا ابن داوود ونسباه إلى نسب)، وفي (م) وردت كالتالي: (المكفوفين ناديا عيسى وقالا له: يا ابن داود)، وما في الأصل أصح.

(١٢) ساقطة من (أ) و(م).

(١٣) في (ر): (فإنه لم يقل).

ما قال (له يا إلّه أو يا ولد الله أو يا خالق[1] المخلوقات)[2] كما[3] زعموا فيه لعنهم الله، وإنما قال[4] : يا ابن داود فنسبه إلى نبي من الأنبياء الكرام ليشير إلى أن نسب أمه مريم من هذا العنصر الطاهر، وهو كذلك لأن مريم عليها السلام من ذرية داود بن إيشار[5] بن سبط يهوذا[6] بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

ومن ذلك ما قاله متى في الفصل السابع والعشرين من إنجيله: (إن عيسى المسيح صلب معه لصان فكانا يشتمانه في حالة الصلب)[7].

---

(١) في (ر): (يا خالق البشر).

(٢) في (أ): (فإن المكفوف لم يقل يا الإلّه ولا يا ابن إلّه ولا يا خالق المخلوقات). وفي (ر): (فإنه لم يقل له يا إلّه أو يا ولد الله) وفي (م): (لم يقل يا لهه ولا بابن الله ولا).

(٣) يعترف المسيحيون ـ على الرغم من هـذا ـ بوقوع الاختلافـات والتعارض بـين كتّاب الأناجيل، ومع ذلك فإنهم لا يلاحظون أن هذه التناقضات من شأنها أن تلحق الشك والريبة بكتّاب الأناجيل، فقد اعترف جاك جومير بهذا قائلاً: (والعقبة الرئيسية التي تواجه الباحث في هذا المجال تبرز مما نلمسه من اختلافات في عرض الحادثة الواحدة بين نصوص الأناجيل المتقابلة الثلاثة (أي متى ولوقا ومرقس) إنه من المسلم به أن بعض التفاصيل المادية للحوادث التي شهدها «الرسل» أخذت تضعف في ذاكرتهم على مـر السنين؟؟.
لنقـرأ مثلاً النصـوص التي تحكي معجزة شفـاء الأعمى في مدينـة أريحـا: واحـد من الإنجيليين الثلاثة يجعل لقاء الأعمى بيسوع عند مدخل المدينة والآخران عند مغادرة يسوع لها فضلاً عن أن النصوص تتردد في عدد العميان في الحادثة الواحدة نفسها بين أعمى واحد وأعميين اثنين). انظر: المسيح ابن مريم، جـاك جوميـر، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٤) في (م): (قال له).

(٥) كذا في جميع النسخ،ولم أجد له ترجمة بهذا الاسم وإنما هناك «أبيشاي» أو «أبشاي» وهو اسم عبري وربما معناه «أبي يس» وكان ابن صورية أخت داود وكان هو وأخواه يوأب وعسائيل من ضمن أبطال داود البارزين. (٢ صم ٢ : ١٨). انظر ترجمته: في قاموس الكتاب المقدس، ص ٢١. علماً بأن المصادر الإسلامية لا تذكر شيئاً عنه. والله أعلم.

(٦) انظر ترجمته: ص ١٨٧ هامش ١ من هذا البحث.

(٧) ورد هذا النص كالتالي:(حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار =

وقال لوقا في الفصل الثالث والعشرين من إنجيله: (إن أحد اللصين هو الذي هزأ[1] بعيسى وقال له: إن كنت المسيح حقاً[2] فخلص[3] نفسك وخلصنا، فزجره اللص الآخر وقال له: (ما تخاف[4] الله) وتعلم أن الذي أصابه قد أصابك مثله (وأنت[5] وأنا) نستحق[6] ما فعل بنا وهو لا يستحق شيئاً[7]. ثم قال للمسيح: يا سيدي اذكرني يوم مجيئك من ملكوتك فقال له المسيح: أقول[8] / حقاً إنك تكون معي ذلك اليوم[9] في جنة الفردوس)[10]. [٣٥ب]

= وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب... وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه) متى ٢٧ : ٣٨ - ٤٠.

(١) في بقية النسخ: (استهزأ). (٢) ساقطة من (أ) و (م).

(٣) في (أ): (خلص). (٤) في (أ) و (م): (أما تخاف الله).

(٥) في (أ): (أناوأنت) وفي (م): (أماأناوأنت). (٦) في (ر) (نستحقان).

(٧) في (ر): (سوا). (٨) في (ر): (اعرف).

(٩) الحياة الأخروية في النصرانية تختلف باختلاف الطوائف والمذاهب، وقد لخصها أحد علمائهم بثلاث نظريات هي:

أ - شمولية الخلاص، أي: أن جميع الأفراد بلا استثناء يتوصلون في النهاية إلى الكمال.

ب - الشرطية: سوف تقدر الحياة بعد الموت للذين يستحقونها وحدهم.

جـ - الطوبى أو الهلاك الأبدي: فالنفوس الطيبة توهب السعادة السماوية بينما يقاسي السيئون إلى الأبد في جهنم.. لانفصالهم عن الله. انظر: المذاهب الكبرى في التاريخ، البان .ج. ويدجيري، ص ١٤٥.

(١٠) هذا النص جاء كالتالي: (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أو لا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله، ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس). لوقا ٢٣ : ٤١ - ٤٣.

(والفردوس: أعلى مكان في الجنة، ولغة: للبستان قال الفراء: هو عربي والفردوس أيضاً حديقة في الجنة). مختار الصحاح ٤٩٦. =

وهذا اختلاف[1] بيّن، لأن متى (أوجب على اللصين كليهما[2] النار)[3] (لأنهما شتما المسيح)[4]. ولوقا أوجب لأحدهما الجنة وقد كذبا في (أصل قضية)[5] صلب المسيح وكفرا[6] بذلك[7] فعليهما لعنة الله.

ويوحنا الذي حضر لصلب[8] المصلوب قال (في إنجيله)[9]: إن سارقين صلبا معه أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله)[10] ولم يذكر أنهم قالا له شيئاً البتة وهذا تمام[11] الاختلاف والاختلال لعنهم الله أجمعين[12].

ومن ذلك أن متى قال في الفصل الحادي والعِشرين من إنجيله: (إن

= أما مفهوم الفردوس في المسيحية فيعني ما يلي: فردوس كلمة فارسية معناها الأصلي (حظيرة أو حديقة) وكان الفردوس مكان السعادة الذي فقده الإنسان. (تك ٢: ٢٢ - ٢٤).

وعليه فقد صارت اللفظة تشير إلى مقر الأموات الصالحين، وكان اليهود يميزون بين الفردوسين فردوس علوي هو جزء من السماء وفردوس سفلي هو قسم من مقر الموتى وتخصص لنفوس الأبرار، أما في العهد الجديد فالفردوس يعني السماء (لوقا ٢٣: ٤٣) إلخ. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٤.

(١) في (ر): (اختلاف).
(٢) في (أ): (لهما).
(٣) في (م): (وأوجب لهما النار).
(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).
(٥) في بقية النسخ: (كذبا في قصة صلب).
(٦) في الأصل: (وكفر) وفي (ر): (وكفرا كما قالا)، والمثبت من (أ)، للتثنية.
(٧) في (م): (في ذلك).
(٨) في (أ): (صلب) وفي (ر): (خص الصلب بالمصلوبين) وفي (م): (صلب المصلوبين)، ويلاحظ أن المصنف يجاري النصارى في قولهم حتى يصل إلى مقصوده من الرد عليهم.
(٩) ساقطة من (أ) و (م).
(١٠) ورد هذا كالتالي: (وأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له: موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية: جلجثة حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط) يوحنا: ١٩: ١٧ - ١٨.
(١١) في (أ) و(م): (في غاية) وفي (ر): (من تصادم).
(١٢) ساقطة من (أ) و (م).

المسيح ركب دابة وهو سائر لبيت المقدس مثل ما قاله فيه بعض الأنبياء ترون سلطانكم[1] جاءكم[2] على دابة)[3].

وقال ماركوس في الفصل الحادي عشر من إنجيله: (إن المسيح كان راكباً على جحش[4] ابن الدابة[5]) ولم يذكر أنه ركب الدابة أصلاً.

وقال لوقا في الفصل التاسع عشر من إنجيله: (إنه كان راكباً على الدابة)[6] ـ مثل ما قال متى ـ.

---

(١) في (أ) و (م): (سلطاناً). (٢) ساقطة من (أ) وفي (ر)، (م): (جاء).

(٣) ورد هذا كالتالي: (فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان، فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما ووضعا ثيابهما فجلس عليهما). متى ٢١: ٥ ـ ٦.
ويلاحظ هنا أن النسخة التي بيد المؤلف تذكر دابة دون جحش، أما التي بين أيدينا من العهد الجديد فإنها تذكر أتاناً وجحشاً. فليُتأمل.

(٤) في (ر): (جحيش) وفي (م): (جحيش ابن دابة).

(٥) ورد هذا النص كالتالي: (ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجى وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما، فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه وأتيا به... فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه). مرقس ١١: ١ ـ ٧. وهذه الرواية تتفق مع ما قاله المؤلف.

(٦) في (م): (جحيش ابن دابة) والنص جاء كالتالي: (وإذ قرب من بيت فاجى وبيت عنيا عند الجبل الذي يدعى جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه قائلاً: اذهبا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاه وأتيا، وإن سألكما أحد لماذا تحلانه فقولا له هكذا إن الرب محتاج إليه.. وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه: لماذا تحلان الجحش، فقالا: الرب محتاج إليه، وأتيا به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع). لوقا ١٩: ٢٩ ـ ٣٦.
وهنا أيضاً نلاحظ الاختلاف بين ما هو بيد المؤلف من نص مغاير للنص الذي بأيدينا، وهذا ما يسبب لنا مشكلة أخرى إضافة إلى الاختلاف الحاصل بين نصوص الأناجيل نفسها.

وقال يوحنا في الفصل الثاني عشر من إنجيله: (إنه كان راكباً الجحيش ابن[١] الدابة)[٢] مثل ما قال ماركوس.

فانظروا[٣] رحمكم الله إلى اختلافهم البارد[٤] وكذبهم الظاهر في[٥] قولهم (إنه ركب الجحيش ـ وصغّره لصغر سنه ـ وما كان كذلك)[٦] كيف / يركبه الإنسان[٧]؟. [٣٦ أ]

ومن ذلك[٨] ما قال متى في الفصل العشرين من إنجيله: (إن مريم[٩] زوجة زبداي جاءت إلى المسيح وقالت له: (إني أريد منك[١٠]) أن ولَدَيَّ

---

(١) في (أ): (ابن دابة).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (م). وقد ورد هذا النص كالتالي: (ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان). يوحنا ١٢: ١٤ ـ ١٥.
وفي ضوء هذه الاختلافات نستطيع أن نقول: إن رواية متى تختلف عن رواية بقية الأناجيل الأخرى، إضافة إلى اعتراض المؤلف على موضوع الجحش الصغير الذي لا يمكن للإنسان أن يركبه لصغره، وقد اعترض الإمام ابن حزم على النصارى في نفس هذا الموضوع، انظر الفصل له ٢/٥٢.

(٣) في الأصل: (وانظر)، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في (أ) و(م): (الصادر). (٥) في (م) بزيادة: (في قول بعضهم).

(٦) في (أ): ما بين القوسين ورد في (أ) كالتالي: (إنه ركب الدابة وقول بعضهم إنه ركب على جحيش وصغره لصغر سنه وما كان صغيراً).

(٧) اعتراض المؤلف في محله لأنه كما قلنا في السابق إنه لا يمكن ركوب جحش صغير لعدم تمكنه من الحمل.

(٨) في (أ): (ومن ذلك أيضاً).

(٩) الصحيح أن اسمها سالوما وليس «مريم» وذلك حسب ما جاء في ترجمتها في قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧.
وفي (م): (مريم زوجت زبداي)، وهو خطأ.

(١٠) ساقطة من (ر).

(الاثنين يجلسان)[1] غداً في ملكوتك أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك[2]).

وقال ماركوس في الفصل العاشر من إنجيله: (إن ولدي خالة عيسى وهي مريم امرأة زبداي قالا له: يا[3] معلم نحب منك أن تنعم علينا بما[4] (نطلبه منك[5]) فقال: أي شيء تريدان؟ قالا[6] له: أنعم[7] علينا بأن[8] يجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك[9] في ملكوتك)[10].

وأما لوقا ويوحنا فما[11] ذكرا في إنجيليهما شيئاً من هذه القصة (عن الولدين[12] ولا عن أمهما)[13]، مع أن يوحنا كان ملازماً للمسيح[14] ولم

---

(١) ساقطة من (أ) و(م).

(٢) ورد هذا النص كالتالي: (حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيهما وطلبت منه شيئاً فقال لها ماذا تريدين قالت له قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك). متى ٢٠ : ٢٠ ـ ٢١.

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في (أ): (فيه).

(٦) في (أ): (فقالا). و «له»: ساقطة.

(٧) في (ر): (تنعم).

(٨) في (أ) و (ر): (أن).

(٩) ساقطة من (أ) و (م).

(١٠) هذا النص ورد كالتالي: (وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين يا معلم نريد أن تفعل لناكل ما طلبنا فقال لهما: ماذا تريد أن أفعل لكما: فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك، فقال لهما يسوع: لستما تعلمان ما تطلبان. .). مرقس ١٠ : ٣٥ ـ ٣٨.

(١١) في (أ) و (م): (ما ذكرا).

(١٢) في الأصل: (الولد)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٣) بالرجوع إلى إنجيليْ لوقا ويوحنا لا يجد القارىء فعلاً أي ذكر لهذه الحادثة مع أن كلا الإنجيلين قد ذكرا بداية القصة وهي دخول المسيح إلى أورشليم مع تلاميذه. راجع: لوقا ١٨ : ٢٨ ـ ٣٥، ويوحنا ١٢ : ١٤، مما يؤكد صحة ما ذهب إليه المؤلف. إضافة إلى الخلاف الحاصل بين متى ومرقس والذي أورده المؤلف. مع ملاحظة أن ابن حزم قد رد على المسيحيين في هذه النقطة. انظر: الفصل له ٢/٥٢. =

يفارقه حتى رفع عيسى عليه السلام[1] وهذا من الاختلاف الركيك فإن متى قال: الأم[2] (طلبت ذلك)[3]، وماركوس قال (الولدان)[4] هما اللذان طلبا، وصاحباهما[5] الآخران خالفاهما بعدم ذكر هذه القصة أصلاً، ومن اختلافهم أيضاً ما قاله متى في الفصل التاسع[6] من إنجيله: (إن تلاميذ يوحنا قالوا للمسيح: لأي شيء نصوم نحن ويصوم الفريزيون[7] وتلاميذك لا يصومون[8])

وقال ماركوس في الفصل الخامس من إنجيله: (إن الكتاب والفريزيين

= (١٤) في (أ): (للمسيح في الأيام الذي اجتمع معه فيها)، والأصح التي بدل الذي. في (م): (في اليوم الذي اجتمع معه فيه).

(١) ساقطة من (م).
(٢) في (أ): (إن الأم).
(٣) في (ر): (طلبته).
(٤) في (م): (الوالدان)، وهو خطأ.
(٥) في الأصل: (صاحباه)، والمثبت من بقية النسخ.
(٦) في (أ) و(م): (التاسع عشر)، وهو خطأ والأصح كما هو ثابت في الأصل.
(٧) كذا في جميع النسخ، والأصح: («الفريسيون»: من الكلمة العبرية «بيروشيم» أي المنعزلون، وكانوا يلقبون أيضاً بلقب «حبيريم»، أي الرفاق أو الزملاء وكذلك يلقب الحاخاميم «الحاخامات» أو الفقهاء وهم أيضاً «الكتبة».
(وهم) إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين فئتي الصدوقيين والأسنيين وكانت أضيقها رأياً وتعليماً. . .
أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة، وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح. . غير أنه على مر الزمن دخل حزبهم من كانت أخلاقهم دون ذلك ففسد جهازهم واشتهر معظمهم بالرياء والعجب فتعرضوا عن استحقاق للانتقاد اللاذع والتوبيخ القاسي) انظر موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. عبدالوهاب محمد المسيري، ص ٢٨٣، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ - ٦٧٥.
(٨) جاء هذا النص كالتالي: (حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين: لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون). متى ٩: ١٤. مع ملاحظة أن السائل هم تلاميذ يوحنا.

قالوا للمسيح: لأي شيء يصوم تلاميذ يوحنا[١] وتلاميذك / يأكلون [٣٦ ب] ويشربون ولا يصومون)[٢].

وهذا[٣] اختلاف ظاهر، لأن النص الأول فيه «الفريزيون[٤] يصومون» وأن السائلين هم تلاميذ يوحنا. والنص الثاني فيه «أن الفريزيين»[٥] هم السائلون، بزيادة يحيى بن زكريا، والكتّاب[٦] معهم. ولم يذكروا أنفسهم في صيام ولا إفطار[٧].

---

(١) يعني: «يوحنا المعمدان» كما يطلق المسيحيون عليه.
أما المسلمون فهو عندهم: النبي يحيى عليه السلام (وقد كان يحيى على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى منذ صباه وقد قال الله تعالى فيه: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ (آل عمران: الآية ١٢). والظاهر أن الله تعالى رزقه الإقبال على معرفة الشريعة حتى صار عالماً بها في صباه ـ وقد نبيء قبل أن يبلغ الثلاثين ـ وكان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب. . . ولما بلغ المسيح أن يحيى قد قتل جهر بدعوته وقام في الناس واعظاً). انظر: قصص الأنبياء، لعبدالوهاب النجار ص ٣٦٩.
وانظر أيضاً: يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية، د. أحمد السقا ص ٥؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٦.

(٢) ورد هذا النص في إنجيل مرقس كالتالي:(وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون فجاؤا وقالوا له: لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون). مرقس ٢: ١٨. وليس في الإصحاح الخامس كما ذكر المؤلف و«الفريسيون» أصح من الفريسيين كما جاء في نص مرقس. والضمير في قوله: (فجاؤا) يعود على الكتبة والفريسيين المذكور في الفقرة ١٦من نفس الإصحاح وقد جاء فيه: (وأما الكتبة والفريسيون فلما رأوه يأكل مع العشارين والخطاة قالوا لتلاميذه. . .) لوقا ٢: ١٦ وقد تنبه المصنف رحمه الله إلى ذلك مع أن هذه الفقرة توقع القارىء في الالتباس نظراً لركاكة نصوص الأناجيل فمثلاً جملة: (وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون فجاؤا وقالوا. .) ربما يظن القارىء لأول وهلة أن التلاميذ هم الذين جاؤا، والصحيح غير ذلك بل الكتبة والفريسيون.

(٣) في (ر): (فهذا).

(٤) في (ر): (العزيزيين). وفي (أ): (العزيريون)، وكلاهما خطأ.

(٥) في (أ): (العزيريون).

(٦) ساقطة من (م)، ويقصد المصنف من هذا القول أن الفريسيين والكتبة هم السائلون مع إضافة اسم يحيى عليه السلام أي: يوحنا.

(٧) في (أ) و(م): (فطر).

ومن ذلك ما قال متى[1] في الفصل الثالث من إنجليه: (إن يوحنا (يأكل الجراد والعسل)[2] فخالف قوله في الفصل الحادي عشر من إنجيله أن عيسى عليه السلام قال لليهود: جاءكم يوحنا لا يأكل ولا يشرب فقلتم إنه مجنون وجاءكم «ابن فليبس»[3] ـ معناه: اسم[4] ابن الإنسان ـ يعني نفسه ـ يأكل ويشرب فقلتم هذا[5] إنسان كبير الجوف ويشرب[6] الخمر)[7].

وهذا اختلاف ظاهر في كلام متى، لأنه نفى عن يوحنا الأكل والشرب في أحد نصيه وأثبت له أكل الجراد[8] والعسل في النص الآخر[9] وغفل النصارى عن صريح الحجة عليهم في قول المسيح عن نفسه إنه ابن الإنسان[10] وإنه يأكل ويشرب الماء والخمر[11]، وهذا إقرار منه أنه إنسان[12] ابن إنسان محتاج[13] إلى مدد[14] الغذاء وقوام بنية جسمه[15] بالطعام والشراب وهذا يكذب دعواهم فيه أنه إله[16] وابن الإله[17] فتعالى الله رب العالمين عن

---

(١) في (أ) و (م): (ما قاله متى).

(٢) (وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً) متى ٣: ٤.

(٣) في (م): (قليبس).

(٤) في (ر): (ساقطة).

(٥) ساقطة من بقية النسخ.

(٦) في (م): (يأكل ويشرب).

(٧) (لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هذا إنسان أكول وشريب خمر). متى ١١: ١٨ ـ ١٩.

(٨) في (أ) و (م): (العسل والجراد).

(٩) في (م): (الثاني). ويلاحظ القارىء هذه الدقة التي توصل إليها المصنف.

(١٠) في (أ) و (م): (ابن إنسان).

(١١) أشرنا مراراً إلى أن الأنبياء معصومون ولا يمكن أن يصدر عنهم ما يخدش هذه العصمة كالزنا وشرب الخمر والسرقة.. إلخ، والمؤلف يجاري النصارى في نصوصهم وأقوالهم للرد عليهم وكشف تناقضاتهم.

(١٢) في (ر): بأن الإنسان ابن الإنسان.

(١٣) في (م): (محتاج).

(١٤) في (أ) و (م): (مواد).

(١٥) في بقية النسخ: (جسده).

(١٦) في (ر): (أو ابن).

(١٧) في (أ): (إله).

كفرهم علواً كبيراً[1].

ومن / اختلافهم وصريح كذبهم على الله ورسوله[2] ما قاله يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله: (إن المسيح قال لليهود إن أبي الذي أرسلني هو[3] يشهد لي ولا سمع[4] قط أحد صوته[5] ولا رآه)[6] وهذا قريب إلى الصحة من قول المسيح. ثم خالفه متى في اللفظ والمعنى بالكفر الصريح فقال في الفصل السابع[7] عشر من إنجيله: (إن المسيح طلع على جبل طابور ومعه (بيترو[8] جافصو) ويوحنا الحواري فلما استقـروا فوق الجبل إذا وجه المسيح [٣٧ أ]

---

(١) كشف ابن حزم هذا التناقض الواقع بين النصين وأضاف إلى ذلك قوله: (فإن ذكر أن يحيى كان لا يأكل ولا يشرب، وأن المسيح كان يـأكل ويشـرب، وبلا شـك أن من أغناه الله عز وجل عن الأكل والشرب من الناس فقد أبانه ورفع درجته عمن لم يغنه عن الأكل والشرب منهم، فيحيى أفضل من المسيح بلا شك على هذا. وقصة ثالثة وهي اعتراف المسيح على نفسه بأنه يأكل ويشرب وهو عندهم إلَه فكيف يأكل الإلَه ويشرب؟ ما في الهوس أكثر من هذا. فإن قالوا: إن الناسوت منه هو الذي كان يأكل ويشرب قلنا: وهذا كذب منكم على كل حال لأنه إذا كان المسيح عندكم لاهوتاً وناسوتاً معاً فهو شيئان، فإن كان إنما يأكل الناسوت وحده فإنما أكل الشيء الواحد من جملة الشيئين ولم يأكل الآخر فقولوا إذاً أكل نصف المسيح وشرب نصف المسيح وإلا فقد كذبتم بكل حال وكذب أسلافكم في قولهم أكل المسيـح ونسبتم إلى المسيح الكذب. . . .) الفصل لابن حزم ٢/٤٢ ـ ٤٣.

(٢) في (أ): (رسوله عيسى).

(٣) في (أ): (هو الذي).

(٤) في (م): (أحد قط).

(٥) في (ر): (ولا يراه).

(٦) (كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة، وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا، لأن الأعمال التي أعطاني الأب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني والأب نفسه الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولاأبصرتم هيئته. .). يوحنا ٥: ٣٥ ـ ٣٧.

(٧) في (أ) و(م): (التاسع عشر)، وهو خطأ والأصح ما في الأصل.

(٨) في (أ) و (م): (بتروا وجافصوا ويوحنا الحواريـون)، وهو خـطأ، والأصح: بـطرس ويعقوب ويوحنا أخاه ، وسيأتي كامل النص فيها بعد. أما الثـلاثة فهم ـ حسب مـا يدعون ـ تلاميذ المسيح.

يضيء كأنه الشمس[١] فما قدروا ينظرون[٢] إليه وسمعوا صوت الأب من السماء يقول[٣] : هذا ولدي الذي اصطفيته لنفسي اسمعوا منه وآمنوا به)[٤].

وهكذا قال ماركوس في الفصل التاسع من إنجيله[٥]، وقال يوحنا في الفصل الرابع عشر من إنجيله: إن المسيح قال للحواريين: (أنتم تعرفون أبي ورأيتموه)[٦] فقال فليبوا[٧] الحواري: يا سيدي كيف رأينا الآب؟ فقال له[٨] المسيح: يا فليبوا[٩] إني معكم كثيراً[١٠] وعرفتموني يا فليبوا[١١] أليس من رآني فقد رأى أبي)[١٢].

---

(١) في (م): (قمر أو الشمس).

(٢) حسب السياق الأصح أن يقال: فما قدروا أن ينظروا.

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) ورد هذا النص كالتالي: (وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه فجعل بطرس يقول ليسوع: يا رب جيد أن نكون ههنا فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظالٍ لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا). متى ١٧ : ١ ـ ٥.

(٥) ورد هذا النص في إنجيل مرقس الإصحاح ٩ : ٢ ـ ٨ بنفس النص مع تعديل طفيف فيه.

(٦) في (أ) و (م): (رأيتم أبي وعرفتموه) وفي (ر): (سمعتم).

(٧) في بقية النسخ: (قليوا)، والأصح: فيليبس، وقد جاءت ترجمته كالتالي: (هو أحد الرسل الإثني عشر). متى ١٠ : ٣ ـ كما يدعون ـ وكان من بيت صيدا على بحيرة طبرية التقى به يسوع أولاً في بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد فدعاه فتبعه.. وعندما أراد إطعام الخمسة آلاف ـ أي المسيح ـ امتحن أولاً فيليبس وسأل: من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ (يو ٦ : ٥ ـ ٦). ويقول يوسيبيوس إن فيليبس قد دفن في هيرابلوليس في آسيا الصغرى) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٢.

(٨) ساقطة في بقية النسخ. (٩) الأصح فيليبس.

(١٠) في جميع النسخ: (كثير)، والأصح ما أثبتناه. (١١) فيليبس.

(١٢) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا (قال له فيليبس: يا سيد أرنا الأب وكفانا، قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه المدة ولم تعرفني يا فيليبس الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب..). يوحنا ١٤ : ٨ ـ ٩.

وهذا من الاختلاف الظاهر والكفر الفاحش أما الاختلاف فبين[1] ما قاله[2] يوحنا عن المسيح (إن الذي أرسله) [3] يشهد له يعني بصحة نبوته ورسالته ولا سمع أحد قط صوته[4] ولا رآه، وبين ما قاله يوحنا[5] المذكور أن المسيح قال / للحواريين أنتم رأيتم أبي وعرفتموه أليس من[6] رآني فقد رأى أبي. [٣٧ ب]

وكذلك قول[7] متى في قصة جبل طابور[8] وأن الثلاثة الذين كانوا[9] مع عيسى سمعوا كلام الأب يعني رب العباد تبارك وتعالى عن قولهم ـ وأنه قال لهم[10] عن المسيح: هذا ولدي الذي اصطفيته[11] وحاشا له[12] أن يسمع[13] مخلوقاته كلامه[14]، وتقدس عن الصاحبة والولد فكيف يشهد[15] لعيسى أنه ولده[16] بل هذا كله[17] من بهتانهم[18] وجرأتهم[19] على الله في الكذب[20] عليه وعلى رسوله عيسى، . . . ومقصودهم[21] هم بجميع

---

(١) في(أ)و (ر) :(بين)وفي(م) :(فهو بين). (٢) في (أ) و(م): (يوحنا المذكور).
(٣) في (ر): (أرسلني يشهد لي). (٤) ساقطة من (أ) و(م).
(٥) ساقطة من (أ) و (م). (٦) في (أ) و (م) ساقطة.
(٧) ساقطة من (م).
(٨) في (أ): (وكذلك قصة جبل طابور)، ولم أجد ترجمته.
(٩) ساقطة من (ر).
(١٠) في (ر): ساقطة. (١١) في (أ) و (م) بزيادة: (لنفسي).
(١٢) في (أ) و (م): (الله) وفي (ر): (الإله). (١٣) في (أ) و (م): (أن تسمع).
(١٤) قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ (الشورى: الآية ٥١)، والمصنف إنما قصد من كلامه (أنه بصورة عامة لا يسمع الناس كلام الله)، وتأتي الآية مفصلة لهذا الإجمال.
(١٥) في الأصل: (يشهدوا)، والمثبت من بقية النسخ.
(١٦) في (م) بزيادة: (عز وجل). (١٧) ساقطة من (ر).
(١٨) في (أ): (من بهتانهم لعنهم الله) وفي (م) بزيادة: (وعظيم كفرهم).
(١٩) في (ر) و (أ): (جراءتهم).
(٢٠) في (أ) و(م): (على الله وعلى رسوله عيسى).
(٢١) في (ر): (وقصدهم). . . في (م) بزيادة: (لعنهم الله).

هذه الأكاذيب ترويج لعقائدهم في ألوهية [١] المسيح وكونه ولد الله تعالى الله عن ذلـك ثم أوقعهم الله بعظيم قـدرته وبـاهـر [٢] حكمتـه في التنـاقض وتخـاذل [٣] النقل وتـدافـع اللفظ والمعنى [٤] من حيث يشعـرون [٥] أو لا يشعرون فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [٦] .

(١) في الأصل و (ر): (بالإلهية)، والمثبت من (أ) و(م).

(٢) في (م): (وبهار حكمته من).

(٣) في (ر): (وتخالف العلل).

(٤) اهتم العلماء المسلمون بهذا الموضوع بالذات وأوضحوا هذا التدافع الحاصل في العهد القديم والجديد وبينوا أهمية هذا الأمر في تناقض الأناجيل واختلافاتها، ومن ذلك ما كتبه الإمام عبدالملك الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ في كتابه «شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل»، كما اهتم العلماء في العصر الحديث بهذا الجانب كالشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ص ٢٠٦ ـ ٢٩٢ .

(٥) ساقطة من (ر) وفي (م): (من حيث لا يشعرون أو لا يشعرون).

(٦) في الأصل و (أ) (لعنة الله أجمعين)، والمثبت من (ر).

الباب السابع:

فيما نسبوا إلى عيسى عليه السلام[1] من الكذب[2] وهم الكاذبون الكافرون[3] لعنهم الله[4] تعالى وعيسى قد برأه الله من جميع أقوالهم[5] واعتقادهم

فمن ذلك ما قاله لوقا في الفصل الثاني والعشرين من إنجيله: (إن عيسى عليه السلام قال للحواريين: إن الشيطان أراد فساد يقينكم. ثم قال «لبتروا»[6] منهم: أنا رغبت من أبي أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد [٣٨ أ] يقينك)[7].

---

(١) ساقطة من (أ) و (م).

(٢) الكذب محال في حق الرسل عليهم السلام في اعتقاد المسلمين (لأنهم أرسلوا ليعلموا الناس بأقوالهم وأفعالهم وسكوتهم فيلزم أن لا يكون في جميعها مخالفة لأمر مولانا جل وعز الذي اختارهم على جميع خلقه وأمنهم على سر وحيه) متن السنوسية، محمد يوسف الحسني ص ٨.

(٣) ساقطة من (أ) و (م).

(٤) ساقطة من (أ) و (م).

(٥) قال الله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ (مريم: الآية ٣٤). وقال أيضاً ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ (المائدة: الآية ١٦٦ ـ ١٦٧). فإن عيسى عليه السلام نفى كل ما نسبوه إليه من دعوى الألوهية فمن باب أولى أن ينفي أيضاً ما نسبوه إليه من دعاوى باطلة.

(٦) أي: بطرس، كما هو ثابت في نص إنجيل لوقا.

(٧) (وقال الرب: سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة ولكني طلبت =

ثم إن بتروا[1] هذا كفر بعيسى وارتد[2] عن دينه بعد أيام من أخبار عيسى (له بأن الشيطان لا سبيل له على فساد يقينه وأن تلاميذ عيسى)[3] لم يكفر أحد منهم إلا بتروا هذا.

فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى تناقض هؤلاء المخاذل[4] فيما ينقلونه[5] (عن رجل اعتقدوا)[6] أنه نبي[7] معصوم (ومع ذلك زعموا فيه أنه هو[8]) الله، ابن الله فكيف يخبر عن شخص واحد من بين[9] تلاميذه أن يسأل[10] الله له أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على إفساد يقينه[11] ثم يقولون إن

= من أجلك لكي لا يفنى إيمانك وأنت متى رجعت ثبت إخوتك فقال له: يا رب إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت فقال: أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني) والقصة طويلة، انظر لوقا ٢٢ : ٣١ وما بعدها.

(١) أي: بطرس.

(٢) في الأصل: (على)، والأصح ما أثبتناه من (أ) و (م).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) و (م).

(٤) في الأصل و (ر) و (م): (المخاذيل)، والمثبت من (أ). (وهي من: خذل: خذله يخذله خذلاناً بكسر الخاء ترك عونه ونصرته) مختار الصحاح، ص ١٧١.

(٥) في (أ) و (م): (نقلوه).

(٦) في (م): (اعتقد) وفي (ر): (عن عيسى وأنهم يعتقدون).

(٧) في (ر): (نبي مرسل معصوم).

(٨) في (ر): (ومع ذلك يعتقدون أنه) وفي (م): (ومع ذلك زعموا فيه أنه).

(٩) ساقطة من (أ) و (م).

(١٠) في الأصل: (سأل)، والمثبت من (أ).

(١١) قصد المصنف من هذا القول: أن «بطرس» حينما أنكر المسيح خرج عن الدين في حين أنه كان ينبغي عليه أن يدافع عن سيده وقد أكد إنجيل يوحنا هذه الحادثة (وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي فقالوا له: ألست أنت أيضاً من تلاميذه فأنكر ذاك وقال: لست أنا...) يوحنا ١٨ : ٢٥، كذلك متى ٢٦ : ٧١ ـ ٧٥.
كما أن «تلاميذ المسيح» ـ حسب اعتقاد المسيحيين ـ قد وقفوا موقفاً سلبياً تجاه هذه المحنة وقد حاول علماء المسيحيين تبرير مواقف أتباع المسيح عندما انفضوا عنه وتركوه يعاني =

التلميذ الذي خصه بهذا الدعاء هو الذي كفر وارتد وأفسد الشيطان دينه ويقينه من دون جميع التلاميذ[1] وهل يكاد أحد يجهل هذا التناقض[2] مع

= المحنة حسب زعمهم فقال درميرش: (.. ولم يكن ذوو يسوع بلا شك ليخافوا الصمود في وجه العتاة... ولكنهم كانوا يخافون بعض العنت كإقصائهم عن المجتمع وطردهم من كل المجتمع الإسرائيلي) «مريم أم المسيح»، للأب فان درميرش.

كما يؤكد «كلارك» هذه الناحية فيقول: (لقد كان وضع التلاميذ مضطرباً وكان في قلوبهم شك تلاه إيمان شديد ثم عاد الشك...). سيرة المسيح وتعاليمه، لدنيس كلارك ص ٢٣١.

هذا ما يراه المسيحيون بالنسبة لوضع التلاميذ. والقول الحق هو الذي ذهب إليه المسلمون: من أن الله تعالى قد أيد عيسى عليه السلام بالحواريين الذين اتبعوه وناصروه قال تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ (آل عمران: الآية ٥٥).

فالحواريون اتبعوه وأدوا رسالتهم خير الأداء ثم جاء من أكمل هذا الطريق.

قال الإمام ابن تيمية: فهذا حق كما أخبر الله به فمن اتبع المسيح عليه السلام جعله الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة وكان الذين اتبعوه إلى دينه الذي لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود وأيضاً فالنصارى فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيامة. وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به بل لما بدل النصارى دينه وبعث الله محمداً ﷺ بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء جعل الله محمداً وأمته فوق النصارى إلى يوم القيامة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأنا لأنه ليس بيني وبينه نبي». انظر: البخاري بحاشية السندي ٢/٢٥٥.

وقال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ (الشورى: الآية ١٣). راجع: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية ١/٢٥٣.

(١) لاحظ الشيخ رحمه الله الهندي هذا الموقف فرد على المسيحيين بالآتي: (... فر الحواريون الذين هم في زعمهم أفضل من موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام في الليلة التي أخذ اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه في أيد الأعداء وهذا ذنب عظيم وإن قيل أن هذا الأمر إن صدر عنهم لجبنهم والجبن أمر طبعي أقول: لو سلم هذا فلا =

الكفر في تجويز الكذب على الأنبياء[1] ووقوع الخلف في إخبارهم وهذا كله من صريح أكاذيبهم على عيسى. (ووالله ما قال[2] شيئاً) من هذه الأضاليل[3]. فنعوذ بالله من الخذلان.

ومن ذلك ما قاله يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله: إن المسيح قال لليهود: حقاً أقول لكم إن الإبن لا يقدر أن[4] يعمل أو[5] يصنع إلا ما رأى أباه[6] يصنعه)[7]. ومن المعلوم بالقطع أن المسيح أكل وشرب وخرج[8] منه ما ينشأ[9] من[10] الغذاء / من الفضلات[11] القبيحة[12] وما رأى أباه[13] (يصنع [٣٨ ب]

= عذر لهم في شيء آخر هو كان أسهل الأشياء هو (إن عيسى عليه السلام كان في غاية الاضطراب في هذه الليلة وقال لهم: إن نفسي حزينة جداً امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً للصلاة ثم جاء إليهم فوجدهم نياماً فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة إسهروا وصلوا فمضى مرة ثانية للصلاة ثم جاء فوجدهم نياماً، فتركهم ومضى ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا واستريحوا) كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من إنجيل متى.

ولو كان لهم محبة ما لما فعلوا هذا الأمر ألا ترى أن العصاة من أهل الدنيا إذا كان مقتداهم أو قريب من أقاربهم في غاية الاضطراب أو المرض الشديد في ليلة لا ينامون في تلك الليلة ولو كانوا أفسق الناس؟؟). راجع إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ٣٢٧/٢

(٢) التناقض المشار إليه في قول المؤلف ثابت لا شك فيه ذلك لأنه حسب ادعائهم بأن عيسى عليه السلام هو ابن لله وله صفة العلم؟ فكيف تكون له هذه الصفة ولم يعلم أن الشيطان سوف يغري بطرس...؟؟.

(١) بل الآلهة لأنهم يزعمون أن المسيح إله ويعلم الغيب.

(٢) في (أ): (فوالله ما قال عيسى من هذه الأضاليل).

(٣) في (ر): (أباطيل).

(٤) ساقطة من (ر). (٥) في (ر) و (م): (ويصنع).

(٦) في الأصل: (يصنع)، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) النص جاء كالتالي: (فأجاب يسوع وقال لهم: الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك). يوحنا ٥: ١٩. (٨) في (م): (وخروج).

(٩) في (أ): (ينشيء). (١٠) في بقية النسخ: (عن الغذاء).

(١١) في الأصل: (الفضلة)، والمثبت من (أ) و(م). =

شيئاً من ذلك لأنه قدوس صمد[1]) [2] ولا إله إلا هو، وعيسى لم يقل شيئاً من هذا ولكن كذب عليه هذا [3] اللعين يوحنا وحده فإن أصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئاً[4] منه البتة[5].

ومن ذلك (أيضاً ما قاله يوحنا[6]) في الفصل السابع عشر من إنجيله: (إن عيسى[7] عليه السلام تضرع إلى الله[8] قبل موته وقال: يا إلٰهي أنا أعلم أنك دائماً تستجيب لي فأسألك أن تنجي[9] تلاميذي من كل شيء في الدنيا والآخرة)[10].

ومعلوم بتواتر النقل عند جميع علماء النصارى أن تلاميذ عيسى عليه السلام[11] أكثرهم مات[12] مقتولاً بالسيف ثم صلب بعضهم وسلخ جلد

= (١٢) في (أ) و (م): (فهل).

(١٣) في الأصل: (رءا)، وفي (أ): (رأى)، والمثبت من (ر).

(١) (الصمد: السيد لأنه يُصمد إليه في الحوائج أي يقصد). مختار الصحاح ٣٦٩.

(٢) ما بين القوسين جاء في (أ) و (م): (ذلك حتى صنعه حاشا الله القدوس الصمد).

(٣) ساقطة من (ر) و (م).

(٤) بالرجوع إلى الأناجيل الثلاثة حول هذه الواقعة بالذات لا يجد القارىء أدنى إشارة إليها مع أن إنجيل يوحنا قد ذكر اسم البلدة التي وقع فيها الحوار وهي قرية بيت حسدا، وإذا رجعنا إلى قاموس الكتاب المقدس ص ٨٧٣ فقرة ٤٥ نجده لا يسند هذا القول إلا إلى يوحنا فقط.

(٥) في (أ) و(م): (من هذا البتة). (٦) في (م): (ما قاله يوحنا أيضاً).

(٧) في (أ) و (م): (المسيح تضرع إلى الله). (٨) في (أ) و (م): (الله تعالى).

(٩) في الأصل: (يجنب)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) هذا النص استخلصه المؤلف من إنجيل يوحنا وهو طويل، وفيه مخاطبة عيسى عليه السلام لله عز وجل ومما جاء فيه: (لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير) إلخ. يوحنا ١٧ : ١٥.

(١١) ساقطة من (أ) و (م).

(١٢) ما قاله المصنف صحيح، وقد تحدث الإمام ابن حزم عن هذه النقطة فقال: (وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا =

بعضهم وعذبوا بأنواع العذاب، (وحاشا أن يسأل الله رسوله عيسى)[1] عليه السلام[2] أن يجنب تلاميذه[3] من كل[4] شيء في الدنيا والآخرة ثم تنالهم هذه المثلات[5] وقبائح الموتات (ويوحنا هو الذي كذب هذه الكذبة على المسيح

= مائة وعشرون رجلاً فقط، هكذا في الأفركسيس، ونسوة منهم امرأة وكيل هردوس وغيرها كن ينفقن عليه أموالهن هكذا في نص إنجيلهم، وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده ويدعون إلى دينه سراً ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولا يظهر دينه وكل من ظفر به منهم قتل إما بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار واشطبين الذي يسمونه بكر الشهداء وغيره، وإما صلب كما صلب باطرة واندرياس أخوه وشمعون أخو يوسف النجار وفليش وبولس وغيرهما أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا وطومار وبرتلوما ويهوذا بن يوسف النجار ومتى، أو بالسم كما قتل يوحنا بن سيذاي، فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز وجل إلا فصولاً يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزياً لهم. . .) الفصل، لابن حزم، ٢/٢١.

(وقيل بأن متى قتل سنة ٧٠ ببلاد الحبشة وذلك على إثر ضرب مبرح تلقاه من أحد أعوان الملك وفي رواية أخرى أنه طعن برمح سنة ٦٢ م بالحبشة، كما أن مرقس قتل بعد أن سجن وعذب سنة ٦٢ ميلادية، كما أن بطرس صلب منكساً في مدينة روما، وهذا يرويه النصارى أنفسهم). انظر: محاضرات في النصرانية، ص ٥٠، ٥٤، ٨٢.

ومن جراء هذا الأمر فإنه لا يمكن الاعتماد على نصوص الأناجيل في نقل العقائد للشوائب الكثيرة التي تعتريها وهذا ما دفع البعض إلى القول: بصعوبة دراسة تاريخ المسيحية (. . . وأول الصعاب التي تعترضها نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند وبالاضطراب وعسر التحقيق. وأقدم هذه النصوص وأهمها لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة ـ هي تلك التي احتواها العهد الجديد والتي استلزمت قبل إمكان الاعتماد عليها تحقيقاً نقدياً مطولاً لم يوشك بعد على الانتهاء. . .). انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير ص ١٧.

(١) في (أ) والأصل (وحشا لله أن يسأل الله تعالى ورسوله عيسى)، والمثبت من (م).

(٢) ساقطة من (أ) و (م).

(٣) في (م): (تلاميذ عيسى).

(٤) ساقطة من (أ) و (م).

(٥) المثلات: (و (مثل) بالقتيل جدعه وبابه أيضاً نصر والمثلة بفتح الميم وضم الثاء العقوبة والجمع المثلات). مختار الصحاح، ص ٦١٥.

وأصحابه الثلاثة)[١] لم يقولوا شيئاً[٢] منه البتة.

ومن ذلك ما قاله يوحنا[٣] في الفصل الخامس عشر من إنجيله: (إن[٤] عيسى عليه السلام قال: (لولا أني أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد[٥] قبلي ما كانت لهم ذنوب بقلة إيمانهم بي)[٦] يعني اليهود وحاشا[٧] عيسى أن يقول هذا فإنه يعلم بالضرورة أن موسى عليه السلام أتى بمعجزات كثيرة عظيمة[٨]، / وكذلك إلياس[٩] واليسع[١٠] عليهما السلام كانا قبل عيسى [٣٩ أ] وكلاهما أحيى[١١] الموتى، واليسع أبرأ الأبرص[١٢] كما أبراه عيسى[١٣] فكيف يزعمون أن عيسى قال: «أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد[١٤] قبلي» بل كذب عدو الله اللعين يوحنا في[١٥] هذا، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا[١٦] شيئاً من ذلك[١٧].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في (م): (هذه منه) وفي (أ): (من هذا) وفي (ر): ساقطة.

(٣) في (أ) و(م): (يوحنا أيضاً). (٤) في (أ) و(م): (المسيح).

(٥) في (أ) و(م): (من الأنبياء).

(٦) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا كالتالي: (لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، أما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب) يوحنا ١٥: ٢٤ - ٢٥.

(٧) في (أ) و(م): (حساشا عيسى عليه السلام).

(٨) انظر: ص ١٥٦ من هذا البحث. (٩) انظر: ص ١٥٤ من هذا البحث.

(١٠) انظر ص ١٥٣ من هذا البحث.

(١١) في الأصل: (أحيا)، والمثبت من (أ).

(١٢) وردت قصة إبراء اليسع عليه السلام في سفر الملوك الثاني الإصحاح الخامس: ١ - ٩.

(١٣) في (ر): (عيسى عليه السلام). (١٤) في (م) (أحد من قبلي).

(١٥) ساقطة من (أ) و(م). (١٦) في (أ): (لم يقولوا شيئاً).

(١٧) بالرجوع إلى هذه الحادثة نجد أن يوحنا هو الوحيد الذي ذكر آخر أحاديث المسيح مع التلاميذ وصلاته حسب زعمهم، ولم تذكر الأناجيل الأخرى أي شيء عن هذا، وقد أشار كتاب «قاموس الكتاب المقدس» إلى هذه النقطة في الجدول المبين في الصفحة ٨٨٢ منه، حادثة رقم ١٤٦.

ومن ذلك ما قال[1] ماركوس في الفصل العاشر من إنجيله: (إن المسيح قال: من يترك[2] لوجهي داراً أو جناناً أو غير ذلك فإنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة في الدنيا وفي الآخرة الجنة)[3].

وقال متى في الفصل التاسع عشر من إنجيله: (إنه يأخذ قدر[4] ما ترك مائة مرة وله الجنة)[5] ولم يذكر الدنيا[6].

(وقال[7] لوقا في الفصل الثامن عشر من إنجيله (إنه يأخذ أكثر مما ترك)[8] ولم يذكر الجنة ولا الدنيا[9].

وأما يوحنا فما[10] ذكر شيئاً من هذا[11]. وهذا كذب ظاهر على عيسى[12]

---

(١) في (أ) و (م): (ما قاله). (٢) في (أ) و (م): (من ترك).

(٣) ورد هذا كالتالي (فأجاب يسوع وقال: الحق أقول لكم، ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ منه ضعف الآن في هذا الزمان وأخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً واضطهادات وفي الدهر الحيوة الأبدية). مرقس ١٠: ٢٩ - ٣٠.

(٤) في (ر): (إنه يأخذ أكثر ما ترك ولا يذكر الجنة ولا الدنيا).

(٥) ورد النص كالتالي: (وكل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية). متى ١٩: ٢٩.

(٦) ما بين القوسين من قوله «في الدنيا والآخرة» إلى قوله: «ولم يذكر الدنيا» ساقط من (م).

(٧) هذا النص بأكمله ساقط من (ر).

(٨) ورد هذا النص كالتالي: (فقال بطرس: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فقال لهم: الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو أخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفي الدهر الآتي الحيوة الأبدية) لوقا ١٨: ٢٨ - ٣٠.

(٩) وهنا ترد أيضاً مشكلة تتعلق بهذه النصوص التي أوردها المؤلف، فالنصوص التي بين يديه والتي ترجمها مغايرة للنصوص التي بين أيدينا ويستطيع القارىء أن يرى هذه الفروق خاصة بين ما نقله من إنجيل لوقا وبين ما نقلناه من الترجمة الحديثة لنفس الإنجيل.

(١٠) في (م): (فلم).

(١١) بالرجوع إلى إنجيل يوحنا، فإننا لا نجد تلك الحادثة ولا أي ذكر لها، وهذا ما يؤكد قول =

فإن خلقاً كثيرين[١] تركوا دياراً وجنات[٢] ومتجراً وغير ذلك على يد[٣] عيسى عليه السلام ولا أخذوا[٤] قدر ما تركوا مائة[٥] مرة في الدنيا ولا قريباً من ذلك فعيسى لم يقل هذا[٦] ولكن كذبوا عليه لعنهم الله[٧].

ومن ذلك أيضاً ما قال[٨] متى في الفصل التاسع عشر من إنجيله: (إن الفريسيين[٩] قالوا للمسيح هل يحل[١٠] للإنسان أن يطلق[١١]/ امرأته على أقل [٣٩ ب]

= المصنف من أن إنجيل يوحنا لم يذكر ما أورده مرقس ومتى ولوقا. ويمكن للقارىء أن يراجع «حادثة شفاء الأعميين» للتأكد مما أورده وذلك في: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٨٠.

(١٢) في (أ) و (م): (عليه السلام).

(١) في (أ) و (م): (كثيراً).

(٢) في (ر): (جناناً).

(٣) في (أ): (على أيد).

(٤) في (أ) و (م): (لم يأخذوا).

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) في (أ): (لم يقل ذلك).

(٧) وتتلخص عقيدة الإسلام في عمل الخير والثواب عليه: أن الله تعالى وعد المؤمنين بالحياة الطيبة والأجر الحسن قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل: الآية ٩٧). وقال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (الأنعام: الآية ١٦٠). وهذا الجزاء سيكون في الآخر.
أما الجزاء الدنيوي فيأتي بصورة إجمالية قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: الآية ٥٥).

(٨) في (م): (ومن ذلك ما قاله).

(٩) في (أ): (العزيريين)، وهو خطأ.

(١٠) ساقطة من (أ) و (م).

(١١) الطلاق عند المسيحيين: هو فك رباط الزوجية. وللطوائف المسيحية مذاهب فيه، فالمذهب الكاثوليكي يحرم الطلاق تحريماً باتاً.. ولا يبيح فصم الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد في نظره مبرراً للطلاق وكل ما يبيحه في حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسدية بحسب تعبيرهم بين شخصي الزوجين... مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية فلا يجوز لواحد منهما في أثناء هذه الفرقة =

مسألة؟ فقال لهم :أما قرأتم ـ في التوراة ـ أن الذي خلق الذكر والأنثى قال : من أجل المرأة يترك الإنسان أباه وأمه ويجتمع بزوجته، ويكونـان لحمة[1] واحدة)[2].

وهذا[3] كذب على عيسى وعلى التوراة فإن هذا الكلام ما[4] قاله تبارك وتعالى ولكن حكته[5] الكتب النبوية[6] عن[7] آدم عليه السلام [8] (أنه حين نام خلق الله زوجه[9] حواء من ضلعه فلما استيقظ رآها[10]قال: من أجل هذه[11]يترك الإنسان أباه وأمه ويكون مع[12]زوجته)[13].

= أن يعقد زواجه على شخص آخر، ويعتمد المذهب الكاثوليكي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول: (لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله).
على حين أن المذهب الأرثوذكسي يبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية من الزوج أو الزوجة، مع تحريمه الزواج على المطلق أو المطلقة بعد ذلك ويعتمد المذهب الأرثوذكسي في ذلك على ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول: (من طلق امرأة إلا بسبب الزنا يجعلها تزني). انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وفي ص ١٢١.

(١) في (أ) و (م): (لحماً واحداً).
(٢) جاء هذا النص كالتالي: (وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً) متى ١٩ : ٣ ـ ٥.
(٣) في (ر): (فهذا). (٤) في (أ) و (م): (ما قاله الله تبارك).
(٥) في (أ) و (م): (حكت).
(٦) ربما قصد المؤلف من قوله: (ولكن حكته الكتب النبوية)، أي: الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهي التي تسمى الأسفار الخمسة: (سفر التكوين وسفر الخروج والتثنية واللاويين والعدد) وتشتمل هذه الأسفار على التوراة كما هو في اعتقاد اليهود. مع العلم أن هذه الأسفار قد دخلها التحريف والتبديل ولا يمكن أن تكون وحياً أو إلهاماً من الله تعالى، والمؤلف هنا يجاري أهل الكتاب ليبين الزيف الذي يعتري كتبهم.
(٧) في الأصل: (على)، والمثبت من (أ). (٨) في الأصل:(لأنه)،والمثبت من بقية النسخ
(٩) في (ر): (زوجته). (١٠)في (أ): (فرآها) وفي (م): (ورآها).
(١١) في (أ) و (م): (هذا). =

وحاشا[1] عيسى أن ينسب هذا إلى التوراة[2]، وهو[3] كان يحفظ التوراة والإنجيل معاً[4] فما يقول إلا ما قال الله [5] فيهما، ولكن كذب عليه متى [6] في هذا [7] القول وأصحابه الثلاثة لم يقولوه [8].

ومن ذلك ما قال[9] يوحنا في الفصل الثالث من إنجيله[10](إن عيسى عليه السلام قال: ما يصعد إلى[11]السماء إلا ما هبط منها)[12].

وهذا باطل وكذب على عيسى فإن في[13]التوراة أن إدريس وإلياس

= (١٢) في بقية النسخ بزيادة: (مع زوجته لحمة واحدة).

(١٣) أصل هذا النص: (فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً). تكوين ٢ : ٢١ - ٢٤.
وكما أوضحنا سابقاً فإن رأي المؤلف مبني على أن التوراة التي بين أيدي اليهود حرفت وزورت وأضيف إليها ما ليس منها ولهذا فهي غير مقبولة ولا يمكن أن يكون عيسى عليه السلام قد قال هذا أو نسبه إلى التوراة الحقيقية التي أنزلت على موسى عليه السلام.

(١) في (م): (وهذا). (٢) في (م): (للتوراة والإنجيل).

(٣) ساقطة من (أ). (٤) ساقطة من (أ) و (م).

(٥) ساقطة من الأصل، والمثبت من بقية النسخ. (٦) في (أ) و (م): (متى اللعين).

(٧) في الأصل: (هذا القول)، والمثبت من (ر)، وفي (م) ساقطة.

(٨) ما قاله المؤلف بهذا الصدد صحيح فإنجيلا لوقا ويوحنا لم يذكرا شيئاً عن هذه القصة، أما إنجيل مرقس فقد ذكر الحادثة ولكن دون أن ينسب أي قول إلى التوراة ولم يشر إليها. راجع: مرقس ١٠ : ٢ - ١٢.

(٩) في (م): (ما قاله). (١٠) في (ر): (من الإنجيل).

(١١) في (ر): (للسماء).

(١٢) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا كالتالي: (وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء). يوحنا ٣ : ١٣.

(١٣) ساقطة من (م).

عليهما السلام صعدا[1] إلى السماء ولم يكونا هبطا[2] منها بل في الأرض خُلقا[3] وعاشا إلى وقت[4] صعودهما.

(وفي الإنجيل: إن عيسى عليه السلام صعد إلى السماء وهو لم يكن هبط منها) [5] ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء ليلة معراجه [6] / وما كان هبط منها فتبين كذب يوحنا في هذا على عيسى عليه السلام، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوه [7]. [٤٠ أ]

فإن قال قائل من النصارى: إن عيسى قال هذا وما عنى به إلا الأرواح قيل له هذا مخالف للتوراة والإنجيل فإن فيهما أن الأنبياء الذين صعدوا إلى السماء صعدوا بأجسامهم مع أرواحهم مثلما [8] صعد نبينا [9]

---

(١) ورد ذكر صعود إدريس في سفر التكوين ٥ :٢٤، كما ورد صعود إلياس في سفر الملوك الثاني ٢: ١ ـ ١٨.

(٢) في الأصل: (هبط)، والمثبت من بقية النسخ. وراجع قصة الصعود في لوقا ٢٤: ٥١.

(٣) في (ر): (خُلقا في الأرض وعاشا فيها). (٤) ساقطة من (ر).

(٥) ما بين القوسين ساقط من بقية النسخ.

(٦) أشار القرآن الكريم إلى معراج الرسول ﷺ فقال: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (النجم: الآية ١ ـ ١٠).

(٧) بالرجوع إلى الأناجيل الثلاثة فإننا لا نجد أدنى إشارة إلى هذا الأمر وقد أثبت ذلك بيان الأحداث المدرج في قاموس الكتاب المقدس ص ٨٧٢.

(٨) في (ر): (مثل نبينا).

(٩) أثبت الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه حادثة الإسراء والمعراج بالجسد والروح وذلك كالآتي: (.. قال الله تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾.. فهذه الآية والأحاديث الصحيحة تدل على أن المعراج كان في اليقظة بالجسد، أما دلالة الأحاديث ففي غاية الظهور، وأما دلالة الآية فلأن لفظ العبد يطلق على مجموع الجسد والروح، =

محمد صلى الله عليه وسلم، فإن قالوا: عيسى قال كذلك[1] وعنى به أرواح البشر[2] التي ماتت أجسادها فعند[3] الموت تصعد الملائكة بها إلى السماء[4]. . قلنا[5]: هذا احتمال يسقط معه الدليل[6]، والأصل في الألفاظ العموم والحقيقة حتى يثبت خلافهما، والكفار لا تصعد أرواحهم إلى السماء بل تذهب[7] إلى سجين[8] فيبطل[9] ما قالوا، وتبين كذبهم على عيسى عليه السلام.

= قال الله تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إلى صلى﴾ وقال أيضاً في سورة الجن: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾. ولا شك أن المراد في الموضعين من العبد مجموع الروح والجسد، فكذا المراد بالعبد هنا.

ولأن الكفار استبعدوا هذا المعراج وأنكروه وارتد بسماعه ضعفاء المسلمين وافتتنوا به فلو لم يكن المعراج بالجسد وفي اليقظة لما كان سبباً لاستبعاد الكفار وإنكارهم وارتداد ضعفاء المسلمين وافتتانهم. إذ مثل هذا في المنامات لا يعد من المحال ولا يستبعد ولا ينكر.

ألا ترى أن أحداً لو ادعى أنه سار في نومه مرة في الشرق ومرة في الغرب وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الأولى لم ينكره أحد ولم يستبعد ولا استحالة فيه عقلاً ونقلاً.

أما عقلاً فلأن خالق العالم قادر على كل الممكنات وحصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسد محمد ﷺ ممكن، فوجب كونه تعالى قادراً عليه وغاية ما في الباب أنه خلاف العادة والمعجزات كلها تكون كذلك. وأما نقلاً فلأن صعود الجسم العنصري إلى الأفلاك ليس بممتنع عند أهل الكتاب). إظهار الحق ص ١٨٤.

(١) في (م): (ذلك).

(٢) في الأصل: (الأرواح البشر)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (أ): (فعند ذلك) وفي (م): (فعند الموت).

(٤) هذا القول عام فليست كل الأرواح التي تقبض تصعد بها الملائكة إلى السماء،بل هناك تفصيل، فأرواح الكفرة تذهب إلى سجين وسيأتي إن شاء الله فيها بعد.

(٥) في (أ) و (م): (قلنا لهم).

(٦) في (أ) و (م): (الاستدلال).

(٧) أشار الإمام ابن القيم إلى هذا الموضوع وشرحه كالتالي: (وأما من قال: إن أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف، ويدل عليه قول النبي ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى». . وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه: إن الميت إذا خرجت روحه عرج بها إلى السماء =

ومن ذلك ما[1] قال متى في الفصل الحادي والعشرين من إنجيله: (إن عيسى عليه السلام أخذه الجوع وهو يمشي[2] إلى الحواريين فرأى شجرة تين قرب[3] محجة الطريق فقصدها ليأكل منها فما وجد فيها ثمرة فدعا[4] عليها فيبست من ساعتها)[5].

= حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة التي فيها الله عز وجل، وتقدم قول أبي موسى رضي الله عنه: إنها تصعد حتى تنتهي إلى العرش...
ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يُصعد بها إلى هنالك للعرض على ربها فيقضي فيها أمره ويكتب كتابه من أهل عليين أو من أهل سجين ثم تعود إلى القبر للمسألة ثم ترجع إلى مقرها التي أودعت فيه، فأرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم). راجع: كتاب الروح، للإمام ابن القيم، ص ١٨٦.
وانظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبدالله محمد الأنصارى القرطبي، ص ٥٠.

(٨) في الأصل: (سجيل)، والمثبت من بقية النسخ. قال تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم﴾ (المطففين: الآية ٧ - ٨).
(وسجين من س ج ن: الحبس وسجين موضع فيه كتاب الفجار)، مختار الصحاح، ص ٩٨٧.
ويؤكد القرآن الكريم أن الكفار يحشرون يوم القيامة في جهنم قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم﴾ (آل عمران: الآية ١٢). وقال تعالى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ (النساء: الآية ١٤٠).

(٩) في (أ) و (م): (فبطل).

(١) في (م): (ما قاله). (٢) في (أ) و (م): (وهو سائر).

(٣) بفتحتين: (مصدر حـ ج ج: جادة الطريق). مختار الصحاح ص ١٢٢.

(٤) في الأصل: (فدعى)، والمثبت من (أ).

(٥) جاء هذا النص كما يلي: (وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط فقال لها: لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد، فيبست التينة في الحال) متى ٢١ : ١٨ - ١٩.
إضافة إلى ما أشار إليه المؤلف فإن هذا النص فيه من المؤشرات القوية ما يدل على بشرية عيسى عليه السلام، ولا ندري كيف غفل المسيحيون عن هذه النصوص الدامغة وهي خير دليل على كذبهم.

ونقل ماركوس في الفصل الحادي عشر من إنجيله هذا الخبر / [٤٠ ب] وزاد فيه (إن لم يكن فصل التين)[١] فانظروا رحمكم الله كيف نسبوا إلى نبي[٢] الله أنه يلتمس[٣] التين[٤] في أشجار الناس في غير فصله وهذا لا يفعله[٥] الصبيان والمجانين[٦] ثم قالوا[٧]: إنه دعا عليها فيبست وليس لها ذنب تستحق به[٨] تلك العقوبة، ولا يخلو (الحال من أنها إما أن تكون ملكاً لواحد معين أو[٩]) مباحة لكل من مر[١٠] بها فإن كانت ملكاً لمالك[١١] فإن عيسى عليه السلام على[١٢] زهده وورعه ورفيع[١٣] رتبته (في معرفة الله ودينه)[١٤] لا يقدم على طلب[١٥] الأكل منها بغير إذن مالكها، لأن الشرائع[١٦] متفقة على منع ذلك[١٧]، وإن كانت مباحة للناس فلا يدعو عليها[١٨] باليبس حتى

---

(١) جاء هذا النص كالتالي: (وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد...) مرقس ١١: ١٢ - ١٤.

(٢) في (ر): (إلى عيسى).

(٣) في (أ) و(م): (الاختلاس وأكل الحرام بأن يلتمس).

(٤) في (ر): (الشجر).

(٥) في (أ) و(م): (لا تفعله).

(٦) في بقية النسخ: (ولا المجانين).

(٧) في (أ) و(ر): (ثم قال).

(٨) في الأصل: (بها)، والمثبت من البقية.

(٩) في الأصل: (ولا يخلو أن تكون ملك المالك) وفي (ر): ولا يخلو أن تكون هذه لمالك أو مباحة)، والمثبت من (أ) و(م).

(١٠) في (أ) و(م): (يمر).

(١١) في (أ) و(م): (لمالك معين).

(١٢) في (أ) و(م): (مع زهده).

(١٣) في بقية النسخ (قدره).

(١٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(م). وفي (ر): (في حدود الله ودينه).

(١٥) في (أ) و(م): (على الأكل).

(١٦) في (م): (الشرائع كلها).

(١٧) في (ر): (على ذلك).

شرع الله للناس ما يصلح أمرهم في الدنيا والآخرة وأوحى إلى أنبيائه عليهم السلام بتبليغ شرعه للناس قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا =

تنقطع[1] منفعة[2] الناس منها لأنه وجميع الأنبياء[3] جبلهم الله على رحمة[4] الخلق ومصلحتهم[5] والشفقة[6] عليهم لا على عكس ذلك، فتبين كذب متى[7] وماركوس فيما نسبا إليه من هذه القصة فلعنة الله على الكاذبين.[8]

= إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (الشورى: الآية ١٣).
وقد أمر الله تعالى بمعاقبة السارق: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ (المائدة: الآية ٣٨).
كما أن أهل الكتاب يؤمنون بما جاء في الوصايا العشر ومنها: (لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور.. إلخ) خروج ٢٠: ١٣ - ١٦.

(١٨) في (أ) و (م): (فلا يدعو عليها عيسى).
(١) في (ر): (يقطع).
(٢) في (أ) و (م): (منافع).
(٣) في (أ) و (م) بزيادة: (صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين).
(٤) في (أ) و (م): (منفعة).
(٥) في (م): (ومصلحة).
(٦) ساقطة من (ر).
(٧) في (ر): (فتبين كذب ما نسب عليه).
(٨) في (ر) بزيادة: (وبالله التوفيق).

الباب الثامن

فيما يعيبه النصارى[1] على المسلمين [2]

فمن ذلك ما[3] قالوا: إن الصالحين من المسلمين يتزوجون[4] بخلاف أهل الرهبانية[5] من النصارى، فيقال لهم: إنكم[6] متفقون في دينكم على

---

(١) في (أ) و (م): (النصارى ـ دمرهم الله ـ).

(٢) في (أ) و (م): (على المسلمين أعزهم الله).

(٣) ساقطة من الأصل وبقية النسخ والمثبت من (م).

(٤) شرع الله الزواج تحصيناً للنفس البشرية من الفساد ومحافظة على المجتمع من الانحطاط والانهيار، والإسلام دين الفطرة السوية أباح للفرد الزواج تسكيناً للشهوة التي ركبت فيه، وطلباً للذرية قوام المجتمعات، والتي بها تعمر الأرض وتشاد الحضارة، ولن يتأتي ذلك إذا منع الناس من الزواج ورغبّوا في الرهبنة، فلو انتشرت الرهبنة بين الجنس البشري فلن يبقى حي على وجه الأرض، والدعوة إلى الرهبانية فيها من المضار الشيء الكثير، فالغريزة الجنسية طاقة أودعها الله في الجسم البشري، وتعطيلها أو إيقاف وظيفتها من قبل الإنسان شر ينقلب على الجسد.
فلا بد مع هذا الوضع من إعطاء هذه الغريزة حقها وتصريف هذه الطاقة ضمن شرع الله الذي ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة على أسس نظيفة وخالية من العلاقات الشائنة قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾ (الروم: الآية ٢١)، وقال أيضاً: ﴿ . . . هن لباس لكم وأنتم لباس لهن. . ﴾ (البقرة: الآية ١٨٧). وهكذا يجعل الإسلام من الزواج راحة نفسية للأسرة البشرية.

(٥) (الرهبانية: من رهب خاف. والرهبانية بفتح الراء فيهما والترهب: التعبد) مختار الصحاح ٢٥٩.
وقد أطلق هذا الإسم على أولئك الذين اعتزلوا الناس مبتعدين عن أضواء الحياة ومتعها.
وقد كانت الرهبانية منذ القدم منتشرة في البوذية والهندوسية بشكل عام، وقد انتقلت إلى =

[٤١ أ] أن[1] داود عليه السلام كان نبياً[2] ملكاً ومنزلة النبي أعلى من مرتبة[3] الولي

= المسيحية بشكل واسع. وترجع أسبابها إلى الآتي (... فقد عانى المسيحيون في عهد الاضطهاد صنوفاً من التعسف والقسوة... وكان ذلك كما يقول الكتاب المسيحيون ـ تدريباً للمسحيين على التضحية وحب الفداء، فلما بدأ عهد الحرية تحسر أولئك الذين فاتهم ركب التضحية وسفك الدماء فقرروا أن يضحوا بمتعهم إذ فاتهم أن يضحوا بدمائهم ولجأوا للتفرد بالجبال والابتعاد عن ضجيج الحياة والحرمان وتعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب والتبتل وعدم الزواج والعكوف على العبادة تقديراً للسيد المسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر ـ حسب زعمهم ـ وبخاصة أنهم أدركوا بطلان هذا العالم وخداع مظهره الخلاب.

وقد مرت الرهبنة بمراحل فكانت في المرحلة الأولى هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس وانطلاقاً في الصحارى والبراري ولجوءاً إلى الكهوف بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل مع المحافظة على الوحدة والتفرد، وبمرور الزمن كثر عدد الراغبين في الترهب ومال هؤلاء إلى نوع من الاجتماع والمعاشرة إذ تعرض بعضهم إلى عدوان اللصوص والمجرمين فبنوا لهم صوامع متجاورة ثم انتهى الأمر بهم إلى بناء أسوار عالية تضم بداخلها عدداً من الصوامع فنشأ عن ذلك الدير وكثرت بعد ذلك الأديرة وانتشرت هنا وهناك). انظر: المسيحية د. أحمد شلبي، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وقد ذم القرآن الكريم الطريقة التي نهجها أولئك الذين انحرفوا بالرهبانية عن الجادة الصحيحة فقال تعالى: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ (الحديد: الآية ٢٧).

(٦) في (م): (أنتم).

(١) ساقطة من الأصل، والمثبت من بقية النسخ

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في (أ) و(م) (منزلته أعلى من الولي والصالح).

وهذا ما ذهب إليه المسلمون، قال شارح الطحاوية: (قوله: ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء)، ومما قاله أيضاً: (.. والنبوة أخص من الولاية والرسالة أخص من النبوة) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

وقد رد الإمام ابن تيمية على الآراء المخالفة في كتابيه: شرح العقيدة الأصفهانية، ص ١٠٧؛ وكتاب النبوات، ص ١٨٤ وما بعدها. =

بالإجماع منا ومنكم. وفي التوراة أن داود تزوج مائة امرأة وولد له منهن أزيد من خمسين ولداً[1] ذكوراً وإناثاً[2]. وسليمان عليه السلام تزوج ألف امرأة[3] كما ثبت في التوراة.

وأنتم تعتقدون أن التوراة[4] نزلت من عند الله وكذلك جميع الأنبياء

= وكما هو واضح فإن المؤلف ـ رحمه الله ـ مطلع على العقائد المسيحية ويعرف منزلة النبي والفرق بينها وبين الولي ولهذا نقل إلينا إجماع المسيحيين على هذا الأمر.

(١) في (م): (ولد)، وهو خطأ.

(٢) ذكر زواج داود عليه السلام بالنساء في التوراة جاء متفرقاً في عدة مواضع دون ذكر عددهن بشكل إجمالي مع الإشارة إلى أن الكتّاب الذين حرفوا التوراة الصحيحة نسبوا إليه الزنا ومن استقصائنا لفقرات العهد القديم يتبين لنا الآتي:
في سفر صموئيل الأول ١٨: ١٩، امرأة واحدة. في نفس السفر ١٨: ٢٠ ـ ٢٥، امرأة واحدة. وفي نفس السفر أيضاً ٢٥: ٣٩ ـ ٤٢، امرأة واحدة. في نفس السفر ٢٥: ٤١ ـ ٤٤، ٩ نساء. في سفر صمويل الثاني الإصحاح الثالث: ١ ـ ٥، ٤ نساء. وفي نفس السفر ٥: ١١ ـ ١٦، عدد كبير من النساء دون حصر مع ذكر الأولاد والسراري. في نفس السفر ١١: ١ ـ ١٧، امرأة أوريا الحثي. في نفس السفر ١٢: ٧ ـ ٩، أعداد كثيرة من النساء. في سفر الملوك الأولى الإصحاح الأول: ١ ـ ٤، امرأة واحدة. ومن مجموع تلك النسوة يتبين للقارىء أن أعدادهن يناهز ما ذكره المؤلف على حسب زعم التوراة. والإسلام يضع هذه الروايات موضع الشك والريبة لما فيها ما يخالف مبدأ عصمة الأنبياء عليهم السلام.

(٣) أما عن سليمان عليه السلام فقد ذكر العهد القديم ما يلي: (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه..) راجع سفر الملوك ١: ١١: ١ ـ ٣.

(٤) في (ر): (حق).

عليهم السلام تزوجوا وولد لهم الأولاد[1] غير عيسى ويحيى[2] بن زكريا عليهما السلام[3].

وفي التوراة: (يحل للرجل أن يتزوج من النساء قدر[4] ما يقدر عليه من نفقتهن)[5].

وأنتم يا معشر النصارى لم تدينوا في التزويج[6] بما شرعه الله في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما تمسكتم في ذلك بقول بولس[7] الذي زعم كفار[8] أوائلكم أنه بمنزلة نبي. وبولس هو الذي أمركم أن لا يتزوج الرجل[9] غير امرأة واحدة فإذا ماتت عوضها بأخرى وأمر أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكراً لا ثيباً[10] فإذا ماتت حرم عليه التزويج[11].

---

(١) في (ر): (أولاد).

(٢) في الأصل: (يحيى وزكريا)، وهو خطأ لأن يحيى لم ينجب بل زكريا عليهما السلام، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في الأصل: (عليهم السلام)، والمثبت من (ر).

(٤) في (أ) و (م): (ما يقدر عليه).

(٥) في (ر): (نفقاتهن). وقد أشار العهد القديم إلى هذا الموضوع في كثير من نصوصه انظر مثلاً: سفر التكوين ٤: ١٩ و ٤: ٢٣ و ٣٧: ٢، وسفر التثنية ٢١: ١٥، وسفر صموئيل الأول ١: ٣، وكلها تؤكد ما قاله المؤلف رحمه الله.

(٦) ساقطة من (ر).

(٧) في (ر): (باولوس). وقد أشرنا في ترجمته أن له أثراً كبيراً في تاريخ التشريع المسيحي، كما أنهم ينعتونه «بالرسول بولس» فقد كان شارحاً ومجتهداً ومفسراً للتوراة والإنجيل على حسب هواه، ولهذا اشتهر بولس كأحد أبرز الشخصيات المسيحية.

(٨) في الأصل: (كفر)، والمثبت من بقية النسخ.

(٩) في (م): (أحدكم).

(١٠) في (م): (لابيها).

(١١) هذه الأحكام وردت في نصوص متفرقة وليست في نص واحد منها: ما جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى (.. أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا: أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة، لكنك وإن تزوجت لم تخطىء وإن تزوجت العذراء لم تخطىء...) كورنثوس ٧: ٢٦ - ٢٨. وفي =

وقد[1] تبين أن دينكم في التزويج خالفتم فيه الأنبياء وخالفتم فيه[2] في تزويج القسيس بالأبكار[3]، فحرمتم على جميع[4] القسيسين أن يتزوجوا وصار سفهاؤكم وجهالكم يعتقدون[5] أنكم في ذلك على هدى[6]، ويعيبون[7] على أولياء المسلمين ما هم يفعلونه[8] في[9] التزويج، [٤١ ب]

= نص آخر: (فإن المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل فإذا ما دام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر) رومية ٧: ٢ ـ ٣.

وعن القسس يقول: (فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم: بعل امرأة واحدة صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء صالحاً للتعليم. .) تيموثاوس ٣: ٢.

ويقول أيضاً: (ليكن الشمامسة: كل بعل امرأة واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً) تيموثاوس ٣: ١٢.

ويلاحظ أن المؤلف قد لخص ما جاء في هذه النصوص وربما ما جاء في غيرها.

(١) في (أ) و (ر): (فقد).

(٢) في الأصل: (خالفتم بولس)، والمثبت من (م).

(٣) في (أ) و(م): (الأبكار).

(٤) ربما يعتمد المسيحيون في تحريم الزواج على القسس (الكاثوليك والأرثوذكس) على ما جاء في نص من رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى (إذا من زوج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن) كورنثوس ٧: ٣٨. ولكن هذا النص لا يدل على التحريم بل يفيد الإباحة والتخيير.
ومن المعلوم أيضاً أن تحريم الزواج على القسس أدى إلى كثير من الانحرافات في الأديرة والكنائس وقد تحدث العلماء المسلمون عن هذه القضية وبينوا الفجور والفسوق الذي فشا بين القسس، انظر: تاريخ الفحشاء لعبدالكريم التنير، وهو مليء بالأحداث التي تقشعر منها الأبدان، وراجع: كتاب النصرانية والإسلام لمحمد عزت الطهطاوي ص ٨٢ ـ ١٨٣. وكان هذا أحد أسباب الثورة البروتستانتية.

(٥) في (أ) و (م): (يعتبرون) وفي (م): (يعتمدون).

(٦) في (أ) و (م): (على هدا)، وهو خطأ.

(٧) في (ر): (وفي ذلك يعتمدون على هذا وتعيبون) وفي (م): (أو يعبون).

(٨) في (أ) و(م): (ما يفعلونه من التزويج) وفي (ر): (يعتقدونه).

(٩) في (ر) و (أ) و (م): (من).

فأما[1] علماؤكم فيعلمون أن ذلك حلال[2] منصوص في الكتب النبوية، وأهل الإسلام منّ الله عليهم[3] الحنفية السمحة[4] التي لا مشقة عليهم فيها. وقال[5] لهم نبيهم صلى الله عليهم وسلم: «لا رهبانية في الإسلام»[6]. وقال لهم[7]: «تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ[8] بكم الأمم يوم القيامة»[9]. فهم

---

(١) في (ر): (فإن علماءكم يعلمون).

(٢) في (ر): (حكم). (٣) في (ر): (عليهم بالملة).

(٤) (م): (بالملة الحنفية السمحاء) وفي (أ): (السمحاء).

(والحنيفية من ح ن ف: «الحنيف» المسلم و«تحنّف» الرجل أي: عمل عمل الحنيفية ويقال اختتن ويقال اعتزل الأصنام وتعبد). مختار الصحاح ص ١٥٩.

(٥) في (ر): (وقد قال).

(٦) لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، إنما هناك حديث قريب من معناه، فقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه بسنده عن عروة قال: (دخلت امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة فسألتها ما شأنك فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي ﷺ فذكرت عائشة ذلك له فلقي رسول الله ﷺ عثمان فقال: «يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أفما لك فيّ أسوة؟ فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده» مسند الإمام أحمد، باب النكاح ٢٢٦/٦.

وقد نهى الرسول ﷺ عن التبتل، ففي باب النهي عن التبتل أورد الإمام الدارمي في سننه هذه الحادثة برواية أخرى ومما جاء فيها (.. فقال: «يا عثمان إني لم أؤمر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟ قال: لا يا رسول الله. قال: «إن من سنتي أن أصلي وأنام وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً»...) الحديث. انظر: سنن الدارمي للإمام أبي محمد عبدالله الدارمي؟ ١٣٣/٢.

(٧) ساقطة من (م). (٨) في بقية النسخ: (أباهي).

(٩) أصل هذا الحديث ما رواه البيهقي (عن سعيد بن أبي هلا مرسلاً: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة». فيض القدير لترتيب الجامع الصغير، للسيوطي ٣٥٧/١.

وفي الباب أحاديث كثيرة: انظر سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ٦/٦٥ - ٦٦. وقد أورد الإمام السخاوي حديثاً آخر بلفظ «تناكحوا تناسلوا أباهي بكم يوم القيامة» وقال: (جاء معناه عن جماعة من الصحابة فأخرج أبو داود والنسائي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعاً: «تزوجوا الولود =

في التناكح والتناسل مثابون لأجل امتثالهم في ذلك [1] أمر نبيهم صلى الله عليه [2] وسلم . . .

ومما يعيبه[3] النصارى على أهل الإسلام[4]: الاختتان[5]، . فيقال

= الودود فإني مكاثر بكم الأمم . . ». انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام محمد السخاوي، ص ١٦٥ .

(١) ساقطة من (م).

(٢) في (أ): (عليه السلام) وفي (م) بزيادة: (وأنتم برهبانكم معذبون).

(٣) في (أ) و(م): (ومما يعيبونه أيضاً على المسلمين).

(٤) ساقطة من (أ) و (م).

(٥) الختان عند أهل الكتاب هو:(التطهير(وهو) من الشعائر المعروفة في اليهودية وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام (وقد) كان فرضاً دينياً للتمييز بين نسل إبراهيم وباقي الناس. . ومعنى الختان الروحي لدى اليهود هو تكريس الجسد، ولذلك كانوا يدعون أنفسهم (أهل الختان).
وفي بكور العصر المسيحي زعم فريق من اليهود المنتظرين أن حفظ تلك السنة ضروري للخلاص ولهذا قال بولس في رسالته إلى غلاطية: (ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس) غلاه / ٢ ـ ٣ وأيضاً لأنه (في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة) غلا ٦: ١٥ .
ويتضح مما جاء في كولوسي ٢ : ١١ ـ ١٢ أن بولس يعلم بأن للمعمودية في العهد الجديد نفس المكانة التي كانت للختان في العهد القديم) . انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٧ .
وهكذا نرى كيف استطاع بولس إلغاء الختان من المسيحية وإبداله بالتعميد. . . ويقول الشيخ أبو زهرة: (إن تحريم الختان إنما جاءت بداياته على يد تلاميذ المسيح عليه السلام بعد عشرين سنة من رفعه وذكر أنهم اجتمعوا وخطب فيهم يعقوب مقترحاً عليهم أن يحصروا المحرم على الأمم في أربعة وهي: الزنى وأكل المخنوق والدم وما ذبح للأوثان، وكان بذلك لأنهم وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى النصرانية فيفرون منها بسببه). انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٣٩ .
أما في الإسلام فإن الختان يعد من خصال الفطرة والحنيفية السمحة. لقوله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الفطرة خمس ـ أو ـ خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب». رواه الإمام مسلم، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٦/٣ .

لهم: إن عندكم في الإنجيل أن عيسى عليه السلام[1] كان مختوناً، ويوم ختانه هو عندكم من أكبر الأعياد[2]، فكيف تنكرون على المسلمين[3] ما أنتم تعظمونه من أمر نبيكم؟ ثم إنكم[4] تعتقدون أن إبراهيم عليه السلام وجميع الأنبياء كانوا مختونين وأن الله تعالى[5] أمركم[6] بالختان كما هو[7] في التوراة[8]، فالعيب عندكم[9] والملام عليكم لأنكم تركتم سنة نبيكم[10] في الختان وخالفتم فيه جميع الأنبياء[11] ثم تعيبونه وكل من عاب أفعال[12] الأنبياء فيما شرع الله لهم[13] فقد كفر بالله[14] وبأنبيائه. ومما يعيبونه أيضاً على

[٤٢ أ]

---

(١) ساقطة من (أ) و(م).

(٢) رغم ترك الختان وإبداله بالتعميد إلا أن النصارى إلى الآن لا يزالون يحتفلون بعيد الختان ويعظمونه ويعطلون أعمالهم وذلك في الأول من كانون الأول وهو من الأعياد الثابتة وتحتفل به كل من الطوائف التالية: (الموارنة، السريان، الأرمن، الكلدان، اللاتين، الملكيون). انظر: المجلة اللبنانية ص ١٨ الصادرة سنة ١٩٥٤ بيروت.

(٣) في (أ) و(م): (على أهل الإسلام).

(٤) في (أ) و(م): (أنتم).

(٥) ساقطة من (م).

(٦) في بقية النسخ: (أمرهم).

(٧) في (أ) و(م): (كما هو عندكم).

(٨) جاء في سفر اللاويين: (وكلم الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث علتها تكون نجسة وفي اليوم الثامن يختتن لحم غرلته). اللاويين ١٢: ١ - ٣.

(٩) في بقية النسخ: (والإثم عليكم).

(١٠) قول المؤلف: (لأنكم تركتم سنة نبيكم): يراجع في هذا الصدد ما جاء في الفصل الثالث والعشرين من إنجيل برنابا والخاص بـ (أصل الختان وعهد الله مع إبراهيم ولعنة الغلف) وما جاء على لسان عيسى عليه السلام: إنجيل برنابا، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، ص ٦٥ - ٦٦.

(١١) ساقطة من الأصل و(ر)، والمثبت من (أ) و(م).

(١٢) في (م): (فعال).

(١٣) في (أ): (شرعه) وفي (ر): (شرع لهم).

(١٤) لأن العيب اعتراض واستهزاء بما شرع الله، والمستهزىء بشرعه كافر وجاحد.

المسلمين[1] اعتقادهم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون[2] فيقال لهم:

كيف تنكرون ذلك؟ وقد قال متى في الفصل السادس والعشرين من إنجيله: (إن عيسى عليه السلام[3] قال للحواريين وهو يتعشى معهم في الليلة التي أخذه فيها اليهود[4] بزعمهم: إني ما بقيت أشرب شراباً بعد هذا إلا في الجنة)[5].

وقال ماركوس في الفصل الرابع[6] عشر من إنجيله: (إن عيسى عليه السلام قال للحواريين: الحق أقول لكم إنكم تأكلون وتشربون على طبليتي في الجنة)[7] وقد علم علماء النصارى أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة في[8] الجنة هو وامرأته حواء وكان ذلك سبب هبوطهما إلى الأرض. وهذا منصوص في التوراة[9] والإنجيل[10]. فكيف ينكر جهالكم أن[11] يكون في

---

(١) في (م): (على المسلمين).

(٢) قال الله تعالى فيما أعده لأهل الجنة: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ (الحاقة: الآية ٢٤)، وقال أيضاً: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ (المرسلات: الآية ٤٣). وروى أبو داورد في سننه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «أي مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقا مسلماً على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم» سنن أبي داود ١/٣٩٠ - ٣٩١.

(٣) ساقطة من (أ) و (م).

(٤) في (م): (اليهود على زعمهم).

(٥) ورد هذا النص كالتالي: (وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرامة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي) متى ٢٦ : ٢٩.

(٦) ساقطة من (أ) و (م).

(٧) جاء هذا النص كالتالي: (الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله، ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون) مرقس ١٤ : ٢٥ - ٢٦.

(٨) في (أ) و (م): (من الشجرة المنهية في الجنة).

(٩) راجع سفر التكوين (٢ : ١٠) و(١٣ : ١٠)، وسفر حزقيال (٢٨ : ١٣)، وأشعيا (٥١ : ٣).

(١٠) انظر لوقا (٢٣ : ٤٣)، ورؤيا يوحنا (٢ : ٧).

(١١) في (أ) و (م): (ينكر جهالكم أن لا يكون في الجنة).

الجنة[1] الأكل والشرب؟ وهم معولون في[2] هذا على أن كل من أكل وشرب لا بد له[3] من فضلة بول وغائط. والجنة مطهرة من ذلك وما علموا أن[4] نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الحكيم الأكبر أخبرنا (بأن ما يأكل[5] أهل الجنة ويشربونه[6] يخرج منهم[7] رشحاً، أي: عرقاً رائحته كرائحة المسك[8] وأنهم لا يبصقون[9] فيها ولا / يتمخطون[10] ولا يبولون ولا يتغوطون)[11]. [٤٢ ب]

وأجمعت الكتب[12] والرسل على أن في الجنة من أنواع الفواكه ولحوم[13]

---

(١) في (م): (أكل ولا شرب). (٢) في (أ) و(م): (في ذلك).
(٣) في الأصل: (لهما). والمثبت من بقية النسخ.
(٤) في (أ) و(م): (بأن). (٥) في (م): (ما يأكله).
(٦) في الأصل: (ويشربون)، : والمثبت من (م).
(٧) في الأصل: (عليهم)، والمثبت من (م).
(٨) في (ر): (المسك الأزخر). (٩) في (ر): (ينزفون).
(١٠) في (م): (يتمخطون فيها).
(١١) روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً». انظر: صحيح البخاري بحاشية السندي، كتاب بدء الخلق ٢/٢١٧.
(١٢) يقصد: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله لهداية الخلق. وقد ذكر القرآن الكريم في كثير من الآيات ما أعده الله تعالى للمؤمنين فمن ذلك قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون، في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلوء المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً..﴾ الآيات (الواقعة: ٢٠ - ٢٦).
(١٣) في (ر): (لحم).

الطير وغيره[1] ما تشتهيه الأنفس وتلذه[2] الأعين، وكل من دخلها وحرم من هذه اللذات[3] فهو فيها معذب نكد العيش[4]، نعوذ بالله من اعتقاد ذلك، لأن اعتقاده[5] يؤدي إلى ما تقوله الملحدة[6]: من (أن نعيم[7] الجنة بعد الموت[8]، إنما هو بالأرواح لا بالأجساد)[9].

---

(١) ساقطة من (أ) و (م).

(٢) في (ر) و (م): (تلذ). وقد جاءت هذه العبارات في أحاديث كثيرة فروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعكم الله عليه ثم قرأ: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. . .﴾». صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٦٦.

(٣) في (ر): (وحرمنها شيئاً من هذه اللذات).

(٤) في (أ) و (م): (بكدر المعيشة) وفي (ر): (منكد العيش كما يزعمون).

(٥) في (م): (اعتقاد ذلك). (٦) في (أ): (آراء الملحدة).

(٧) في بقية النسخ: (نعيم الناس). (٨) ساقطة من (ر).

(٩) إن الفلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفكر اليوناني القديم أنكروا البعث الجسماني، كما أنكروا النعيم والعذاب الجسمانيين وهذا رأى يخالف ما عليه جمهور علماء المسلمين الذين يرون أن البعث بالجسم والروح، وأن النعيم والعذاب بهما أيضاً.
ونصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تدل دلالة واضحة على صحة ذلك، وقد رمى الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» بالضلال: ابن سينا والفارابي ومن قبلهم من الفلاسفة لأنهم (يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الإلهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول). انظر: تهافت الفلاسفة، للإمام الغزالي ص ٧٦ - ٧٧ - ٧٨. وقد فند آراءهم بما يثبت صحة عقيدة أهل السنة في البعث والحساب. وذلك في ص ٢٨٢ مسألة رقم (٢٠).
إلا أن د. سليمان دنيا يرى أن رأى ابن سينا في هذه المسألة غامض ومضطرب، كما يرى أن رأي الفارابي لا يخرج عن رأى الجمهور القائل بالبعث الجسماني، وقد استند فضيلته إلى ما جاء في رواية الفناري ص ٢٩٧ جـ ٨ من المواقف تعليقاً على قول الشريف الجرجاني (والثالث - أي من الأقوال في البعث - ثبوتهما معاً - أي الجسم والروح - من قول شارح الصحائف: وهذا على وجهين: أحدهما: أن يكون الروح مجرداً عن المادة فيعاد الجسم ويتعلق به الروح، أو يتعلق بجسم آخر من غير إعادة الجسم الأول، هذا =

والنصارى وإن لم يصرحوا[1] بهذا فقد لزمهم القول به في أن الأرواح هي التي تتنعم في الجنـة وأما الأجساد فلا نعيم لها[2] بالغذاء الذي جعله الله قوام بنيتها، وهذا خلاف المعقول[3] والمنقول[4].

= مذهب قليل من أهل العلم «كالغزالي» و «الفارابي». . . فعلى هذا يكون«الفارابي» أيضاً قائلاًبالبعث الجسماني)راجع : تعليق الدكتور سليمان دنيا على «تهافت الفلاسفة» ص ٢٩٥.

(١) في الأصل: (والنصارى إن لم يصرحوا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في (أ) و (م): (فلا نعيم لها إلا بالغذاء)، وهو خطأ والصحيح ما هو ثابت في الأصل و (ر)، لأن فيه إلزام النصارى بقول الملاحدة، بإنكار النعيم والعذاب (وقد أكد ابن كمونة «اليهودي» ما ذهب إليه المؤلف من أنهم يقولون بالثواب الجسمانيين. والعقاب الروحانيين دون الجسمانيين). انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، سعد بن كمونة ص ٥٣، تحقيق عبدالعظيم المطعني.

(٣) ما ادعاه المسيحيون يوافق قول الفلاسفة وقد جاء رد الإمام الغزالي عليهم كالتالي:(. . . ونحن نقول: أكثر هذه الأمور ليست على مخالفة الشرع فإنا لا ننكر أن في الآخرة أنواعاً من اللذات أعظم من المحسوسات ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ولكننا عرفنا ذلك بالشرع إذ قد ورد بالمعاد ولا يفهم المعاد إلا ببقاء النفس وإنما أنكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل ولكن المخالف للشرع منها: إنكار حشر الأجساد وإنكار اللذات الجسمانية في الجنة وإنكار الآلام الجسمانية في النار وإنكار وجود الجنة والنار كما وصف في القرآن فما المانع من تحقق الجمع بين السعادتين الروحانية والجسمانية وكذا الشقاوة وقوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ أي: لا يعلم جميع ذلك، وقوله: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) فكذلك وجود هذه الأمور الشريفة لا يدل على نفي غيرها بل الجمع بين الأمرين أكمل والموعود بـه أكمل الأمـور وهو ممكن فيجب التصـديق به عـلى وفق الشرع.). تهافت الفلاسفة، للغزالي. ص ٢٨٧ ـ ٢٩٠.

(٤) قال الله تعالى:﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلنـاهن أبكاراً عـرباً أتـراباً لأصحـاب اليمين ثلة من الأولـين وثلة من الآخـرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين. . .﴾ (الواقعة: الآية ٢٧ ـ ٤٥).

وبما يناقض أقوال المسيحيين ما جاء في الكثير من كتبهم وما نقله كتّابهم فمن ذلك ما قاله =

ومما ينكرونه أيضاً على المسلمين قولهم: إن[1] في الجنة قصوراً[2] ويواقيت وغير ذلك[3].

فيقال لهم: إن عندكم في الكتاب المسمى بنور[4] القديسين في قصة جوان الإنجيلي أنه[5] مر ذات يوم بشابين عليهما ثياب الحرير ومعهما خدام ومركب[6] كبير، فذكرهما بالنار وهددهما بها حتى تركا ما كانا[7] عليه، وتبعا جوان المذكور وتصدقا بمالهما على خدامهما فلما كان بعد مدة مر خدامهما عليهما [٤٣ أ] في زي عظيم ومواكب[8] وخدام فحزنا وندما على ما فاتهما من الدنيا واشتد ذلك عليهما ففهم ذلك جوان[9] وقال لهما: ندمتما وحزنتما على ما فاتكما من الدنيا؟ قالا[10]: نعم، وما وجدنا[11] على[12] ذلك صبراً.. (قال[13]: فاذهبا

= العالم اللاهوتي غلادكوف: (وإن جميع البشر الذين عاشوا على الأرض سيقامون من الموت كل بما يوافق حياته الغابرة فبعض يعيشون في الغبطة في ملكوت السموات وبعض يتعذبون لأن الحصول على ملكوت السموات يكون في تتميم مشيئة الله...). انظر: نبذة في حقيقة الإنجيل وصحته، ترجمة المطران ابيفانيوس، ص ٩٠.

(١) يلاحظ أن المؤلف رحمه الله، يرد على الشبهات التي يوجهها المسيحيون ضد الإسلام، وهذا يدلنا على أن الإسلام ـ منذ زمن بعيد ـ يتعرض لكثير من الشبهات التي يلقيها أعداؤه، وليس ذلك في العصر الحاضر فقط.

(٢) في (ر): (قصور)، وهو خطأ.

(٣) روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، بلاطها المسك الأذخر، حصباؤها الياقوت واللؤلؤ وتربتها الورس والزعفران من يدخلها يتخلد لا يموت، وينعم ولا ييأس، لا يبلى شبابهم ولا تخرق ثيابهم». مسند الإمام أحمد ٢/٤٤٥.

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) في (أ) و(م): (مر يوماً).

(٦) في (ر): (ومراكب كثيرة).

(٧) في (ر): (ما كان عليهما). وفي (م): (ما كان عليه).

(٨) في (ر): (ومركب). وفي (م): (ومراكب).

(٩) في (ر): (فقال).

(١٠) في (أ): (فقالا).

(١١) في الأصل: (نعم ما وجدنا عن ذلك صبراً). والمثبت من بقية النسخ.

(١٢) في (م): (عن ذلك).

(١٣) في (أ): (فقالا).

فأتياني[1] بحجارة من) الوادي[2] فأتياه بها فأدخلها[3] تحت ثوبه ثم أخرجها وهي[4] كلها يواقيت نفيسة فقال: اذهبا بها إلى السوق فبيعاها ثم اشتريا بثمنها أكثر مما كان لكما[5] ولكن لا نصيب لكما في الجنة فإنكما بعتما نصيبكما منها بهذا العاجل الفاني، . فبينما هما[6] في ذلك إذا بقوم أتوا بميت ورغبوا[7] في جوان المذكور أن يحييه فقال: قم يا هذا الميت بإذن الله تعالى، فقام الميت فقال له جوان: أخبر هذين بما فاتهما من نعيم الجنة. فقال لهما ذلك[8] الذي كان ميتاً: قد كان لكما في الجنة قصور مبنية[9] بالياقوت على كل[10] لون طول كل قصر منها كذا وكذا، فلما سمع[11] الشابان هذا (تابا وتركا كل[12] شيء) وتبعا[13] جوان على دين عيسى[14] حتى أتاهما اليقين[15].

[٤٣ ب] وعندكم أيضاً في الكتاب[16] المذكور أن «فاربان»[17] وهو عندكم من الصالحين[18] المقدسين الكبار كانت الملائكة تأتيه كل يوم[19] بطعام من الجنة[20] في أطباق[21] الذهب وعليها مناديل[22] الحرير وفوق المناديل[23]

---

(١) في (ر) (فقال يا هذان أتياني بحجارة من) وفي (م): (اذهبا فأتياني).
(٢) في (أ) و (م): (فأتيا).
(٣) في (أ) و (م): (فجعلها).
(٤) في (أ) و (م): (فإذا هي).
(٥) ساقطة من (م).
(٦) في (ر) و (م): (فبينما هم كذلك).
(٧) في (أ) و (م): (رغبوا من).
(٨) ساقطة من (ر).
(٩) في (م): (بنيت).
(١٠) في (أ): (على ألوان) وفي (م): (على لون).
(١١) في (أ): (سمعا الشابان)، وهو خطأ والصحيح ما في الأصل وفي (م): (سمع الشبان).
(١٢) في (أ)، (تركا كل شيء وتابا) وفي (ر): (قياماً وتركا كل شيء).
(١٣) في الأصل: (اتبعا جوانا)، وفي (ر): (اتبعا جوان) والمثبت من (م).
(١٤) في (م): (حين).
(١٥) لم أعثر على هذه القصة.
(١٦) في (م): (الكتب المذكورة).
(١٧) في(أ)و (م) :(خلان ربان) وفي(ر) :(فاريان).
(١٨) في (ر):(من الصادقين القديسين).
(١٩) في (أ) و (م): (كل يوم تأتيه).
(٢٠) في الأصل: (من الجنة أطباق)، والمثبت من (ر).
(٢١) أي أوانٍ للأكل.
(٢٢) في (ر): (منديل الحرير).
(٢٣) في (ر): (منديل).

نوار [١] مختلف الألوان فكيف تنكرون أن تكون في الجنة آنية [٢] الذهب وثياب الحرير والنوار والطعام المأكول.

وهذه القصة حجة عليكم سوى ما نقلت الكتب النبوية من ذلك. واتفق على صحته جميع العقلاء الشرعيين [٣] ولكنكم قوم تجهلون، وتجهلون أنكم تجهلون وفي الكتاب المذكور أيضاً [٤] في قصة [٥] شنشون أن الملائكة كانت تأتيه كل يوم بقدر [٦] ما يقوم به من الغذاء بكرة [٧] وعشية من طعام أهل الجنة المختلف الألوان وأنه أتاه يوماً [٨] رجل صالح قديس [٩] كبير يعرف بيالو [١٠] العبد فأتته الملائكة في ذلك اليوم بأضعاف ما كانت تأتيه به [١١] كل يوم من طعام الجنة [١٢] في أواني الذهب وعليها مناديل الحرير.

وفي كتبكم [١٣] من هذا كثير ولكن تركته خوف التطويل، ولا ينكر ما أنكروه [١٤] من هذا إلا الحمقى [١٥] إخوان المجانين.

ومما يعيبونه [١٦] على المسلمين أيضاً [١٧]: تسميتهم بأسماء الأنبياء عليهم [١٨]

---

(١) في (أ) و(م): (أنوار)، وهو خطأ والصحيح ما في الأصل. (ونوار من النورة: تنور أيضاً تطلى بالنورة وبعضهم يقول: انتار. والنوار مضموماً مشدداً: نور الشجرة الواحدة نوارة) مختار الصحاح، ص ٦٨٥. وفي (ر): (نوا مختلفة الألوان).

(٢) في (م) (آلات).

(٣) في (ر): (جميع عقلاء الشريعتين).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في الأصل: (قضية)، والمثبت من (ر).

(٦) في (أ) و(م): (بما يقوم به).

(٧) في (أ) و(م): (غدوة).

(٨) في (ر): (ذات يوم).

(٩) في (أ):(قديس صالح)وفي(ر):(قدسي).

(١٠) في (أ): (بسالوس)، وفي (ر): (بياولوس) وفي (م): (ساولوس).

(١١) ساقطة من (أ).

(١٢) في (ر): (الجنة على).

(١٣) في (ر) و(م): (كتبهم).

(١٤) في(أ) و(م):(ماذكرته)وفي(ر):(نكرره).

(١٥) في جميع النسخ: (الحمقا)، وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه.

(١٦) في الأصل: (ومما يعيبون)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٧) ساقطة من (ر).

(١٨) ورد في السنة المطهرة جواز التسمية بأسماء الأنبياء، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن=

السلام، فيقال لهم: كيف تنكرون علينا ذلك[1] ونحن قد تسمينا بأسماء الأنبياء تبركاً بذلك[2] وهم من جنس[3] بني آدم صلوات الله عليهم، وكيف [٤٤ أ] لا تنكرون على أنفسكم حيث تسمون أسماء[4] الملائكة كجبريل[5] وميكاييل[6] وعزرائيل؟.

ولا جواب لهم عن هذا[7]... وبالله التوفيق.

= جابر بن عبدالله أن رجلاً من الأنصار ولد له غلام فأراد أن يسميه محمداً فأتى النبي ﷺ فسأله فقال: «أحسن الأنصار سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي».
وروى الإمام مسلم أيضاً بسنده عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ «فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة»... قال الإمام النووي بشرحه لهذا الحديث (... وفيه جواز التسمية بأسماء الأنبياء عليهم السلام). انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١١٥ ـ ١٢٥.

(١) ساقطة من (ر) وفي (م): (على ذلك). (٢) في (أ) و(م): (بهم).
(٣) في (ر): (بشر) وفي (م): (حسن).
(٤) في (أ) و(م): (وأنتم تسميتم بأسماء) وفي (ر): (تسمون بأسماء).
(٥) في (ر): (جبريل). (٦) في (ر): (أو إسرافيل).
(٧) (وأيضاً فهم يسمون موسى وإسحاق ويعقوب وغيرهم، وهم أنبياء بإجماع الكتب المنزلة). بالزيادة.

الباب التاسع:

في ثبوت(1) نبوة نبينا(2) ومولانا(3) محمد صلى الله عليه وسلم(4) بنص التوراة والإنجيل(5) والزبور(6) وتبشير الأنبياء ببعثته(7) ورسالته وبقاء ملته إلى آخر الدهر(8)، صلوات الله عليه(9) وعليهم أجمعين

---

(1) في (أ): (ثبوة).
(2) في (ر): (سيدنا).
(3) ساقطة من (أ) و (م).
(4) في (ر): (وسلم تسليماً كثيراً).
(5) ساقطة من (ر).
(6) قال الله تعالى: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ (النساء: الآية ١٦٣). والزبور هو: (عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له، وبعض أخبار مستقلة كما قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ أي: إنه تضمن الأخبار بشأن النبي الآتي وهو «محمد» ﷺ وأصحابه، كما في الزبور الخامس والأربعين... وكان داود عليه الصلاة والسلام حسن الصوت حسن الإنشاد حتى إنه إلى اليوم مضرب للمثل بحسن الصوت فيقال للحسن الصوت: إنه أعطى مزماراً من مزامير داود (عليه السلام).
والزبور يسمى عند أهل الكتاب «المزامير» وعددها مائة وخمسون مزموراً. وليست كلها لداود بل بعض المزامير منسوبة لقورح إمام المغنين، وبعضها منسوب إلى داود، وبعضها منسوب للمغنين على السوسن، وبعضها غير منسوب، والكثير منها منسوب إلى داود. وليس في الزبور أحكام ولا أوامر ولا نواه بل كله كما وصفنا...). راجع: قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، ص ٣١١.
(7) في الأصل: (بمبعثه)، والمثبت من بقية النسخ.
(8) في (ر): (الدهور).
(9) (عليه): ساقطة من (م).

اعلموا رحمكم الله (أن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[1] ثابتة في كل كتاب أنزله[2] الله تعالى) وجميع الأنبياء قد بشروا به[3].

فمن ذلك ما جاء[4] في الفصل[5] السادس عشر من الكتاب الأول من التوراة فإن التوراة (خمسة كتب واجتمعت[6] في سفر واحد[7]) وذلك[8] أن

---

(١) أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى أن أهل الكتاب يعلمون مما ورد في كتبهم أن نبياً سوف يرسل إلى الناس كافة وقد بينها الله لهم في هذه الكتب المنزلة إلا أنهم تغاضوا عنها وحرفوا نصوصها وزيفوا معانيها، ورغم ذلك بقيت في هذه الكتب إشارات واضحة تثبت بعثة الرسول محمد ﷺ.
وقد بحث العلماء المسلمون هذه النصوص وأفردوا لها كتباً وفصولاً وتوصلوا إلى وجود نصوص كثيرة في العهدين القديم والجديد تثبت صحة هذه النبوة ومن ذلك ما نقله الإمام ابن تيمية عن إنجيل يوحنا في الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر واللذان ورد فيهما ذكر كلمة «الفارقليط»، والأوصاف والنعوت التي وردت في شأنه، وبعد أن شرحها وبيّن معانيها عقبّ على ذلك قائلاً: (فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح، لا تنطبق على شيء في قلب بعض الناس، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه فيشهد للمسيح ويعلمهم كل شيء ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ويوبخ العالم على الخطيئة ويرشد الناس إلى جميع الحق، وهو لا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتي ويعرفهم جميع ما لرب العالمين. وهذا لا يكون ملكاً لا يراه أحد ولا يكون هدى ولا علماً في قلب بعض الناس، بل لا يكون إلا إنساناً عظيم القدر. . . . وهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ). انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٦ - ١١.
وكذلك الإمام ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ص ٥٣٠؛ والمنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل لأبي الفضل المالكي ص ١٣٧.

(٢) في (ر): (أن ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ في الكتب والأنبياء قد بشروا به).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) ساقطة من (ر).

(٥) في (أ): (في الاصحاح) وفي (م): (ما في الإصحاح).

(٦) في الأصل: (وأجمعت)، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) التوراة الحقيقية غير موجودة اليوم لأن اليهود بعد موسى عليه السلام حرفوها وغيروها وجعلوا فيها شروحات وتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، وجعلوها خمسة أسفار =

هاجر[1] لما هربت من سارة[2] زوج[3] إبراهيم الخليل رأت هاجر[4] في تلك

= (سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية)، وقد أضافوا إليها أسفاراً أخرى فأصبحت بمجموعها تسعة وثلاثين كتاباً أو سفراً، وللتوراة في نفوس اليهود قدسية عظيمة وللمزيد يراجع: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية د. عبدالوهاب المسيري، ص ١٤٣ وما بعدها وانظر: التوراة العقل العلم التاريخ، د. بدران محمد بدران ص ١٥ ـ ١٩.

(٨) ساقطة من (أ) و (م).

(١) هاجر: أم النبي إسماعيل عليه السلام،ولها في الإسلام نظرة احترام وتقدير، بينما ينظر إليها أهل الكتاب نظرة ازدراء واحتقار ويرمون ذريتها «بأبناء الجارية» ولا أدلَّ على ذلك مما ورد في سفر التكوين ٢١: ٩ ـ ٢١ ورسالة بولس إلى أهل غلاطية حيث يقول عنها: (قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذي من الحرة فالموعد، وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر لأن هاجر جبل سيناء في العبرية ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها، وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرة لأنه مكتوب إفرحي أيتها العاقر التي لم تلد، اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخض، فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج.
أما نحن أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد، ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح، هكذا الآن أيضاً لكن ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة)، رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح الرابع: ٢١ ـ ٣١. وهكذا نرى الحقد الدفين الذي يكنه اليهود والمسيحيون لأبناء هاجر. وهل هم إلا إسماعيل وذريته من بعده؟. وهو الذي عاش في أرض عربية وصاهر أهلها ومنهم ولد الرسول ﷺ، ولهذا يمكننا أن نفسر هذا العداء المستمر الذي يظهره أهل الكتاب للمسلمين والذي تحول عبر التاريخ الإسلامي الطويل إلى حروب ومنازعات طويلة. وكل ذلك بفضل النصوص التي حفل بها العهدين القديم والجديد.

(٢) سارة: تحتل مكانة لائقة لدى أهل الكتاب وقد ترجموا لها كالتالي: (اسم عبراني معناه (أميرة) وهي زوجة إبراهيم عليه السلام، وكانت تدعى في الأصل ساراي. . . وعندما كان عمر سارة ٧٥ سنة ضعف إيمانها في إتمام وعد الله من حيث حصولها على =

أن[1]جميع الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل بعد موسى لم يكن قبلهم مثله والمراد بالمثلية هنا أن يأتي بشرع خاص به[2] تتبعه الأمم بعده[3] وهذه هي صفة[4] نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[5]، لأنه من إخوتهم العرب بني إسماعيل قد[6] جاء بشريعة ناسخة[7] لجميع الشرائع. . . تبعته[8] عليها

= (البقرة: الآية ٩٧). فقلت: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود. فإذا اللطيف الخبير قد سبقني، قال عمر: فلقد رأيتني في دين الله أصلب من الحجرة). الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي ١/٥١.

وقال قال: الإمام ابن كثير في تفسيره: إن هذه الرواية ورواية أخرى لنفس الحادثة قد ذكرهما الطبري عن الشعبي ولكن فيهما انقطاع. انظر: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير ١/١٣١.

(١) ساقطة من (أ). (٢) ساقطة من (أ).

(٣) ساقطة من (ر). (٤) في (ر): (صفات).

(٥) قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. (الأنبياء: الآية ١٠٧)، وقال: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾: فرسالته ﷺ عامة شاملة غير مختصة بفئة من الناس دون أخرى أو شعب دون آخر.

(٦) في (ر) و (م): (وقد).

(٧) قول المؤلف «قد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع»: والنسخ لغة: الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل أي: أزالته ونسخت الريح أثر المشي، أي: أزالته، ونسخ المشيب الشباب إذا أزاله، والإزالة هي الإعدام. . . أما النسخ اصطلاحاً: «فهو خطاب الشارع الرافع لحكم ثابت بخطاب شرعي سابق، فالخطاب الرافع لا بد وأن يكون متراخياً عن الخطاب الأول»). انظر: أصول الفقه لمحمد زكريا البرديسي، ص ٤٢٠.

وبهذا الاعتبار فإن شريعة محمد ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع، وكما هو واضح فإن النسخ واقع في الفروع والأحكام الشرعية العملية، أما العقيدة فلا نسخ فيها لصدورها عن مصدر واحد فلم يقع النسخ في العقيدة ولا في الأخلاق ولا في المقاصد الكلية التي حفظت: (الدين، والنفس والعقل والعرض والمال. . .).

قال الله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (الشورى: الآية ١٣). فالفروع هي التي وقع فيه النسخ، وكان ذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى لعباده، وقد روعي فيها ظروف كل أمة وبحسب ما يلزمها من تشريع. =

= ولما كان النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ (الأحزاب: الآية ٤٠). ولقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: الآية ٨٥).

فلا بد إذاً أن تكون شريعته ﷺ ناسخة لما قبلها. وقد أجمع علماء الأمة على وقوع هذا النسخ، وخالف أبو مسلم الأصفهاني وقوع النسخ في القرآن الكريم.

أما أصحاب الشرائع السابقة: فقد أنكرت فرق اليهود وقوع النسخ: ففرقة العنانية أنكرت وقوعه عقلاً وسمعاً، كما أنكرت الشمعونية وقوعه سمعاً، واعتبرت فرقة العيسوية رسالة النبي محمد ﷺ قاصرة على العرب لتنكر نسخ شريعة موسى عليه السلام. أما النصارى فقد اعترف متقدموهم بوقوع النسخ، أما المتأخرون فأنكروه لعدم اعترافهم برسالة النبي ﷺ.

وقد رد العلماء المسلمون على المنكرين. ويمكننا أن نلخص هذه الردود بالآتي:

الرد على اليهود: لقد جاء في التوراة أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك: (مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه) سفر التكوين ٩: ٢ ـ ٥.

(ثم قد حرم الله تعالى على موسى عليه السلام وعلى بني إسرائيل كثيراً من الحيوانات).

وقد جاء ذلك في سفر اللاويين ٧: ٢٢ ـ ٢٨.

كما أن آدم عليه السلام كان يزوج الأخ من الأخت وقد حرم الله ذلك على موسى عليه السلام. كما ورد أن الله تعالى قد أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم أمره بعدم الذبح.

وهذه دلائل تشير إلى وقوع النسخ في التوراة كما تفيد عدم صحة ما يدعيه اليهود.

أما الرد على النصارى: فقد جاء في سفر أعمال الرسل ما يلي: (لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به إذ يقرأ في المجامع كل سبت) أعمال ١٥: ٢٠.

إن هذا النص يبيح للنصارى كل شيء ما عدا الأمور الأربعة، وهذا يعني إباحة كل ما كان محرماً في شريعة موسى عليه السلام من أكل لحم الخنزير والختان، وغيرهما...

كما أن الطلاق كان مباحاً في شريعة موسى عليه السلام، فجاءت نصوص الإنجيل =

وأحبـارهم[1] ولكنهم يكتمونـه عن عوامهم[2] لمـا أوجبـه[3] الله عليهم من اللعنة[4] والخذلان، نعوذ بالله من حالهم[5].

ومن ذلك ما في الفصل الثامن عشر من التوراة: (إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: (قل لبني إسرائيل إني أقيم لهم آخر[6] الزمان نبياً مثلك من بني[7] أخواتهم ومن لم يسمع كلمتي التي يؤديها عني أنتقم منه)[8].

وهذا النص يدل على (أن هذا النبي الذي)[9] يقيمه لبني إسرائيل في

= كما بينت كتب السيرة والآثار أخباراً كثيرة عن معرفتهم للرسول ﷺ، وأنه كان يحاورهم ويحاورونه ويسألونه الأسئلة المختلفة ليروا صدق نبوته، وكان بعض أحبارهم يؤمن به فيسلم كعبدالله بن سلام رضي الله عنه، ومنهم من كان يخفي إسلامه خوفاً من قومه. وللمزيد يراجع في هذا الصدد: الوفا بأحوال المصطفى، لأبي الفرج ابن الجوزي. تحقيق د. مصطفى عبدالواحد، ١/١٠٥؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٦٤؛ والسيرة النبوية للذهبي، ص ٦٥ تحقيق حسام الدين القدسي؛ وعيون الأثر ص ٧٤ ـ ٧٥؛ وسيرة ابن هشام ٢/١٩٤.

(١) في (أ) و(م): (وجماهيرهم) وفي (ر) ساقطة.

(٢) قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (البقرة: الآية ١٤٦).

(٣) في (ر): (أوجب).

(٤) قال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ (البقرة: الآية ١٥٩).

(٥) في (م): (ومآلهم).

(٦) في (أ) و(م): (في آخر الزمان).

(٧) ساقطة من: (أ) و(م).

(٨) ورد هذا النص في سفر التثنية كالتالي: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) تثنية ١٨: ١٨ وليس في الثالث عشر كما ذكر المؤلف.

وقد أورد الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هذا النص في كتاب «الجواب الصحيح» وعلق عليه تعليقاً هاماً انظر ١/٩٩ منه، كما أشار إليه أبو عبيدة الخزرجي. انظر: بين المسيحية والإسلام ت: محمد شامة، ص ٢٦٠، ونبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٥٢، د. فاضل صالح السامرائي.

(٩) في (أ) و(م): (على أن النبي الذي).

آخر الزمان ليس من نسلهم ولكنه[1] من إخوتهم وكل نبي بعث من بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام، فلم يبق [2] أن يكون من إخوتهم إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [3]، لأنه من ولد إسماعيل وإسماعيل[4] أخو إسحاق ابن إبراهيم وإسحاق جد[5] بني إسرائيل [٤٥ أ] فهذه هي[6] الأخوة التي ذكرت في التوراة[7]، ولو كانت هذه البشارة لنبي من أنبياء[8] بني إسرائيل(لم يكن لذكر هذه الأخوة معنى[9])واليهود أجمعوا[10] على

---

(١) في (أ) و(م): (من بين).

(٢) في (أ): (فلم يبق من نبي). وفي (م): (من بين) وفي (ر): (ولم يلق من إخوتهم).

(٣) في (أ) و(م): (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه).

(٤) ساقطة من بقية النسخ. (٥) في (أ) و(م): (وإسحق أبو إسرائيل).

(٦) ساقطة من الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) تعرض الإمام ابن القيم لهذه النقاط وأشار بهذا الصدد إلى النقاش الذي دار بينه وبين بعض اليهود وفند شبهاتهم ومزاعمهم، انظر: هداية الحيارى، لابن القيم، ص ٥٦٣.

(٨) ساقطة من (أ).

(٩) في الأصل: (لم يكن بذكرها بأخوتهم معنا...). وفي (ر): (لم يكن لذكر هذه أخوتهم معنى)، والمثبت من (أ) و(م).

(١٠) كما ذكرنا في السابق من أن أهل الكتاب يعلمون أن رسالة الرسول ﷺ حق وأنهم يكتمون هذا الأمر، وقد تحدثت الآثار عن هذا فمن ذلك ما روى ابن الجوزي: (... وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة التوراة القرآن، فقالوا: يا عمر ما أحد أحب إلينا منك لأنك تغشانا. قلت: إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا صاحبك. فقلت: أنشدكم الله وما أنزل عليكم من الكتاب، أتعلمون أنه رسول الله؟ قال سيدهم: نشدكم الله فأخبروه.. قالوا: أنت سيدنا فأخبره، فقال: إنا نعلم أنه رسول الله قلت: فما أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه؟ قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة. عدونا جبريل وهو ملك الفظاظة والغلظة وسلمنا ميكائيل وهو ملك الرأفة واللين. قلت: فإني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم مكائيل ولا لمكائيل أن يسالم عدو جبريل ثم قمت.
فاستقبلني رسول الله ﷺ فقال: «ألا أقرأتك آيات نزلت علي قبل؟ فتلا: ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ =

الليلة ملكاً من الملائكة فقال لها[1]: يا هاجر. . ما تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ قالت[2]: هربت[3] من سارة. قال[4]: ارجعي إليها[5] واخضعي لها فإن الله[6] سيكثر زرعك وذريتك وعن قريب تحملين وتلدين ولداً اسمه إسماعيل من أجل[7] أن الله تعالى[8] قد سمع خشوعك ويكون ولدك عين[9] [٤٤ ب] الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ويكون أمره في معظم الدنيا)[10] انتهى نص التوراة.

= نسل فأشارت على زوجها أن يتزوج من جاريتها هاجر فولدت هاجر إسماعيل (تك ١٦: ١ - ١٦).

وعندما بلغت سارة سن ٨٩ جاءها الموعد بميلاد إسحاق. . وعندما فطم إسحاق أقام والده وليمة عظيمة فطلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية. . . واختلفت الآراء في سارة ولكنها كانت في الحق مؤمنة فاضلة وزوجة أمينة وأماً مثالية). انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٤٤.

أما النظرة الإسلامية إلى سارة فإنها لا تقدح بها، وقد قص القرآن الكريم خبرها وذلك حينها بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق عليهما السلام، قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾ (الذاريات: ٢٣ - ٣٠).

(٣) في (ر): (زوجة).
(٤) ساقطة من (أ) و (م).

(١) ساقطة من (م).
(٢) في (أ) و (م): (فقالت) وفي (ر): (قالت له).
(٣) في (ر): (هرباً).
(٤) في (ر): (فقال لها) وفي (م): (فقال).
(٥) ساقطة من (ر).
(٦) في (م): (الله تعالى).
(٧) في (ر): (من أجله الله).
(٨) ساقطة من بقية النسخ.
(٩) في (ر): (أعز الناس).
(١٠) ورد هذا في سفر التكوين، وهو طويل جداً اختصر المؤلف منه وأورد معناه وأهم فقراته: (. . وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه، وإمام جميع إخوته يسكن، فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي لأنها قالت ههنا أيضاً رأيت =

ومعلوم أن إسماعيل وأولاد[1] صلبه لم يكونـوا متصرفـين في معظم الدنيا وإنما الإشارة بذلك[2] لعظيم[3] ذريته وهو نبينا[4] محمد صلى الله عليه وسلم، لأن دينـه دين الإسلام عـلا[5] على أهـل الأرض وأكثر معمـورها ونصرت[6] أمته في مشارق الأرض ومغاربها وهذا أمـر يعلمه[7] علماء اليهـود[8]

= بعد رؤية، لذلك دعيت البشر بئر لحي رئي ها هي بين قادش وبارد فولدت هاجر لإبرام ابناً، ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام). سفر التكوين ١٦: ١٠ - ١٦.

وقد أورد الإمام ابن القيم هذا النص تحت عنوان «نصوص الكتب المتقدمة في البشارة به وصفته ونعته» للاستدلال على ثبوت نبوة محمد ﷺ. انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ٥٢٩.

ويلاحظ القارىء في هذا النص من سفر التكوين مدى الحقد والكراهية التي يضمرها أهل الكتاب - من جراء هذا التحريف للنصوص - لإسماعيل وبنيه وليس ذلك إلا من صنع كتّاب «كتابهم المقدس» ليوافق خططهم للقضاء على أهل الحق.

ونستطيع أن نقطع بأن أحبـار اليهود وكتّابهم كانـوا يحرفـون هذه النصـوص لتخدم مصالحهم المستقبلية، حتى إذا حان الوقت لتنفيذ مآربهم تعللوا بهذه النصوص، ومن ذلك ما وضعوه من نصوص تنال من العرب وتقدح فيهم، ويستطيع القارىء أن يقارن بما جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع ٢٠ - ٢٩ ليقف على «اللعنـة التي أطلقها اليهود على لسان نوح عليه السلام لتنال من أبناء العرب.

(١) في (أ) و (م): (وأولاده من صلبه) وفي (ر): (أولاده).

(٢) في (م): (في ذلك). (٣) في (أ) و (م): (لأعظم ذلايته).

(٤) في (ر): (سيدنا).

(٥) في (أ)و (ر): (على)، وهو خطأ والصحيح ما في الأصل.

(٦) في الأصل (تصرفت) والمثبت من (ر). (٧) يعرفه وفي (م): (تعرفه).

(٨) أشار القرآن الكريم إلى معرفة أهل الكتاب للرسول ﷺ فقال: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (البقرة: الآيـة ١٤٦)، وقال تعـالى: ﴿الذين يتبعـون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (الأعراف: الآية ١٥٦).

ومعنى ذلك: (الذي يجد الذين يتبعونه من بني إسرائيل صفته ونعته مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل وإنما ذكر الإنجيل والسياق في قوم موسى لأن المخاطب بالـذات بنو إسرائيل). تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ٩/ ٢٢٦ - ٢٢٧. =

الأمم فهو كموسى من هذه الحيثية وهـو(١) أفضل منه(٢) ومن جميع الأنبياء بإجماع أمته صلى الله عليه وسلم.

= لتنسخ الحكم السابق ولتقرّ شيئاً آخر: (.. وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني) متى ٥: ٣١ - ٣٢.

فهذه النصوص وغيرها تثبت وقوع النسخ عند النصارى، ومع ذلك ينكرها المتأخرون منهم دون وجه حق.

وقد أشار القرآن الكريم إلى وقوع النسخ، قال تعالى: ﴿ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون﴾ (آل عمران: الآية ٥٠). وذلك حكاية عن لسان عيسى عليه السلام.

فإذا أثبتنا وقوع النسخ عند أهل الكتاب نأتي بعد ذلك للرد عليهم لقولهم بعدم نسخ شريعة محمد ﷺ لشريعة من سبقه من الأنبياء. (إن الله تعالى قد بين في شرع موسى ما يشعر بنسخه بياناً إجمالياً ولم يبين قدر الوقت ولم يتواتر لعدم توافر الدواعي على نقله كما يتوافر الدواعي على نقل أصل دينه فإن توفر الدواعي على نقل الأصل أتم من توفرها على نقل كيفيته، أو كان قد بين في شرع موسى عليه السلام ما يدل على دوامه ظاهراً لا قطعاً ولا امتناع في نسخ ما دل الدليل على دوامه ظاهراً). انظر: شرح المواقف بحاشيتي المولى حسن شلبي وحاشيةالسيالكوتي. ٥٦٢/٢، في الموقف الثالث من الأعراض.

كما رد الإمام ابن تيمية في كتابه: النبوات على أهل الكتاب، ص ٨٧ - ٨٨ منه.

وللمزيد يراجع، في موضوع النسخ: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر محمد بن أحمد الصفار المعروف بأبي جعفر النحاس ص ٢ - ٣ وما بعدها؛ وكتاب المحصول في علم أصول الفقه للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ص ١/٤٤٠ - ق ٣، د. طه جابر فياض العلواني؛ وكتاب أصول الفقه لمحمد زكريا البرديسي ص ٤٢٠ - ٤٢١؛ والنسخ في الشريعة الإسلامية، لأحمد محمد صديق ص ٥٥ - ٧٥.

ويراجع أيضاً كتاب الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار لأبي بكر محمد الهمذاني ص ٧ - ٨؛ والجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ١/٦١ - ٦٨.

(٨) في (أ): (تتبعه الأمم عليها). (١) في (أ) و(م): (وإلا فهو).

(٢) روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون». صحيح مسلم ٣٧١/١، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

ومن ذلك ما في الفصل الثالث والثلاثين من التوراة: (أن الرب[١] تعالى جاء من طور سيناء وطلع علينا[٢] من ساعير[٣] وظهر من جبال فاران[٤] ومعه وعن يمينه رايات القديسين)[٥] وجبال فاران[٦] هي مكة وأرض الحجاز، فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا[٧] الأرض فكان الحجاز[٨] وتخومه لفاران فسمي القطر كله باسمه، وفي[٩] مقولة التوراة جاء الله من طور سيناء يريد بمجيئه ظهور دينه / وتوحيده تبارك وتعالى[١٠] بما [٤٥ ب]

---

(١) في (ر): (سبحانه وتعالى شأنه). وفي (م): (أن الرب جاء).

(٢) في الأصل و (م): (إلينا)، والمثبت من (أ).

(٣) في (ر): (ساغير)، وهو خطأ.

(٤) فاران: وهي كلمة عبرانية معربة، من أسماء مكة ذكرها في التوراة قيل: هو اسم لجبال مكة قال ابن ماكولا: إن ذلك نسبته إلى جبال فاران وهي جبال الحجاز، وذكر نص التوراة الذي أورده المؤلف من سفر التثنية إصحاح ٣٣: ١ ـ ٣. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤/٢٢٥.
وهناك ترجمة لكلمة فاران في «قاموس الكتاب المقدس» إلا أن جميع الأسماء التي يوردها ويدل عليها أسماء عبرية وليست عربية، انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٦٧.
كما يلاحظ أن كلمة الرب المستعملة في النص الذي أورده المؤلف من سفر التثنية يأتي بعدة معانٍ وليس بمعنى الألوهية. انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس لعبدالله العلمي ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٥) جاء هذا النص كالتالي: (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم فأحب الشعب جميع قديسيه) سفر التثنية ٣٣: ١ ـ ٣. وقد شرح الإمام ابن القيم هذا النص بما يوافق كلام المؤلف، انظر: هداية الحيارى، ص ٥٢٨.

(٦) في (ر): (يعني).

(٧) في الأصل: اقتسموا في الأرض وفي (ر): (قسموا الأرض)، والمثبت من (أ) و (م).

(٨) الواو ساقطة من (م).

(٩) في الأصل: (وفي التوراة)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في (أ) و (م): (وفي التوراة مما أوحاه الله تعالى).

وهذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالأخبار المتواترة بحيث لا ينكرها إلا مخذول مطرود عن أبواب رحمة الله[1] . فأما كونه لا ينطق عن الهوى ولا [2] يقول إلا بوحي يوحى[3] فهذا شهد[4] الله له[5] به ولا خلاف فيه بين أمته.

وأما أخباره بالحوادث والغيوب[6] فباب واسع جمعت فيه كتب كثيرة[7] وهو بحر لا[8] يحاط بساحله[9]. وفي كتاب الشفا[10] للسيد[11] الفقيه الإمام

= (١٣) راجع يوحنا ١٥ : ٢٦ - ٢٧، كذلك يوحنا ٢٦ : ١٣.

(١) في (أ) و (م): (فأما). (٢) في (ر) و (م): (وما يقول).

(٣) ساقطة من (أ)، وقد قال تعالى مشيراً إلى هذا الأمر: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: الآية ٤).

والوحي لغة: الكتاب وجمعه (وُحِيٌّ) مثل حَلْي وحُلِيٍّ. وهو أيضاً الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال:وَحَى إليه الكلام يحيه وحياً وأوحى أيضاً وهو أن يكلمه بكلام يخفيه و (وَحَى) و (أَوْحَى) أيضا أي: كتب. وأوحى الله إلى أنبيائه وأوحى أشار قال الله تعالى: ﴿فأوحى إليهم إن سبحوا﴾. انظر: مختار الصحاح، ص ٧١٣.

والوحي شرعاً: ظاهرة يشترك فيها الأنبياء جميعاً وهو: إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، وقد يطلق أيضاً على كلام الله المنزل على النبي ﷺ. انظر: محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن لمحمد عزت الطهطاوي، ص ١١٤.

(٤) في (أ) و(م):(يشهد) وفي (ر): (أخبر). (٥) ساقطة من (أ) و (ر).

(٦) أورد الشيخ رحمة الله الهندي ثلاثين خبراً من الأخبار التي تحدث الرسول ﷺ عنها ووقعت فيها بعد بالفعل، وأهم هذه الأحداث:

أ ـ أخبر الصحابة بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق.

ب ـ وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله.

جـ ـ وأن خيبر تفتح على يد علي رضي الله عنه في غد يومه.

د ـ وأنهم يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وغيرها من الحوادث. انظر إظهار الحق، ص ١٧٥ - ١٨٢.

(٧) ساقطة من (أ) و (م). (٨) في (م): ولا يحاط.

(٩) في (أ): (بساحل).

(١٠) كتاب الشفا: واسمه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض.

وقد اتسم هذا الكتاب بطابع خاص جمع فيه مؤلفه صفات الرسول ﷺ وما يجب له من =

حجة الإسلام (أبي الفضل [1] عياض ما [2] فيه مقنع واعتبار لأولي الأبصار[3]. . . . وأما ثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم من كتب الأنبياء [٤٦ ب]

= حقوق، إضافة إلى ذكر شمائله ومعجزاته وأخباره وهو كتاب قيم ونفيس، وقد قال فيه العلامة ابن فرحون ما يلي: (. . أبدع فيه كل الإبداع وسلم له أكفاؤه كفاءاته فيه ولم ينازعه أحد في الانفراد به ولا أنكروا مزية السبق إليه بل تشوقوا للوقوف عليه وأنصفوا في الإستفادة منه وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقاً وغرباً). انظر: كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لبرهان الدين ابن فرحون المالكي، ٢/٤٨ - ٤٩ ، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور.

(١١) ساقطة من (ر). (١) ساقطة من (م).

(٢) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياش بن عياض اليحصبي، الإمام العلّامة يكنى «أبا الفضل» وهو من أهل سبتة، أندلسي الأصل، رحل إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائة طلباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن أبي عبدالله محمد بن حمدين، وأبي الحسين بن سراج وعن محمد بن عتاب وغيرهم. . وجمع من الحديث كثيراً وله عناية كبيرة به واهتمامه بجمعه وتقييده، ثم تنقل بين التدريس والقضاء عدة مرات، ولما اضطربت أمور الموحدين عام ثلاث وأربعين وخمسماية فتلاشت حاله ولحق بمراكش مشرداً به وعن وطنه فكانت بها وفاته، وله تصانيف بديعة منها:

كمال العلم في شرح صحيح مسلم، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ - مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم - والإعلام بحدود قواعد الإسلام - والإلماع - والغنية - ونظم البرهان وغيرها. وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة والفهم، ولي القضاء في غرناطة في خمسمائة وثلاثين هجرية وولد سنة ٤٧٦ هـ، وتوفي في مراكش سنة خمسمائة وأربع وأربعين هـ، وهو فقيه ومحدث عارف وأديب.

راجع: تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن التباهي المالقي ص ١٠١؛ وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى الضبي، ص ٤٢٥؛ وكتاب الصلة، لابن بشكوال، لأبي القاسم خلف بن عبدالملك ٢/٤٥٣.

(٣) قول المؤلف: «ما فيه مقنع واعتبار لأولي الأبصار»: وذلك لأن هذا الكتاب اهتم مصنفه بذكر معجزات الرسول ﷺ وأفرد لها فصولاً متعددة وذلك في الجزء الأول من كتابه المذكور آنفاً.

وإتمام لهذا الموضوع نذكر هنا أهم الأحاديث الصحيحة التي وردت بشأن تلك المعجزات: =

هو الذي كان سبب إسلامي[1] كما تقدم ذكره[2] في أول[3] الكتاب. ومن ذلك[4] ما قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله إن عيسى قال (البارقليط الذي يرسله أبي[5] في آخر الزمان هو يعلمكم كل شيء)[6]. [٤٦ أ]

فالباروقليط هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي علم[7] الناس كل شيء[8] بما أوحى الله إليه من القرآن العظيم[9] الذي فيه علوم

= بيركلوطوس فالأمر ظاهر وتكون بشارة المسيح في حق محمد ﷺ بلفظ هو قريب من محمد وأحمد وهذا وإن كان قريب القياس بلحاظ عاداتهم لكني أترك هذا الاحتمال لأنه لا يتم عليهم إلزاماً وأقول: إن كان اللفظ اليوناني الأصل باراكلي طوس كما يدعون فهذا لا ينافي الاستدلال أيضاً لأن معناه المعزى والمعين والوكيل على ما بيّن صاحب الرسالة أو الشافع كما يوجد في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ م. . .) إظهار الحق ٢/ ٢٨٠ - ٢٨٢. جـ ٢ تحقيق الدسوقي.

(١) ساقطة من (أ).
(٢) ساقطة من بقية النسخ.
(٣) في (أ) و (م): (أول هذا).
(٤) ساقطة من (ر).
(٥) ساقطة من (ر)، وفي (م): (الله).
(٦) هذا النص جاء كالتالي: (وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم) يوحنا ١٤ : ٢٦. وقد أورده المؤلف بالمعنى كما أنه في الرابع عشر وليس الخامس عشر من إنجيل يوحنا.
(٧) في (أ) و (م): (الذي يعلم).
(٨) أورد الإمام ابن القيم نصاً آخر بهذا المعنى: (ولكن إذا جاء روح الحق فذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق وإنه يخبركم بكل ما يأتي وبجميع ما للرب). فدل هذا على أن «الفارقليط» هو الذي يفعل هذا دون المسيح وكذلك كان، فإن محمداً ﷺ أرشد الناس إلى جميع الحق حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ولهذا كان خاتم الأنبياء فإنه لم يبق نبي يأتي بعده غيره، وأخبر محمد ﷺ بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال والجنة وأنواع نعيمها والنار وأنواع عذابها، ولهذا كان في القرآن تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتي من أمور كثيرة لا توجد لا في التوراة ولا في الإنجيل. . .). انظر: هداية الحيارى، ص ٥٣٤. كما أن أبا الفضل المسعودي أفرد فصلاً خاصاً للحديث عن الفارقليط وذلك في كتابه: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، راجع ص ١٤٦ منه. =

الأولين والآخرين[1] وما[2] فرط الله فيه من شيء، كما قال الله تعالى: ﴿وما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[3].

ولم يظهر بعد المسيح[4] نبي[5] بهذه الصفة غير[6] نبينا محمد صلى[7] الله عليه وسلم فهو المراد بهذه البشارة الجليلة[8] وإن رغمت[9] بذلك أنوف خنازير النصارى لعنهم الله[10].

ومن ذلك ما قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله: إن المسيح قال: البارقليط الذي يرسله أبي من بعدي يقول[11] من تلقاء نفسه شيئاً ولكن يناجيكم بالحق كله[12] ويخبركم بالحوادث والغيوب)[13].

= (٩) قال الله تعالى: ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ (الكهف: الآية ٢٧).

(١) روى الإمام أحمد بسنده عن الحارث بن عبدالله الأعور قال: قلت: لآتينّ أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية، قال: فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث قال: ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل فقال: يا محمد أمتك مختلفة بعدك قال: فقلت له: فأين المخرج يا جبريل قال: فقال: في كتاب الله، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك مرتين، قول فصل وليس بالهزل لا تخلقه الألسن ولا تفنى عجائبه، فيه نبأ ما كان قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما هو كائن بعدكم». مسند الإمام أحمد ٩١/١.

(٢) في (أ) : (فما).

(٣) ساقطة من الأصل، والآية هي من سورة الأنعام: ٣٨.

(٤) في (ر): (عيسى). (٥) في (أ) و (ر): (نبي مرسل).

(٦) في (أ) و (م): (إلا).

(٧) ادعى بعض الكذبة النبوة كمسيلمة الكذاب وسجاح وكثيرون غيرهما ولم يزل يدعيها أناس حتى يومنا الحاضر كغلام أحمد القادياني... ولكن الله تعالى كذب هؤلاء وقضى على دعوتهم وهذا من لطف الله تعالى بهذه الأمة وتعهده بحفظ كتابه الكريم لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

(٨) في (أ) و(م): (جديدة). (٩) في (م): (ترغمت).

(١٠) في (أ) و (م) بزيادة: (أجمعين). (١١) في (ر) و (م) بزيادة: (شيئاً).

(١٢) ساقطة من (ر). =

أوحاه إلى موسى[١] بطور سيناء[٢]، وطلع من ساعير[٣] يعني جبلاً بالشام [٤] به كان ظهور دين عيسى عليه السلام [٥] بما أوحاه الله إليه، وظهر من جبال فاران يريد [٦] ما أظهره وأكمله [٧] من دين الإسلام بمكة والحجاز على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما أوحاه الله إليه وقوله: (إن [٨] رايات القديسين) معه وعن يمينه: (فالقديسون هم الرجال الأولياء الصالحون)[٩] والمراد بهم هنا: أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم[١٠] الذين كانوا معه وعن يمينه ولم يفارقوه قط رضي الله تعالى عنهم[١١].

ومن ذلك ما اتفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل[١٢]: أن عيسى

---

(١) في (ر): (موسى عليه السلام).

(٢) يطلق عليه أهل الكتاب أيضاً جبل حوريب. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩٨، وله ترجمة فيه.

(٣) وردت في قاموس الكتاب المقدس بلفظين: «ساعير» وسعير وكان شرح معناها كلمة عبرانية معناه «كثير الشعر» وقد أطلقت هذه الكلمة على عدة أسماء من بينها اسم جبل في أرض يهوذا.. بين قرية يعاريم وبيت شمس، ويلاحظ هنا أيضاً أن هذه الأسماء عبرية، انظر: قاموس الكتاب ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٤) قوله: «جبلاً بالشام» على اعتبار أن بلاد الشام كانت في القديم، فلسطين والأردن ولبنان وسوريا، وفي (أ): (وهو جبل بالشام).

(٥) ومعلوم أن عيسى عليه السلام ظهر بفلسطين.

(٦) ساقطة من (أ) و(م).

(٧) في (م): (وأكمل).

(٨) في (ر): (إني رأيت) وفي (أ): (رايات القسيسين)، وهو خطأ وفي (م): (بمكة والحجاز).

(٩) في (أ) و(م): (فالقديسون هم الأولياء والرجال الصالحون) وفي (ر): (الصالحون الأولياء).

وإطلاق لفظ: «القديسين» على أصحاب رسول الله ﷺ لم يرد ولم يستعمل في الاصطلاحات الإسلامية. وهذا التفسير هو اجتهاد من المؤلف حيث فسر «القديسين» بالأولياء الصالحين.

(١٠) في (م): (لأنهم الذين).

(١١) ساقطة من (أ).

(١٢) في (م): الأناجيل الأربعة. وفي هذا القول بعض التجاوز، فأغلب البشارات جاءت في إنجيل يوحنا، وأسفار العهد القديم من قبلها.

عليه السلام قال للحواريين حين رفع إلى السماء: إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه «بارقليط»[1] وهذا الإسم[2] هو باللسان اليوناني[3] وتفسيره بالعربية أحمد[4] كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[5].

وهو في الإنجيل (باللطى براكلتس)[6] وهذا الإسم الشريف المبارك

---

(١) النسخة العربية للكتاب المقدس والتي بين أيدينا أطلقت اسم «المعزي» بدل الفارقليط أو «الباروقليط». وقد جاء النص كالتالي: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه) يوحنا ١٤: ١٥ ـ ١٧.
وقد لاحظنا أن العلامة الشيخ رحمة الله الهندي قد اعتمد في إخراج هذا النص على الطبعات التالية: ط عام ١٨٢١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤ م وقد نصت على كلمة «فارقليط».
انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي، ٢/٢٧٨. جـ ٢ تحقيق عمر الدسوقي. كما اعتمدها جاك جومبير في كتابه المسيح ابن مريم، ص: ٢١٩.

(٢) في (أ) و (م): (وهذا اسم شريف).

(٣) ساقطة من (أ) و (م). (٤) في (أ) و (م): (أحمد البار).

(٥) قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (الصف: الآية ٦).

(٦) كذا كما أوردها المؤلف،والمستعمل اليوم (باركلي طوس) أو (بيركلوطوس) وقد حاول بعض العلماء المسيحيين التفرقة بين الكلمتين فأشار أحدهم إلى أن الأولى تعني المعزى أو الوكيل وأن الثانية تتضمن اسم محمد أو أحمد. وقد خطأ المسلمين لأنهم فسروا الكلمة على أن المسيح قد بشر برسول يأتي من بعده اسمه «بيركلوطوس» والصحيح أنه «باركلي طوس»: وعليه فقد نفى أن يكون عيسى عليه السلام قد بشر به. وقد رد العلامة الشيخ رحمة الله الهندي ووضح الفرق بين اللفظين بأدلة واضحة جلية وما يترتب على ذلك من آثار، وقد بين ذلك قائلاً: (. . . فأقول إن التفاوت بين اللفظين يسير جداً وإن الحروف اليونانية كانت متشابهة فتبدل (بيركلوطوس) و (باراكلي طوس) في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الأخرى. . . أن اللفظ العبراني الذي قاله عيسى عليه السلام مفقود، واللفظ اليوناني الموجود ترجمة، لكني أترك البحث عن الأصل، وأتكلم على هذا اللفظ اليوناني الأصل

. . . .

= **إخباره ﷺ بالغيب:**

١ ـ أخرج الإمام أبوعبدالله البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله». انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، فتح الباري ٦/٦٢٥، وانظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ٤/٢٢٣٦، ٢٢٣٧.

٢ ـ وأخرج الإمام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة» أو مثل الملوك على الأسرة (شك إسحاق) قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله ـ كما قال في الأول ـ قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين»، فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت). انظر: صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الدعاء بالجهاد. فتح الباري. وانظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر ٣/١٥١٨.

كلام الجمادات:

أخرج أبو عبدالله البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال (إن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: «لو كنت متخذاً خليلاً»، فتح الباري ٧/٢٢.

وفي رواية مسلم: أنهم كانوا على حراء... وذكر الحديث. انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٨٠.

شفاء المرضى:

أخرج البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطي =

. . . .

= فغدوا وكلهم يرجوا أن يعطى. فقال: «أين علي؟» فقيل: يشتكي عينيه فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال: على رسلك حتى تنزل ساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم». انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام والنبوة فتح الباري ١١١/٦. ولمسلم غير هذا اللفظ، انظر: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ١٨٧١/٤.

نبع الماء:

أخرج البخاري بسنده عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم». قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة. انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، فتح الباري ٥٨٠/٦. وانظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ ١٧٨٣/٤.

تكثير الطعام:

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «إن أم سليم ـ أمه ـ عمدت إلى مد من شعير جشته وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها ثم بعثتني إلى النبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته قال: ومن معي فجئت فقلت: إنه يقول ومن معي فخرج إليه أبو طلحة قال: يا رسول الله إنما هو شيء صنعته أم سليم فدخل فجيء به وقال: أدخل علي عشرة فأدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم قال: أدخل علي عشرة فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم قال: أدخل علي عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي ﷺ ثم قام فجعلت انظر هل نقص منها شيء». انظر: صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة، فتح الباري ٥٧٤/٩. وانظر: صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز اتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، ١٦١٢/٣. وقد أورده بغير هذا اللفظ.

تكثير الماء:

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال «أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، =

كتابه: (في آخر الزمان يجيء الرب من القبلة والقدس من جبال فاران)[1] ومجيء / الرب تبارك وتعالى ـ هو[2] مجيء وحيه، والقدس هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ظهر من جبال فاران وهي مكة وأرض الحجاز. [٤٧ أ]

ومن ذلك ما قال[3] النبي ميـشا[4] في الفصل الرابع من كتابه[5]: (في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة وتختار الجبل المبارك ليعبدوا الله فيه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه[6] ليعبدوا[7] الله الواحد ولا يشركوا به شيئاً[8]، وهذا الجبل[9] هو جبل عرفات بلا شك، والأمة المرحومة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم والاجتماع بالجبل المبارك[10] هو اجتماع الحجاج[11] بعرفات[12]

= (٢) في (أ): (فمن ذلك). (٣) في (ر): (أبقوق)، وهو خطأ.

(١) ورد هذا النص كالتالي: (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) تثنية ٣٣: ١ ـ ٢.

(٢) ساقطة من (أ). (٣) في (م): (ما قاله).

(٤) كذا في جميع النسخ، وبزيادة: (عليه السلام) في (أ). وميشا هو رجل بنياميني كما ورد ذكره في أخبار الأيام الأول ٨: ٩، ولكنه رجل عادي كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٩. وليس هو المقصود من كلام المؤلف. ونعتقد أن المقصود هو (ميخا: لأن هناك سفراً يسمى سفر ميخا وقد جاء في الإصحاح الرابع منه ما يلي: (ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت الله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب) ميخا ٤: ١ ـ ٢.

(٥) ساقطة من (ر). (٦) في (ر): (إليه).

(٧) في (أ): (الإله). (٨) في (أ): (ولا يشركون به شيئاً).

(٩) في الأصل: (وهذا به)، والمثبت من (ر). (١٠) ساقطة من (أ) و(م).

(١١) في (أ): (كل الحجيج) وفي (م): (كل الحجاج).

(١٢) (عرفة وعرفات واحد عند أكثر أهل العلم، وليس كما قال بعضهم: إن عرفة مولد وعرفة حدها من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة... وقيل في سبب تسميتها بعرفة: إن جبريل عليه السلام عرّف إبراهيم عليه السلام المناسك فلما وقفه بعرفة قال: =

وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم[١].

ومن ذلك ما قال النبي إشعيا[٢] في الفصل الثاني[٣] والأربعين من كتابه[٤]: (إن الرب سبحانه[٥] وتعالى يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه، يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه وهو يعلم الناس ما علمه[٦] الروح الأمين[٧] ويحكم بين الناس بالحق ويمشي بينهم بالعدل[٨] وما يقول للناس[٩] هو نور يخرجهم من[١٠] الظلمات التي كانوا[١١] فيها، وعليها

= له عرفت؟ قال نعم فسميت عرفة. ويقال: بل سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بعد نزولها من الجنة...) إلخ. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ١٠٤/٤.

(١) قال تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ (الحج: الآية ٢٧ ـ ٢٨).

(٢) في (أ) و(م): (شعيا) وفي (ر): (يشعيه)، والأصح ما في الأصل، لأن هناك سفر باسم إشعياء في العهد القديم.
وقد ترجم له المسيحيون بالآتي: (معنى الاسم: (الرب يخلص) وهو النبي العظيم الذي تنبأ في يهوذا في أيام عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا... إنه كان على ثقافة عالية ويدل تاريخه على أنه كان يقطن أورشليم وأنه كان يعرف الهيكل والطقوس التي كانت تجري فيه تمام المعرفة.. وله سفر يقسم إلى سبعة أقسام..). انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٨١.

(٣) في (أ) و (م): (الفصل الثامن والأربعين)، وهو خطأ والصواب ما هو مثبت في الأصل.

(٤) يطلق عليه سفر إشعياء.

(٥) ساقطة من (أ) و (م).

(٦) في (م): (ما يعلمه).

(٧) ساقطة من (ر).
وقد قال الله تعالى بهذا الشأن: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: الآية ١٩٣). وقال تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذي آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (النحل: الآية ١٠٢). وقال تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: الآية ١٥١).

(٨) قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: الآية ٩٠).

(٩) ساقطة من بقية النسخ. =

موجود قبل[1] الشمس) [2] وهذه كلها صفات نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، والوجود يشهد له وكل من دفع هذه الصفات عنه فلا يجد في العالم أحداً يستحقها وإن ادعاها[3] مدع لغيره من الأنبياء[4] كان مجاهراً بالبهتان[5].

ثم لا أعلم أحداً من الأنبياء بعد داود نسبت[6] إليه هذه الصفات الجليلة قبل[7] نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[8]، وعلماء اليهود والنصارى يعلمون أنها صفاته الذاتية[9]، ولكنهم يكتمون[10] ذلك لشقاوتهم السابقة[11]

---

(١) في (م): (قبل وجود الشمس).

(٢) ورد هذا النص في المزمور ٧٢ وليس في ٩٢ وقد جاء كالتالي: (ويملك من البحر إلى البر ومن النهر إلى أقاصي الأرض أمامه تجثوا أهل البرية وأعداؤه يحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبا يقدمون هدية ويسجد له كل ملوك الأرض كل الأمم تتعبد له لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ويصلى لأجله دائماً اليوم كله يباركه. . .) سفر المزامير ٧٢: ٨ ـ ١٥، وقد نسب إلى سليمان عليه السلام كما هو موجود في التوراة.

(٣) في (ر): (إن ادعا هذا مدع).

(٤) قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله. .﴾ (البقرة: الآية ٢٥٣). قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (يعني موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم، وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه. .). انظر تفصيل ذلك في كتاب: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٠٤.

(٥) في الأصل: (في البهتان)، والمثبت من (ر).

(٦) في (أ): (تنسب له)، وفي (ر): (ينسب إليه). (٧) في (أ) و(م): (وهو قبل).

(٨) وهذا يثبت أفضلية الرسول ﷺ على جميع الرسل وقد أشرنا إليه في الأحاديث التي مرت معنا سابقاً.

(٩) في الأصل: (الذاتية له)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في الأصل (ر): (يتكاتمون)، والمثبت من (أ). (١١) ساقطة من (أ).

وقول المؤلف: إن اليهود كانوا يكتمون هذه المعرفة ثابت وواقع بالفعل فقد قال الله تعالى =

في الأزل[1]. ومن[2] ذلك ما قال النبي يعقوب[3] في الفصل الثالث من

= عنهم: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (البقرة: الآية ١٤٦).
وقال: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (البقرة: الآية ٨٩).
وقد أيدت الآثار هذا الأمر، قال ابن سيد الناس عن الواقدي: عن النعمان السبائي - وكان من أحبار يهود باليمن - فلما سمع بذكر النبي ﷺ فسأله عن أشياء ثم قال: إن أبي كان يختم على سفر يقول: لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فإذا سمعت به فافتحه قال نعمان: فلما سمعت بك فتحت السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه ما تحل وما تحرم، وإذا فيه أنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم، وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم لا يحضرون قتالاً إلا جبريل معهم، يتحنن الله إليهم كتحنن الطير على أفراخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه وصدق به فكان النبي ﷺ يحب أن يسمع أصحابه حديثه، فأتاه يوماً فقال له النبي ﷺ: يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فروئي رسول الله ﷺ يبتسم، ثم قال: أشهد أني رسول الله. ويقال إن النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي وقطعه عضواً عضواً وهو يقول أشهد أن محمداً رسول الله وأنك كذاب مفتر على الله عز وجل ثم حرقه بالنار) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس، ص ٧٤ - ٧٥.

(١) ما قاله المؤلف بحق اليهود صحيح فهم يكتمون هذاالأمر حسداً وكرهاً وهم يعرفون أن هذه الصفات هي له ﷺ وكذلك كان الكفار يعرفون صفاته، وقد أورد الإمام ابن القيم عن المسور بن مخرمة - وهو ابن أخت أبي جهل - أنه قال لأبي جهل: يا خالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي.. والله لقد كان محمد ﷺ فينا وهو شاب يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذباً قط. قال: يا خال فما لكم لا تتبعونه؟ قال: يا ابن أختي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف أطعموا وأطعمنا وسقوا وسقينا وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي فمتى ندرك مثل هذه...
وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: (يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك.. والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟...). انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للعلاّمة ابن قيم الجوزية، ص ٤٩٢. =

= فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعـرابي «أو قـال: غيره» فقـال: يا رسـول الله تهدم البنـاء وغرق المـال فادع لنـا فرفـع يديـه فقال: اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود» انظر: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، فتح الباري ٤١٣/٢.

تكليم الشجر:

أخرج الإمام مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله يقضي حاجته فاتبعته بأداوة من ماء فنـظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان بشاطىء الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداها فأخذ بغصن من أغصانها فقال: إنقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما (يعني جمعهما) فقال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد وقال محمد بن عياد: فيتبعد. فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق. . .» الحديث. انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد، بـاب حديث جـابر الطويل ٢٣٠٦/٤.

انشقاق القمر:

أخرج البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» وفي رواية لمسلم «مرتين». انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية، فتح الباري ٦٣١/٦. وانظر: صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر ٢١٥٩/٤.

حنين الجذع:

أخرج البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع أصواتاً مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه. .». انظر: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر. فتح الباري ٣٩٧/٢. =

المتقدمين صلوات الله (عليه وعليهم أجمعين)[1].

ومن[2] ذلك ما قال داود عليه السلام في الزبور الثاني والتسعين: (إنه يملك من البحر إلى البحر ومن لدن[3] الأنهار إلى مقطع[4] التراب والأرض وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا وتسجد[5] له الملوك وتدين له بالطاعة والانقياد، ويصلي عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم وتنور أنواره[6] المدينة مثل عشب الأرض[7] ويدوم ذكره إلى أبد[8] الأبد واسمه

= **تسبيح الطعام:**

روى الإمام البخاري بسنده عن علقمة عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: «اطلبوافضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». انظر: فتح الباري ٥٨٧/٦.

دعاؤه:

أخرج الإمام مسلم بسنده عن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: إن أباه حدثه «أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع قال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر قال: فما رفعها إلى فيه...). صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ١٥٩٩/٣.

وقد جمع العلماء المسلمون كثيراً من هذه المعجزات والكثير من الحوادث، نذكر أهم كتبهم. منها: أعلام النبوة، لأبي الحسن علي الماوردي؛ ودلائل النبوة للحافظ أبي نعيم أحمد الأصبهاني؛ وشمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه، للإمام إسماعيل بن كثير؛ تحقيق د. مصطفى عبدالواحد.

(١) ما بين القوسين ساقط من (م). (٢) في (م) و(ر): (فمن ذلك).

(٣) في (أ) و(م): (من أدنى)وفي (ر) :(لدى). (٤) في (م): (مطلع).

(٥) السجود لا يكون إلا لله تعالى وإن أطلق للبشر فهو من قبيل المجاز أو سجود تكريم كما قال تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ (البقرة: الآية ٣٤).

(٦) في بقية النسخ :(تنور بأنواره المدينة) وهو المثبت. وفي الأصل: (تنور أنواره من المدينة).

(٧) ساقطة من (أ) و (م). (٨) ساقطة من (ر).

رقود، وقد عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون)[1].

وهـذه ـ رحمكم الله ـ هي صفات نبينـا محمد صـلى الله عليـه وسلم واضحـة مبينة[2] لأنـه هـو الـذي بعثـه الله[3] في آخـر الـزمـان بعـد أن اصطفاه لنفسـه وجعله حبيبه وخليله[4] من خلقـه وبعث[5] إليه[6] الـروح [٤٧ ب] الأمين جبريل عليه السلام يعلمه دينه وهو وحي القرآن والسنة وشرائع دين الإسلام، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم كل[7] ما أمره الله بتبليغه وهو معنى قول (هذا النبي)[8]: وهو يعلم الناس مـا علمه[9] الـروح الأمين عليـه السلام[10]، وكان يحكم بين الناس بالحق[11] ويمشي بينهم بالعدل[12] فإن كل

= (١٠) قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢). وقال: ﴿رسـولاً يتلو عليكم آيات الله مبينـات ليخرج الـذين آمنوا وعملوا الصـالحـات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ (الطلاق: الآية ١١).

(١١) في (أ) و(م): (من الظلمات التي كانوا فيها وعليها رقود عرفتكم ما عرفني).

(١) ورد هذا النص كالتالي: (هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف، فتيلة خامدة لا يطفىء إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته) إشعياء ٤٢: ١ ـ ٤.

(٢) في (ر): (بينه). (٣) ساقطة من (أ) و(م).

(٤) ساقطة من (ر).

(٥) قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهـدي إلى صـراط مستقيم﴾ (الشورى: الآية ٥٢).

(٦) في (أ): (له). (٧) في (م): (كما).

(٨) في (أ): (هذا النبي شعيا) وفي (م): (قول النبي شعيا).

(٩) في (أ): (ما يعلمه). (١٠) ساقطة من (م).

(١١) قال تعالى: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾. (المائدة: الآية ٤٢).

(١٢) قال تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (النساء: الآية ٥٨).

ما أمر به ودعى إليه[1] أو نهى عنه أجمع[2] أهل العقول على عدله وصوابه في المأمورات والمنهيات[3]، وما أنكره[4] وكفر به من كفر إلا عناداً ومكابرة للعيان وتخبطاً[5] في حبائل[6] الشيطان فهو محتوم[7] الخذلان والنـور الذي أخرج به الناس من ظلماتهم[8] هو القرآن[9] العظيم[10]الذي أنزله الله عليه.

---

(١) ساقطة من (أ). (٢) في (أ): (أجمعت).

(٣) إنه غير خاف على أحد تلك الاعترافات التي صدرت عن العلماء الغربيين والشرقيين سواء قديماً أو حديثاً، والتي تحدثت عن تعاليم الرسول ﷺ، وعن الشريعة العالمية التي جاء بها، وقد كانت تلك الاعترافات شاهداً على صدق الدعوة الإسلامية وعالمية رسالتها، لشمولها ولاحتوائها على مبادىء العدل والخير والمحبة، مراعية حاجـة البشريـة إلى ما يلائمها من أمورها العامة والخاصة في كل مكان وزمان.
ولهذا يقول الشاعر الفرنسي لامرتين: (في الإسلام قوة كافية أصيلة نابعة من هذا الدين، هو وحده الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن ومبـادىء الروح معـاً دون أن يعرض المسلم لأن يعيش في عذاب الضمير الذي يعيش فيه المسيحيون، هذه عندي هي قوة الإسلام بالنسبة إلى الأديان الأخرى، لقد حدث تفتت في المسيحية واختلاف الفرقـة وحدث بعد قيام المسيحية تشتت حتى اطرحت اطراحاً ولم يعد أحد يلجأ إليها أو يعيش فيها، إنما المسلمون يعيشون بالقرآن وحده، إن الإسلام فيه شيء يجعله يختلف لأنه لا يعبد الأشخاص، التوحيد والتنزيه هو موضع القوة في الإسلام المؤمن).
ويقول هاملتون: (إن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة فليست هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح مثله نجاحـاً بـاهراً في تـأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة). انظر: صفحات مضيئة من تراث الإسلام، لأنور الجندي، ص ١٥٨.
والإسلام ليس بحاجة إلى أي شهادة من أحد على شموله وعالميته، وإنمـا نقلنا هـذه الأقوال لنعرف مدى إعجاب الأعداء بهذا الدين الذي أنزله الله للناس كافة.

(٤) في (أ) و (م): (وما أنكره من أنكره). (٥) في (أ) و (م): (محبطاً).

(٦) في (أ) و (م): (حبال). (٧) في (أ) و (م): (بمحترم).

(٨) قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ (إبراهيم: الآية ٥).

(٩) في (أ): (القرآن الذي بلفظه).

(١٠) القرآن العظيم هو معجزة الإسلام الخالدة، الذي أنزله تعالى على رسوله ﷺ ليخرج الناس جميعاً من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان وتوحيد الـرحمن ونبذ عبـادة غير الله، =

٧ ـ إن المزاعم والشبهات التي يطلقها المسيحيون ما هي إلا أراجيف وأكاذيب لا تستحق المناقشة لضعفها فضلاً عن كونها واهية.

٨ ـ إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية، وهو الكتاب الذي أنزله الله رحمة للعالمين على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

٩ ـ إن التصدي للحملات التبشيرية أمر لا بد منه لإيقاف المد التنصيري الذي يتعرض له المسلمون في بقاع الأرض.

وإن نشر العلم بين المسلمين هو الوسيلة المثلى لإيقاف هذا المد كما أن إبراز التراث الإسلامي الذي يتضمن فضح عقائد أعداء الإسلام كفيل بتحقيق هذا الهدف.

١٠ ـ يبقى أن نشير، إلى أن الشيخ «عبدالله الترجمان» قد أخلص النية بحق. فجاهد بقلمه ونفسه دفاعاً عن الإسلام، مظهراً بطلان العقائد الشركية، وبيان أحقّية هذا الدين وصدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وبذلك يكون أحد أعلام الأمة الإسلامية الذين أناروا درب التائهين في لجج الظلام ودياجير الجهل، .

فرحم الله الترجمان وأسكنه فسيح المنان.

والحمد لله العلي العنان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وكان الفراغ من الكتابة عصر يوم الإثنين، الثامن من شهر شعبان عام اثنين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية، الموافق للحادي والثلاثين من مايو (أيار) عام اثنين وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية.

عمر وفيق الداعوق

* * *

الفهارس العامة

المبتدأ والمنتهى الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

(كمل الكتاب المسمى «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب»)
وكان تمام نسخة: (أواخر شهر الله شوال عام) ١١٤١[١] هـ.

---

(١) في (أ): (وكان الفراغ من تنميقه يوم الأربعاء المبارك ثمان الحجة الحرام ختام عام تسع وسبعين ومائتان وألف من هجرة من كان يرى من الأمام كما يرى من الخلف بخط مالكه الفقير إلى الله، عبدالخالق الحكيم غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات وتابع بيننا وبينهم بالخيرات والبركات إنك سميع قريب مجيب الدعوات آمين تم تم وكمل ١٢٧٩) وفي (م): (قد تم نسخ هذا الكتاب المكرم في أربع وخمسين ومايتان وألف).

الخاتمة

الحمد لله وبعد،

ختاماً لهذه الصفحات، نستطيع أن نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها:

١ - إن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو نور يقذفه الله تعالى في قلوب عباده المختارين المصطفين، ومهما وقفت عوائق الشرك والإلحاد في وجه الفطرة السليمة فلا بد لها أن تتحطم ليعود المخلوق إلى خالقه ويقر له بالوحدانية.

٢ - إن دعوى المسيحية بألوهية المسيح دعوى لا أساس لها من الصحة ولا تستند إلى دليل يقوم على برهان صحيح وحجة دامغة، كذلك دعوى بنوته فإن العقل السليم يرفض هذا، فضلاً عن اعتراف المسيحيين بعدم فهمهم لعقيدة التثليث التي كانت الفلسفات القديمة من يونانية وهندية ويهودية وغيرها تغذيها وترعاها.

٣ - إن كتّاب الأناجيل لا يمكن أن يكونوا رسلاً ملهمين بأي حال من الأحوال لثبوت تناقض أقوالهم ولتضارب نقل أخبارهم عن حياة المسيح عليه السلام ومثل هذا التناقض والاختلال يفضي إلى الكذب، وعليه فلا يمكن الاعتماد على ما كتبوا في إقرار عقيدة.

٤ - إن صلب المسيح وقتله كما يدعي المسيحيون ما هو إلا وهم من الذين شاهدوا وعاينوا الحادثة وقد شبه لهم هذا الأمر، وإن الله تعالى كما ذكر في كتاب الكريم نجاه من بين أعدائه ولم يمكنهم منه.

٥ - إن علماء أهل الكتاب يعرفون أن الإسلام حق وأن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم نبي ورسول صادق من عند الله وأن كتبهم حافلة بالبشارات التي تؤكد صدقه وأن إخفائهم لهذه الحقائق ما هو إلا حسد ومكابرة للحقيقة.

٦ - إن إثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب كونها مؤيدة بالبراهين النقلية، فإن الأدلة العقلية تقطع بثبوتها ولا مجال لإنكارها أو الشك فيها.

وكلام هذا النبي (إشعياء)[1] من أبين[2] الأدلة وأوضح البراهين على

= والاحتكام لشرعه وتحكيم أمره. وهو الكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه دون سائر الكتب السابقة: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وهو الكتاب المعجز الذي أعجز بفصاحته بلغاء العرب وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً، بل تحداهم أن يأتوا بآية من آياته الباهرة، كما بهر عقول العلماء بما جاء به من علوم شتى وبما أظهره لهم من قوانين لا زالت إلى اليوم محط أنظارهم ومثار إعجابهم، كما فاق تشريعه وقانونه قوانين البشر قاطبة فلم يجروء أحد على مضاهاته، فأين تشريع الخلق من تشريع الخالق؟ وأين علم العبد من علم الله جلت قدرته وتعالى شأنه؟.

وقد اتفق العلماء المسلمون على إعجاز القرآن الكريم، وتعددت آراؤهم في أوجه إعجازه فمنهم من حصرها ببلاغته وفصاحته وبيانه، ومنهم من حصرها بأخباره بالمغيبات وأخبار الأمم السابقة، ومنهم من حصرها في تشريع الأحكام، ومنهم من قال بأن وجه إعجازه كونه جاء على لسان نبي أمي، ومنهم من حصرها بأخباره العلمية.

والحق أن كل ذلك هو من خصائص وميزات القرآن الكريم ولا يمكن لإنسان أن يصل إلى منتهى هذا الإعجاز بل نستطيع أن ندرك بحسنا المحدود بعض هذه الجوانب لقصر علمنا وفهمنا، ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾. صدق الله العظيم.

وقد أفرد علماؤنا رضي الله عنهم تصانيف عديدة بشأن إعجاز القرآن وخاضوا في هذه الوجوه الكثيرة ومن بينهم: الخطابي وله كتاب «إعجاز القرآن».

الرماني وله كتاب «النكت في إعجاز القرآن».

الباقلاني وله كتاب «إعجاز القرآن».

وقد أفرد الإمام السيوطي في كتابه «معترك الأقران في إعجاز القرآن» فصولاً مطولة عن إعجاز القرآن ونقل أقوال العلماء فيه. انظر: ص ٣ - ٤ القسم الأول تحقيق علي محمد البجاوي.

كما تحدث القاضي عياض كثيراً من هذه الوجوه في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، ١/ ٣٥٨ وما بعدها. كذلك الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه أعلام النبوة، ص ٥٧ وكتاب «منحة القريب المجيب في الرد علي عباد الصليب» لعبد العزيز آل معمر الذي كتب عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في كتابه آنف الذكر، ص ١٨٠ وما بعدها.

(١) في الأصل: (بشعيه)، وفي (أ): (فيستفيد)، والأصح ما أثبتناه لأن النص يقتضيه.

(٢) في (ر): (البين).

ثبوت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ولـو ذكرت جميـع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك لطال الكتاب.

وأنا أرجو أن أجمع لبشارات[1] جميع الأنبياء به كتاباً مجرداً لذلك[2].

وحسبنا الله ونعم الوكيل[3] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي[4] الكريم، وعلى آله وصحبه[5] وفي

---

(١) اهتم العلماء المسلمون بالبشارات الواردة في التوراة والإنجيل وشرحوها شرحاً مفصلاً وعلقوا عليها وبينوا وجه الحق فيها.
وكان اهتمام العلماء المتقدمين حافزاً للمتأخرين ـ خاصة في عصرنا الحاضر ـ لأن يجمعوا هذه البشارات من الكتب السابقة للإسلام.
وقد بين الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق هذه النواحي وذلك عند الحديث عن المسلك السادس والخاص بأخبار الأنبياء المتقدمين على نبـوة محمد ﷺ. انـظر: ٢/٢١٥ ـ ٢٨٧ من الكتاب المذكور.
كما أورد الأستاذ فاضل السامرائي عشرين بشارة من التوراة والإنجيل وشرحها شرحاًوافياً. انظر: «نبوة محمد من الشك إلى اليقين» لفاضل صالح السامرائي ص ٢٥٠ ـ ٢٩٤.
وكذلك الأستاذ محمد عزت الطهطاوي في كتابه «محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن» ص ٤ ـ ٦٨.
وكذلك د. حسن ضياء الدين العتر في كتابه «نبوة محمد ﷺ في القرآن»، ص ٢٨٩ ـ ٣٣٤. وبذلك تكون أمنية المؤلف ـ رحمه الله ـ قد تحققت، هذا إذا لم نعثر على مخطوط له يتحدث فيه عن هذه البشارات.

(٢) في (م): (كتاباً مفرداً لذلك على وجه التفصيل) وفي (أ): (مجرداً لذلك على وجه التفصيل).

(٣) في (ر): (نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين، آمين، آمين سنة ١١٦٠).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في (أ): (وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وضاعف ذلك أضعافاً كثيرة إلى أبد الآبدين).



فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة يونس

سورة إبراهيم

سورة النحل

سورة الكهف

سورة مريم

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الذاريات

سورة النجم

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة الصف

سورة الجمعة

فهرس الحديث الشريف



فهرس الأعلام

فهرس النصوص الواردة من (العهد القديم)



فهرس النصوص الواردة من (العهد الجديد)

انجيل مرقس:

انجيل لوقا:

انجيل يوحنا:

فهرس المدن



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأديان في القرآن: د. محمود بن الشريف، دار عكاظ، جدة، ط. ١٩٧٩ م.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د. علي عبدالواحد وافي، دار النهضة، مصر ١٩٧١ م.
- الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار: لأبي بكر محمد الهمذاني، ط ١ مطبعة الأندلس بحمص ١٣٨٦ هـ.
- الإعلام بما في دين النصارى من أوهام: للإمام القرطبي، دار التراث العربي، ط ١٩٨٠ م.
- الإيمان بعوالم الأخرة ومواقفها: عبدالله سراج الدين، ط ١٣٩٧ هـ.
- الأموال: لأبي عبيدة القاسم بن سلام. ت: محمد خليل هراس، دار الفكر ١٣٩٥ هـ.
- إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان: أحمد بن أبي الضياف، ت: لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر ١٣٩٦ هـ.
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء: لجمال الدين القفطي، الوزير.
- أخبار عمر: علي وناجي الطنطاوي، ط ٢، ١٣٨٩ هـ.
- أصول الفقه: محمد زكريا البرديسي، دار النهضة العربية، ط ٥، ١٣٩٤ هـ.
- أضواء على المسيحية: د. رؤوف شلبي، المكتبة العصرية، صيدا ١٩٧٥ م.
- أضواء من صاحب الرسالة الخاتمة: محمد عزت الطهطاوي، مطبعة التقدم بمصر، ط ١٩٧٤ م.
- إظهار الحق: رحمة الله الهندي، ت: عمر الدسوقي، مطبعة الرسالة بمصر، وطبعة ١٣٩٨ هـ، دار التراث العربي للطباعة والنشر.
- أعلام النبوة: لأبي الحسن علي الماوردي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: للإمام ابن القيم، دار المعرفة بيروت.

- أقانيم النصارى: د. أحمد حجاز السقا، دار الأنصار، ١٣٩٧ هـ.
- إنجيل برنابا ودراسات حول وحدة الدين: سيف الله أحمد فاضل، دار القلم ط ١ ١٣٩٢ هـ.
- إمتاع العقول بروضة الأصول: عبدالقادر شيبة الحمد، ١٣٨٩ هـ، ط ٢.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: أحمد بن يحيى الضبي، ط روخس ١٨٨٤ م.
- بين المسيحية والإسلام: ت. د. محمد شامة، لأبي عبيدة الخزرجي، مكتبة وهبة.
- تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، ط ١، المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ.
- تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر: عبدالرحمن بن خلدون المغربي، دار الكتاب اللبناني، ط ١٩٥٩ م.
- تاريخ الأدب العربي؛ كارل بروكلمان، (باللغة الألمانية).
- تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي، بيروت دار الجيل ١٣٩٧ هـ.
- تاريخ الدولتين، الموحدية والحفصية: محمد بن إبراهيم الزركشي، ت: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط ٢.
- تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة الاستقامة بمصر، ط ١٣٥٧ هـ.
- تاريخ الفحشاء: عبدالكريم التنير، ط ١٩١٢ م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ط ٥، ١٣٨٩ هـ.
- تاريخ قضاء الأندلس: لأبي الحسن بن عبدالله بن الحسن النّباهي المالقي، المكتب التجاري، بيروت.
- التبصرة والتذكرة: عبدالله الصميري، ت: د. فتحي أحمد علي الدين، دار الفكر بدمشق ط١، ١٤٠٢ هـ.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: لأبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي، المكتبة السلفية.
- تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، ط ١٩٨٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

- التصريح بما تواتر من نزول المسيح : محمد أنور شاه الكشميري ، ت : عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ١٣٨٥ هـ.
- التعريفات : للشريف علي بن محمد الجرجاني، المطبعة الخيرية، ط ١ ، ١٣٠٦ هـ، وطبعة الدار التونسية، ١٩٧١ م.
- تفسير القرآن العظيم : للحافظ إسماعيل بن كثير القرشي ، المكتبة السلفية ، وطبعة المكتبة الشعبية.
- التفسير الكبير: للإمام فخر الدين الرازي . ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، طهران.
- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت ، ط ٢ .
- تقويم البلدان : عماد الدين إسماعيل «أبي الفداء»، مكتبة المثنى ، بغداد.
- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث : سعد بن منصور ابن كمونة اليهودي، ت : د. عبدالعظيم المطعني، دار الأنصار بمصر.
- تهافت الفلاسفة : للإمام أبي حامد الغزالي، دار المعارف بمصر، ط ٥، ١٩٧٢ م.
- تهذيب سيرة ابن هشام : ت . عبدالسلام هارون، دار البحوث العلمية، ط ٧ الكويت.
- التوراة العقل العلم التاريخ : د. بدران محمد بدران، دار الأنصار عابدين ط ١، ١٩٧٩ م.
- تونس : ج . ديبوا، تعريب : الصادق مازيغ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٩ م.
- تونس وجامع الزيتونة : محمد الخضر حسين، ت : علي رضا التونسي، المطبعة التعاونية بدمشق ط ١٣٩١ هـ.
- جامع البيان عن تأويل الأحكام : للإمام الطبري .
- جامع الزيتونة ومدار العلم في العهدين الحفصي والتركي : الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن الكريم : لأبي عبدالله محمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي.
- الجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية : د. محمد البهي ، دار الكتاب العربي بمصر ط ١٩٦٧ م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : للإمام ابن تيمية، مطابع المجد.

- الحلل السندسية في الأخبار التونسية: محمد بن محمد الأندلسي، الوزير السراج، ت: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية ١٩٧٠ م.
- خلاصة تاريخ تونس: حسن حسني عبدالوهاب، الدار التونسية ١٩٧٦ م.
- دائرة المعارف: بطرس البستاني، دار المعرفة تهران، ناصر خسرو.
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي، دار المعارف القاهرة ط ٤ ١٩٧٧ م.
- دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام: منصور عبدالعزيز. ط ٢ ١٩٧٢ م.
- دلائل النبوة: للحافظ أبي نعيم أحمد الأصبهاني، دار الباز بمكة المكرمة.
- الدولة الحفصية: أحمد بن عامر، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٧٤ م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: برهان الدين بن فرحون المالكي، ت. د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث العربي بمصر ط ١٩٧٢ م.
- الرائد: قاموس، جبران مسعود، ط ٢ دار العلم للملايين.
- رجال من التاريخ: علي الطنطاوي، المكتبة الأموية، ط ٢، ١٩٦٨ م.
- رجال ونساء أسلموا: عرفات كامل العشي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ دار القلم.
- الرد الجميل على من حرف الإنجيل: للإمام أبي حامد الغزالي، تقديم: عبدالعزيز عبدالحق حلمي، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة ١٣٩٤ هـ.
- الروح: للإمام ابن قيم الجوزية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند ط ٤، ١٣٨٣ هـ.
- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد عبدالمنعم الحميري، ت: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥.
- سلاسل المناظرة الإسلامية بين شيخ وقسيس: عبدالله العلمي، ط ١، ١٣٩٠ هـ.
- سنن أبي داود، ت: الشيخ أحمد سعد علي، مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧١ هـ.
- سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى الترمذي، ط ١٣٨٤ هـ مطبعة المدني بمصر.
- سنن الدارمي: للإمام أبي محمد عبدالله الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.
- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الثقافة بمصر.
- سيرة المسيح وتعاليمه: دنيس كلارك، دار منهل الحياة، بيروت ١٩٧٧ م.

- السيرة النبوية للذهبي، ت: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت ط
- الشامل في أصول الدين: للإمام الجويني. ت: علي سامي النشار، دار المعارف ١٩٦٩ م.
- شرح العقيدة الأصفهانية: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تقديم: حسنين مخلوف دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٣، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- شرح المواقف في علم الكلام: للشريف علي الجرجاني. ت: د. أحمد المهدي، ط ١٩٧٦، وطبعة دار الطباعة العامرة ١٣٥٧ هـ، وط ١٣١١ هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٣٤٩ هـ.
- شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل: عبدالملك الجويني، ط ١، دار الشباب للطباعة ١٩٧٨ م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ.
- شمائل الرسول ودلائل نبوته: للإمام إسماعيل بن كثير، ت: د. مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت.
- صحيح الإمام البخاري بحاشية السندي: دار الفكر، بيروت، وطبعة: إندونسيا مكتبة أحمد بن سعيد نبلهان، ط ٢.
- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي: المطبعة المصرية ١٣٤٩ هـ، وطبعة مطبعة صبيح بمصر ١٣٣٤ هـ.
- صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، ط البابي الحلبي ١٣٧٤ هـ.
- صفحات مضيئة من تراث الإسلام: أنور الجندي، دار الاعتصام ١٩٧٩ م.
- الصلة: لأبي القاسم خلف بن عبدالملك (ابن بشكوال)، دار المصرية للتأليف ١٩٦٦ م.
- عقيدة الإسلام: محمد أنور شاه الكشميري، كراتشي ١٣٨٠ هـ.
- عيون الأثر في فنون المغازي والسير: لأبي الفتح محمد بن سيد الناس، لجنة إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٠٠ هـ، دار الأفاق الجديدة.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني. ت: فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، دار الفكر.
- الفصل في الأهواء والملل والنحل: لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي، مطبعة صبيح بمصر ١٣٨٤ هـ.
- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية: لويس غريديه. ج. قنواتي. دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨.
- فهرست الكتاب المقدس: جورج بوست.
- فيض القدير لترتيب الجامع الصغير: للسيوطي، ت: محمد حسن ضيف الله، ط ١، مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٣ هـ.
- القاموس المحيط: للفيروز آبادي، ط: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، و ط: مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٥٢ م.
- قاموس الكتاب المقدس: نخبة من أساتذة اللاهوت، ط ٢، ١٩٧١.
- قصص الأنبياء: عبدالوهاب النجار، دار الفكر، بيروت، ط ١٩٦٦ م، وط: ١٣٨٦ هـ.
- كبرى اليقينيات الكونية: د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط ٢، دار الفكر لبنان ١٣٩٠ هـ.
- كشف الظنون: «حاجي خليفة»، مصطفى عبدالله، مكتبة المثنى ببغداد.
لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين أحمد بن منظور، دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ، وط ١٣٧٥ هـ.
- متن السنوسية: محمد يوسف الحسني، مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٣ هـ.
- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن: محمد عزت الطهطاوي، ط ١٩٧٢ م.
- محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، ط ٥، دار الفكر العربي ١٣٩٧ هـ.
- المحصول في علم أصول الفقه: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ت: د. طه جابر فياض العلواني ١٣٩٩ هـ.
- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر بيروت - ١٣٩٨ هـ.
- المذاهب الكبرى في التاريخ: البان .ج. ويد جيري، ط ٢، دار القلم بيروت ١٩٧٩ م.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لطفي الدين عبدالمؤمن البغدادي، دار المعرفة بيروت ١٣٧٤، علي محمد البيجاوي.
- مريم أم المسيح: الأب فان درميرش، دار الحكمة بيروت ط ١٩٦٦ دائرة المعارف المسيحية.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت.
- المسيح في مفهوم معاصر: عصام الدين حفني ناصف، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩.
- المسيح ابن مريم: جاك جومير، دار الحكمة، بيروت ١٩٦٦ م.
- المسيح في مصادر العقائد المسيحية: المهندس أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة بمصر ١٣٩٨ م.
- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: عبدالكريم الخطيب، ط ١، ١٣٨٥، دار الكتب الحديثة.
- المسيحية: د. أحمد شلبي، ط ٦، ١٩٧٨ م.
- المسيحية، نشأتها وتطورها: شارل جنيبير. ت: د. عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا.
- معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي دمشق، ط ١٣٧٦ هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: للإمام السيوطي، ت: علي محمد البيجاوي، ط ١٩٦٩ م.
- مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبدالفتاح طبارة، بيروت.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: الإمام محمد السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩، ط ١.
- مقامع الصلبان: لأبي عبيدة الخزرجي، ت: عبدالمجيد الشرفي، الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٧٥ م.
- المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل: لأبي الفضل المالكي المسعودي، ط ١٣٢٢ هـ، مطبعة التمدن بمصر.
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب: لعبدالعزيز آل معمر، دار ثقيف الطائف، ١٣٩٨ هـ.

- المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس: لابن أبي دينـار، ت: محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس ط ٣، ١٣٨٧ هـ.
- المنجد: لويس معلوف،ط ٩، بيروت ١٩٣٧ م.
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: د. عبدالوهاب محمد المسيري، مطابع الإهرام بمصر ١٩٧٤ م.
- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية: د. عبـدالمنعم الحفني، دار المسيرة بيـروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
- الملل والنحل: لمحمد بن أبي القاسم الشهرستاني، مطبعة صبيح، القاهرة.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: لأبي جعفر محمد أحمد الصفار، ط ١، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣ هـ.
- نبذة في حقيقة الإنجيل وصحته: ترجمة المطران ابيفانيون ١٩٧١ م.
- نبوة محمد من الشك إلى اليقين: فاضل صالح السامرائي، مكتبة القدس، بغداد ١٣٩٣ هـ، ط ١.
- نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم: د. حسن ضياء الدين العتر، دار النصر حلب، ط ١، ١٣٩٣ هـ.
- النبوات: للإمام ابن تيمية، المكتبة السلفية ط ١٣٨٦ هـ، القاهرة.
- نجوم المهتدين ورجوم المعتدين: يوسف النبهاني، المطبعة الحميدية مصر.
- النسخ في الشريعة الإسلامية: أحمد محمد صديق، ١٣٩٩هـ، مكة المكرمة (رسالة ماجستير).
- النصـرانية في القـرآن الكريم: محمـد بن سعد آل سعـود، ١٣٩٨ هـ، مكة المكرمة (رسالة ماجستير).
- النصرانية والإسلام: محمد عزت الطهطاوي، دار الأنصار القاهرة ١٩٧٧ م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨ هـ.
- نقض أوهام المادية الجدلية: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيـة، مطبعة المدينة، الرياض.
- هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، مكتبة المثنى بغداد.
- الوحدانية: د. بركات عبدالفتاح دويدار، مكتبة النهضة المصرية.

- الوحدة أو الاتحاد المسيحي : القس عبدالله صايغ، مطبعة الغريب، بيروت.
- الوفا بأحوال المصطفى: لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ت: د. مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الحديثة ط ١، ١٩٨٦ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ.
- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء: د. رؤوف شلبي، دار الاعتصام ط ٢، ١٤٠٠ هـ.
- يوحنا المعمدان: د. أحمد السقا، جـ، ط ١٣٩٩ هـ.

الدوريات

- المجلة اللبنانية الصادرة سنة ١٩٥٤ م.
- مجلة الحوادث اللبنانية الصادرة في لندن عدد ١٢٧٤ سنة ١٩٨١ م.
- مجلة العربي، عدد ٢٤١ سنة ١٣٩٩ هـ مقال عن كتاب المائة لمايكل هارث.



فهرس الموضوعات

٣٠ / ٥٢ / ٥ / ٠٨